

سلسلة التراث العلوي

١

مَسَائِلُ الْحَكَمِ الْعَلَوِيِّ

١. محمد بن نصير النُميري

٢. السيّد الجنان الجُنبلاني

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديار عقل - لبنان

سلسلة التراث العلويّ

١

رَسَائِلُ الْحِكْمَةِ الْعَلَوِيَّةِ

١ . محمد بن نصير النُمَيْري

٢ . السيد الجنان الجُنُبْلَانِي

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديار عقل - لبنان

الجنان الجنبلائي، العابد الزاهد، والعالم الورع، الذي أنشأ طريقة خاصّة بالتصوّف تُسبّت إليه، ووضع للنصيريين فقهاً خاصاً مستقلاً عن الفقه الجعفري عند الشيعة

لقد استفدنا من مخطوطات عديدة، في مكتبات عامّة في الغرب والشرق - لا نسمّيها حفظاً على سلامتها - كما وجدنا مخطوطات أخرى عند أشخاص علويين وغير علويين، يبغون نشر المعرفة على أن تبقى مطمورة في الربائد أو مخفية في رؤوس بعض مشايخ الدين.

هذه الكتب ليست كتباً مقدّسة، إنّما هي سرّية؛ ولا تتّصف بالوحي والعصمة واليقين، كالتوراة والإنجيل والقرآن، إنّما هي مراجع تدلّ على تعاليم ومعتقدات، أداها مؤلّفوها كما فهموها. وقد تختلف المفاهيم من كاتب إلى آخر بسبب سرّيتها ورمزيها، وعدم نشرها، واستحالة تداولها، وضالة الباحثين لتوضيح ما فيها.

غير أنّ هذا الاختلاف لن يقف حائلاً دون إقدامنا على نشر ما يجب نشره لمعرفة ما عند فئة فاعلة في مجتمعنا الشرق-أوسطي. وقد يكون لهذه الفئة فعلٌ فاعلٌ في إدارة شؤون المنطقة. ولا بدّ، لمعرفة مدى هذا الفعل، من معرفة عقيدة هؤلاء الناس، وتتبع مراحل تاريخهم. فهي خلفيات ضرورية لفهم تصرفهم في مجتمعهم وتعاملهم مع جيرانهم وسياستهم مع العالم.

وفي ظلّنا أنّ ما يقف حاجزاً أمام إدراكنا كنه السياسة الدوليّة هو تعامينا عن هذه الخلفيات الدينيّة والتاريخيّة، بحجّة أنّ ذلك يُشعل نيران الطائفية، ويشكّل خطراً على العيش المشترك، ويضع حداً للحوار بين الأديان.. هذه، في رأينا، حجّة بارعة لتبرير غباوة.

تقديم بقلم الشيخ موسى

العلويون واقع وتاريخ

غريبة هي هذه الطائفة التي تماثل معظم الديانات الباطنية في العالم من خلال سريتها، ولكنها تفرّد عنها جميعاً باستمرارية غريبة، إذ إنّ معظم الفرق الباطنية قد كانت تنشأ وتخبو بتأثير شخص ما أو عدة أشخاص يتحلّقون حول زعيم مدّع للكهوية.

ولكن هذه الطائفة هي الطائفة الوحيدة التي لم يثبت لنا التاريخ أن أنتمتها الذين تنسب إليهم الكهوية قد ادّعوا هذه الكهوية المزعومة أو أنهم قبلوا بها، بل نجدهم يحاربونها بالنار، والسيف، والصليب، وأمّا دعائها فهم ملازمون للأئمة يشيرون إليهم بالكهوية، كلّما قضى واحدٌ شاعت الأقدار قيام مدّع جديد يسمّي نفسه باباً ويدعو إلى عبادة الأئمة. وأبواب الذين قد تناوبوا على إعلاناتهم غير المبرّرة لأهوية الأئمة كلّما سنحت لهم الفرصة معرضين أنفسهم للموت والحرق والصليب، كما أنّ الأئمة قد تناوبوا على رفضهم تلك الإدّعاءات التّأليهية، ويضع هؤلاء الأبواب مؤلفات تثبت فرضياتهم على شكل رسائل وكتب ومسائل.

وإنّي أرى في هذا تفرّداً، إذ إنّ مدّعي الكهوية - على العموم - يُنكر ألوهية من سبقه لتتمّ له العبادة لشخصه - كما حصل مع التّروز -، ولكن العلويين يثبتون ألوهية شمعون الصّفا وظهوره بالمسيح، وألوهية هارون وظهوره ببوشع بن نون، وألوهية عليّ - بعد فترة من انقطاع - يُعيد نفسه في الظهور بذاته حتّى تتمّ الإزالات المتّلية التي يزيل بها الاسم ويشرقها فيزيلها ويظهر بمثلها كمثّل صورها تشريفاً لإسمه وهو لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه^١.

وقد وصلتنا هذه الكتب عن طائفة العلويين، سواء كانوا نصيريين أو إسحاقيين ولكن دراسة بسيطة لهذه الكتب تبين لنا أنّ هذه الكتب هي أقدم من أن

رتبة ما والجللي قد ركان قاتله عسكرنا عنده من قبل الدولة الجنداني، يمكنه ثباته للغة
 السيويانين من خلع فلاح عسكره من ممتلكاته، ولهم في التاريخ سبيلاً لثمويه شيخه
 بهذا الشكوى الغزيرة وقد أعزوه لاهلهم والبلدين انما رايه خمسة عشر راجع بعثنا
 احد من اولادنا ابا عبد الله علي بن الحسين السبني من ممتلكاته في التاريخ لثمويه
 السبني الشريف بامكان هذه السبني، وان علي امير المؤمنين لثمويه السبني لثمويه
 لا يمكن ان يجب ذرية، فكون هذه السبني نسبة ونسبة يكون لثمويه السبني لثمويه
 وينقض هذا الافتراض ان ابا سعيد الميمون يقول ان الشيخ الثقة (الجللي) كل ما يجب
 تعليم الهاشميين ويقول لهم: هذه بضاعتكم رتب اليكم.

وحتى هذه الخلافات التي قد ابتدعوها بين ابن خلّاد وبين أبي سعيد لم تكن على بابيّة أبي شعيب أو إسحاق الأحمر، ولكنها هي الخلاف نفسه الذي اختلف فيه بشار الشعيري مع المخمّسة حول اثبات الألوهيّة للإسم أم للمعنى تناقلوه وحملوه سنين طوالاً فهو موجودٌ في جميع كراساتهم، حتى التستور العلوي لم يخلُ منه خطأ في تعيين الألوهيّة وإثباتها للإسم (محمد) أم للمعنى الغاية (علي)، وهذا الخلاف يظهره كلاً ما اختلفوا على الرئاسة الدنيّة حتى قام أبو سعيد بإلغاء هذه الرئاسة تحت ظروف غامضة.

العلويون واقع وتسمية

جاء في كتاب الرجال للكشي أن مقالة بشار الشعيري هي: (أن علياً هو رب وظهر بالعلوية والهاشمية وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمدية فالمعنى أنهم ادعوا ربوبية علي ع وقالوا إنه ظهر مرة بصورة علي ومرة بصورة محمد وأظهر أنه عبد الله مع أنه عين الله وأظهر رسوله بالمحمدية مع أنه عينه.)

و في بعض النسخ: (أنه هرب وظهر بالعلوية الهاشمية وأظهر وليه من عنده ورسوله بالمحمدية أي هرب علي مع ربوبيته من السماء وظهر بصورة علي وأظهر رسوله بالمحمدية وسمى وليه باسم نفسه وأظهر نفسه في الولاية قوله وأنكروا شخص محمد ص أي أصحاب أبي الخطاب وافقوا هؤلاء في ألوهية أربعة وأنكروا ألوهية محمد وزعموا أن محمداً عبد ع وع ب فالعين رمز علي وب رمز الرب أي زعموا أن محمد عبد علي وعلي هو الرب تعالى عن ذلك. وأقاموا محمداً مقام ما أقامت المخمّسة سلمان فإنهم قالوا بربوبية محمد وجعلوا سلمان رسوله وقالوا بانتقال الربوبية من محمد إلى فاطمة وعلي ثم الحسن ثم الحسين. قوله وجعل محمداً ع ع أي عبد علي)

و نحن نعلم أن هذه العقيدة هي عقيدة أبي شعيب فهذه الأسباب قد دعّتنا لأن نسمي هذه الطائفة بالعلوية إذ أن أقدم مصدر وجدناه في ذكر عقيدة بشار الشعيري يطلق عليها اسم العلوانية، ولو سميناها باسم شخص ما لكان أصح تسمية نسميها به هي بالسبائية، ولكنّا اعتمدنا التسمية الرائجة لأننا وجدناها أقرب إلى الحقيقة.

و هذا التراث قد اعتمد جميع المؤلفات الباطنة الخاصة بالمذهب الاثني عشري الشيعي الامامي إلا أنه لم يعترف بالسقراء الأربعة الذين كانوا أبواباً للإمام الأخير محمد بن الحسن، على الرغم من أن العلويين يعترفون بإمامته وقيامته وكرته البيضاء، ولكن قيام أبي شعيب بإعلان الباطية قد ساهم في تناسي وجود إمام ثاني عشر طالما أن بابه حاضرٌ موجود.

رسائل شيوخ الدين (الكتب الباطنة)

تحتل الكراسات التي ننشرها هنا لأول مرة على اسم الكتب الباطنة، وهي كراسات صُنفت من قبل الشيوخ الأربعة الذين يطلق عليهم تسمية شيوخ الدين، والذين قد تم الإجماع على تعليمهم، ولا خلاف بين العلويين عليهم سواء كانوا كلزيين (نورانيين) أم ماخوسيين (غيبيين) أو حتى اسحاقيين، ونجد في بقايا مؤلفات اسماعيل بن خلاد استشهادات كثيرة بهذه الرسائل، ويتم الاستناد إلى هذه الكراسات كما يتم الاستناد إلى القرآن، لا بل وترجع على القرآن إذا ما تعارضت معه. وعلى أي حال فإن رجال الدين يمنعون أي تعارض بينها وبين القرآن باستخدام التأويل الباطن ويمكن لهذا التأويل أن يقلب معنى الآية كأن يفسر الإمام بالخلف والخلف بـ (القدام^١) كما جاء في الرسالة الرستباشة للشيخ الخصيبي وقس على هذا الكثير.

فالكلازيون والغيبيون يستندون في إثبات حججهم وفي نقض حجج الطرف الآخر إلى هذه الرسائل، ذلك أن تصنيف هذه الرسائل كان يعتمد على مسلمات لم تكن ثمة حاجة ملحة إلى شرحها، إلا أن طول المدة قد أدى إلى تناقض يحاول كل فريق فيه إثبات مصداقيته فيه على الفريق الآخر.

شيوخ الدين

أربع شخصيات يصبغون التاريخ العلوي بصبغتهم، وتجعل كتب العلويين ذوي مرجعية ثابتة وأصل واحد وفكر واحد. هذه الكراسات تتصف بالصقة القدسية الإلهية، وكل ما يعتمد عليها فهو ذو منشأ قدسي إلهي لا يعلوه أي إثبات ولو استند

^١ يحتج الخصيبي بقوله: (وشاهد ذلك من كتاب الله تعالى قوله: «أما السقينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأرذنت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سقينة غضباً»، ولو كان وراء خلقاً لما أدرهم الملك).

إلى القرآن الكريم وخطب نهج البلاغة للإمام علي، لأن هذا التراث متصل بالباب محمد بن نصير، والذي هو باب وحجاب لله تعالى، فهو سلمان وهو محمد وهو كل باب وكل حجاب، ولم يدمج الحجاب والباب إلا بشخصه، وخلفاؤه هم مستودعوا علومه، من الخصيي التي أبي سعيد الميمون الذي قد أخرج الذين بأخراجه النهائي ليكون آخر من امتدت يده لوضع لمسات على هذه الطريقة.

وتشتمل الرسائل على مصنفات قصيرة ومصنفات طويلة تختلف الغاية من تأليفها وتتفق جميعها حول مضمون العلو وأفكاره التي أستطيع أن أخصها بمختصر صغير.

مختصر الديانة العلوية

لا تتفصل الديانة العلوية عن الفقه الجعفري الاثني عشري لأنها امتداد للباطنية الاثني عشرية، فهي تعترف بإمامة الأئمة جميعهم ولكنها تقول أن مقام الإمامة هو عينه مقام الألوهية هذا المقام الذي سميته الحجة أو الإمام، ولكل إمام حجاب هو رسوله إلى الخلق. ويرى هنا تساؤل على غاية الأهمية يقول: لماذا نقول إن جميع الأئمة هم علي ولا نقول أنهم جعفر مثلاً، فما معنى العلوية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد من التطرق إلى معنى الغيبة والظهور فالغيبة هي غياب المعنى واستتاره دلالة من الفلك غياب القمر ليضع ليال، والقمر هنا هو صورة مثال للمعنى يكون هو الدليل والشمس هي السراج الواضح ونعلم وفق المذهب الشيعي قيمة الليل وفضله على النهار وتفضيل الصلاة فيه والمناجاة فيه على الصلاة والمناجاة في الليل فإن كانت الشمس هي الظاهرة بالنور فالقمر هو جوهر هذا النور وغياب المعنى بين كل قبة وقبة هو استتار حتى يظهر بذاته. وهكذا عندما يظهر علي بكونه ظاهراً بصورة المعنى، وأحيل القاريء هنا إلى الرسالة الروستباسبية للشيخ الخصيبي، هو إظهاره لظهور المعنوية عن طريق الإزالات المثلية أي بغياب المعنى (وفاته ظاهراً) أي أن يظهر مرة أخرى بوصفي الإمام

يتطرق المذهب العلوي إلى سبع قبائل دالة على شجع ظهورها فهي القبلة المثلوية كالظهور لخطي وفي القبلة الموسوية كالظهور لشمس بن نور وفي القبلة المصنوية كالظهور لشمسون وهكذا أريد أن أشير إلى

فيكون وصي الإمام آدم قبل أن يصبح إلهاً بغياب المعنى فيه وظهوره كمثل صورته أي أن جعفر بقي على صورته المخالفة لصورة أبيه. ولكن أباه (المعنى) قد ظهر به دون أن يغير صورته، ولكن ظهور علي بن أبي طالب لم يظهر عن طريق الإزالة بإزالة صفة الاسم عن الابن وظهور الأب فيه إلهاً لأن ظهور علي بن أبي طالب كان بالتجلي الكامل للإله وظهوره إلهاً منذ طفولته وحتى غيابه، حتى يشرف اسماء له - وهو الحسن - .

وهكذا نفرق ظهور علي عن باقي ظهورات الأئمة. ويمكننا من هذا الباب أن نقول إن علياً ظهر في باقي الأئمة وليس صواباً أن نقول إن الأئمة ظهوروا في علي، والجميع واحد.

مشكلة كبيرة تظهر هنا تقول : إذا كان تشریف المعنى للإسم (أي لباقي الأئمة) عن طريق ظهوره فيهم كان بإبقائهم على صورهم السابقة، فهل كان المعنى ظاهراً بعلي بن أبي طالب فتكون صورة علي هي صورة الله ؟ يحينا المفضل بن عمرو في رسالته المفضلية بقوله : «ليست كل الباري، ولا الباري غيرها، وهي هو إثباتاً وإيجاداً وحياناً وبقيناً، ولا هي هو كلاً ولا إحصاراً ولا إحاطة»، فتكون هذه الصورة هي إثبات للظهور لا بمعنى أن الله محصور في هذه الصورة أو أن هذه الصورة هي كل الباري ومن هنا ينطلق التوحيد العلوي من مبدأ أن الوهية علي غير محصورة في هذه الصورة وأن هذه الصورة ليست كلاً على الرغم من أن علي هو «كل».

و أما عن الكون بموجوداته فهو -علوياً- صورة لله يتجسد الله فيه بالقمر والحجاب بالشمس، والباب بالسما، ويأخذ الوليان صورة النجمين الظاهرين بالسما، ويكون مقام كل نجم دالاً على مؤمن أو نبي بحسب قوة إنارته.

و أما عن المؤمنين فهم - كما يصورهم لنا كتاب اللفت الشريف - أنهم الطينة الحسنة وأن الطينة المالحة هي طينة المنافقين، وقد جمعهم الله سوياً وأورى لهم ذاته، ولما كان الله موحدهم وخالقهم فقد اعترفوا به -جميعهم- ببرهم وفاجرهم، وكان ظهور الله لهم حجة عليهم.

ثم كانت الهبطة وترمز لنا الهبطة إلى أصلنا السماوي، وهنا نعود إلى فكرة السماء والنجوم. وهكذا، وبظهور الله في عالمنا المختلط الذي نسميه هنا بالعالم الصغير المزاجي البشري كانت المحنة، فقد دعت الطينة الحسنة أهلها إلى الاعتراف بالله، وأما ما نسميه بـ الطينة المالحة، فقد أنكرت معنوية الظهور الإلهي فحق على من انتمى بطينته إلى هذا المنبت أن يتردد في الهياكل المسوخية، كما أن من آمن بالظهور الإلهي فقد أوجب له بإيمانه أن يعود -بعد هبطته- بعملية نسميها هنا (التمحيص) بأن يعود إلى السماء ليكون نجماً يعلو بمقامه بحسب مرتبة إيمانه.

ويكرر المشايخ هذه الأفكار ويوجدون لها الاثباتات والتعاليل موضحين صحتها كل على طريقته معتمدين على التأويل الواردة في كتب شيوخ الدين.

التاريخ العلوي

إن تعاقب شيوخ الدين على التاريخ العلوي جعلنا نقسمه إلى مراحل أو حقبات تنقسم كل حقبة بروية فرضت عليها روحانية معينة ووجهتها باتجاه معين كان التأثير فيه يقع على العامة ولكن المتحكمين بهذا التأثير هم قلة من - الأمراء - أو المشايخ، ويمكننا هنا أن نقسم التاريخ العلوي إلى حقبتين هامتين.

الحقبة الأولى: وتشمل ما قبل ظهور محمد بن نصير النميري، لم تكن قد تحدت فيها ملامح الصورة العلوية على وجه التعيين، والكراسات التي وصلت إلى أيدينا عنها هي مجموعة من مصنفات زاهر بن سنان والمفضل بن عمرو الجعفي، والتي تدور مواضيعها حول التناسخ، وحول كون الله وحدوده واحتجابه، ولكن الروايات التي وصلتنا عن المعتقدات التي كان ينادي بها بشار الشعيري وعبد الله بن سبأ لا تختلف عن تلك التي نادى بها محمد بن نصير النميري والملقب بأبي شعيب بل تنطبق عليها انطباقاً مطلقاً، مما يدلنا على أنه قد تبنّاها كما كان الأمر مع اسحاق الأحمر والخلاف الذي نشب بينهما قام أولاً على فكرة قيادة الجماعة بتعيين أنفسهم كل واحد بمنصب الباب للإمام الذي كان مثلاً لله على الأرض. ودليلنا على ذلك هو اعتراف أبي شعيب أن كتاب الأكوار والأدوار موجود عند إسحاق الأحمر، لا بل وقد كان يحضر التعليم مع محمد بن جندب، مما حدا به إلى ادعاء البابية، واستشهاد اسماعيل بن خلاد (الاسحاقي) بالخصيبي (النصيري) ومحاولته - كما

يقول أبو سعيد- تزوير أبيات الخصيبي ليتمكن من الاستشهاد بها على ما يناسب آراءه، ولو لم يكن الخصيبي يمثل وجه العلويين الأعظم لما قام إسحاق لا يعترف ببابية أبي شعيب بالاستشهاد به كدليل لا يقبل النقض، وأبو شعيب نفسه يستند إلى مصنفات إسحاق الأحمر، ولكن ظروفًا يأتي شرحها فيما بعد ساهمت بتغليب القائلين ببابية أبي شعيب على أولئك القائلين بإسحاق الأحمر، وتمتد هذه الحقبة حتى تشمل محمد بن جندب والسيد الجنان تلميذه الشهير والذي نسبت له الطريقة الجبلانية وهذه الطريقة لا تختلف مع طريقة السيد أبي شعيب إلا أن السيد الجنان الجبلاني الفارسي قد عمق الرابطة بين الشريعة والحقيقة، فيكون بطريقته قد ساهم في زيادة الرابطة بين طبقة الملتزمين وبين هذا الإيمان المرتكز على الوهية علي ووحدانيتها.

الحقبة الثانية: وهي تختلف عن الحقبة الأولى كونها قد تراكمت مع قيام أول دولة علوية في التاريخ وهي الإمارة الحمدانية.

ذلك أن خموداً في الدعوة العلوية رافق غياب محمد بن نصير الباب الشرعي للإمام، وهذا الغياب لم يرافقه تعيين خليفة ثابت له طالما أنه وبحسب التراتبية العلوية فإن الأبواب قد انتهت والحجب، وهكذا حدث ذلك الخمود والذي استمر برهة من الزمن تسلم فيه الابن الروحي الأكبر زمام الأمور وكان هو الجنان، ولم يكن يدور في خلد أحد أن يظهر تلميذ فيما بعد هو الخصيبي بشخصيته الفذة والتي كانت محط إعجاب أساتذته منذ نعومة أظفاره، ذلك أنه قد امتلك موهبة كبيرة على الحفظ والاستنباط وربط النتائج، أضف إلى ذلك شخصية قوية تمكن من خلالها من إقامة أقوى العلاقات مع شخصيات كبيرة من الأسرة الحمدانية العريقة في التشيع، بالإضافة إلى حضوره إلى بلاط الخلفاء ومعاشرته مع عليّة القوم.

أذكر على سبيل المثال الكثير من المناقشات التي كان يقودها في البلاط العباسي مع المتصوفين الذين تنسب لهم هذه الطائفة، ولكن جرأته في إبداء رأيه سبب له الكثير من المتاعب سيما خلافه مع الحلاج صاحب الحظوة آنذاك لدى الأمراء. ولعلي أرى في تلك التهمة التي أراد الحلاج أن يلصقها بالخصيبي وكأنما

هي تقدير إلحقي لهذا ذلك لأن الناظر إلى التاريخ عيما في تلك الفترة التي انقش فيها الجواني والمخططات لا يجد الكثير من الباش في قديم شخص ما يزنا ويوجب عليه السجن والتعذيب، واستند هنا إلى فهم الفارق للتاريخ.

حيث أن الموكل بتعذيب الخصيبي - وهو رستباس الديلمي - كان يسنع على الخصيبي دينه ولم يكن يسنع عليه عمله، وهذا ما أكد لي أن التهمة التي قدمت للخصيبي بكونه زان هي تهمة لا أصل لصحتها طالما أن رستباس الديلمي العجمي عندما نافس الخصيبي أثناء تعذيبه اقتنع بفكرته، مما أدى إلى تغيير في سياسته تجاهه هذا التغيير أدى إلى تعلمه على يديه ليكون أول التلاميذ العراقيين.

وأرى هنا أن الخصيبي كانت غايته تعليم النخبة لهذه الطريقة خطة مدروسة منه للحصول على تلك الشعبية الكبيرة.

كل تلك الأمور أهله لأن يكون أستاذا بارعا تمكن ببراعته من اكتساب ودّ داود بن حمدان الذي أخرجته من السجن، وربطه التاريخ العلوي بأسرة آل حمدان العريقة. ولعلّ أمالا كبيرة كان يعلقها الخصيبي على تكوينه لدولة في فارس الدولة العظيمة التي كانت تشكل الطوق المحيط بالخلافة العباسية، ولكن أماله قد تحطمت لوجود التيارات القرظية في تلك المناطق ولأسباب أخرى يطول شرحها، كل ذلك جعل من حلب مقرا لا يمكن له تخطيه، ليعيش في بلاط آل حمدان معلما وسيّدا صاحب الكلمة الأولى في البلاط، أذكر هنا على سبيل المثال تلك الحادثة التي كادت تؤدي بأمراء آل حمدان أثناء ثورة والي أدنه، والتي قد أحبطت بقوى من الخصيبي وجعلت الأذنين يهرعون خلف زعيمهم للفتك به فانتحر من أعلى برج في قصره راميا بنفسه للموت السهل.

وإن كان بعض المؤرخين ينكرون علوية سيف الدولة الحمداني فإن بقاء أثره في منطقة الغاب والقرطاج مشتملة على عشرينين وهما عشيرة الكلبية،

يقول كتاب النسب الشريف - وهو كراس يحتوي على تلاميذ الشيخ الخصيبي - أن الخلاج قد ادعى على الشيخ الخصيبي أنه زان وقد عومل الخصيبي حينها على عادة أهل فارس في معاملة الزناة بالتسخيم، وهو أن يوضع على جمل أجرب ويذهن وجهه بالسواد ويطاف به في الأسواق. عادة فارسية قديمة استعير بها عن رجم الزاني أو جلده، وتقضي بمسح وجهه بالسواد وتسييره على حمار أو جمل بشكل مقلوب.

راجع كتاب هداية المسترشد وسراج الموحّد لأبي صالح الديلمي، وكتاب النسب الشريف للزجاج.

وعشيرة القراحلة، يثبت أصلاتهم. على الرغم من أن هاتين العشيرتين فريدتان في التاريخ العلويّ بعدم وجود مشائخ فيهما ممّا حدا بهم إلى استقدام آل بثمان الغساسنة ليكونوا شيوخاً دينيين عليهم، ممّا يثبت لنا أن الغساسنة كانوا شيوخاً تقليديين وزعماء ثابتين لسكان جبال العلويين على مدى الدهور، ويؤكد قولي هذا مسائل نصر بن معالي الخرقى الغساني المنتسب إلى عائلة الأمير جبلة بن الأيهم الغساني الشهير - والذي أشرف بانتسابي إليه -، وكتب السّياحة التي ألّفت في فترات الانحطاط العلويّ للباحثين عن أبناء الأمير رائق بن خضر الغساني، وأبناء الأمير حسن بن يوسف المشتهر بالمكزون السّجاري فيما بعد.

ولا يمكن إثبات وجود قويّ للشّيعّة في حلب طالما أن الذين تعرّضوا لغزوة السلطان سليم لم يكونوا سوى علويّين ممّا سبّب فرارهم إلى جبال العلويّين.

ألّف الخصيبي رسالتين كانتا أساساً للذين العلويّ وهما : الرسالة الرّسبّاشيّة، وهي مجموعة من التعاليم والشّروحات حول مجمل العقيدة العلويّة، وفقه الرسالة الرّسبّاشيّة، وهي تعليقات أوردتها الخصيبي دونها فيما بعد ونقلها إلى رستبّاش الخصيبي على يد تلاميذه دون أن يزوروه.

وللخصيبي مرويات عدّة أذكر منها على سبيل المثال : آداب عبد المطلب، والمراتب والدرج، والأدعية، وقد خلفه في منصبه الديني السيّد الجليّ، والذي قتم كتابين هامّين هما : باطن الصّلاة، وحاي الأسرار، ورسائل كثيرة تجدها في هذه السلسلة.

وبزوال الأسرة الحمدانية وقيام دولة ثانية هي الدولة المرداسية، ظهر فتور بين القائد العلوي وبين الأسرة المرداسية التي تبنت فكرة اسحاق الأحمر ممّا حدا بالجلي إلى نقل مقره من حلب إلى اللاذقيّة ممّا شكّل هجرة كثفت الوجود العلوي في منطقة الساحل السوري، وأنت إلى نقل مقر قيادة العلويين إلى العاصمة الجديدة.

وقد خلف الجلي في منصبه الديني أبو سعيد الميمون بن القاسم الطبراني، والذي كان آخر قائد علويّ قويّ وصاحب كلمة ونفوذ، قام هذا القائد بتقديم نظريته النهائية حول الشريعة العلوية وقتم الدّستور بشكله الكامل والنهائي وقام بوضع الأسس العلوية على صورتها النهائية، ولكنه قام بعملية الغاء منصب القيادة الروحية

للطائفة، ولعلّه قد هاجر في آخر أيامه إلى طبرية بعد قيامه بقتل أبي ذهيبة اسماعيل بن خلاد والي الأسرة المرداسية على الأندلس وأمير الشرط فيها ممّا أدى إلى وفاته الغامضة.

ولعلّ جميع هذه الأسباب قد جعلت من مؤلفات السادة الأربعة أصحاب الرأي في العقيدة أسساً وأركاناً وجعلت من مؤلفاتهم قانوناً لا يمكن تجاوزه - أو الزيادة عليه - ولم يُعلم أنّ أحداً قدّم بعد مؤلفاتهم كتاباً يمكن أن يكون مرجعاً أقوى من مؤلفات شيوخ الدين الأربعة.

كلّ هذه الأسباب جعلت من هذه الرسائل والمصنفات قانوناً ثابتاً تستند إليه الشريعة العلوية.

خصائص مؤلفات شيوخ الدين

تتسم مؤلفات شيوخ الدين بطريقة غريبة في الشرح باعتماد الظاهر للوصول إلى الباطن والاستناد إلى القرآن بطريقة التضمين، وهذه الطريقة تجعل القرآن ذا وجوه، إذ أنها تستخدم المماثلة بين شينين مادّيّ وروحيّ لاستنباط حكم على تعليم روحيّ من خلال التشريع الماديّ أو القصصيّ التاريخي.

وقد تكون هذه الطريقة غير مألوفة، ولكن المتطلع إلى خباياها يجد سهولة الاستنباط فيها، ويجد استحالة انتهائها بل إنّ زيادتها ترجّح استمراريتها وتشعبها كلّما تعمّق الباحث في الغوص والتفسير.

ولمّا كانت هذه الطائفة هي جزء من تاريخ التصوف الإسلاميّ فإنها التزمت أفكاراً صوفية تجعل من قضية البحث عن أسرار الوجود البشريّ والإلهيّ قضية خاضعة لتجذّر ضمن فرضيات تحتمل الإثبات أو النقص بحسب قوة الأدلة المقدّمة، وفي حين التّعارض - وكثيراً ما كان يتمّ - فإنه يكون هناك الانشقاق.

تدوين مؤلفات شيوخ الدين

إنّ فتوى ابي سعيد الميمون بتحريم بيع هذه المخطوطات في كتابه «حاوي الفتاوي» جعل من مسألة تدوينها وتناقلها أمراً بالغ الأهمية، يختصّ به المشايخ،

ويمنعونه عن العامة جعل هذه المخطوطات تحظى بسرية قل نظيرها بين مخطوطات العالم.

ويتمّ تعليم هذه المؤلفات للشّاب بعد تسلّمه للدين بفترة تتراوح بين بضعة أشهر وبضع سنين، ومن التقليد والعادة أن يستلم التلميذ رسائله هذه في مجلس عند سيده الديني والذي يلقيه بالعلم أو السيّد، فكم كنّا نشعر بهذه اللذة عندما نجلس متربعين بين إخوتنا الدينيين متحلقين حول نسخة ننقّ بها بقدر ما يظهر عليها من القدم والعفونة، ونحن ننسخ بدواة نفتخر كلّ واحد منّا بنسبتها إلى شيخ يزيده طول المدة تقدّيساً، جاهدين على نقل أكثر الملاحظات والحواشي غموضاً، مع نسبتها بذكر اسم ناسخها واسم قائلها. مضيفين إليها ما شئنا من استحسان وتوقير لها ولقائلها.

وكم كنّا نقطع المسافات الطويلة متكبّدين الأخطار للحصول على نسخة من مخطوط يحتفظ به شيخ ما، وكثيراً ما كان يمنعنا عنها حباً بالاستئثار بالمعرفة، متعللاً بعدم تأهيلنا للحصول على هذه المعرفة.

نداء إلى الإنسان العلوي الحرّ

أخي العلويّ قد تعلّمنا من رسالة الأندية للسيّد الجليّ أن الاسم قد اُشار إلى المعنى بسبعة أندية كان أولها في عالم الأرواح، وقد كان غير كافٍ، فكرّر نداءاته بلسان عبد الله بن سبأ ولسان محمد حجابيه ولسان بابيه أبي الخطّاب ولسان المعنى نفسه على منذنة الكوفة فصرّح بأنّه الأول والآخر والظاهر والباطن، والشيخ الخصيبي -- شيخ الدين -- قد دعا لهذا الدين في جميع الملل والأقالييم فدعا سبعة عشر عراقياً وسبعة عشر شامياً، دعا صابئة حرّان ومجوس إيران، والعرب الأقحاح والأكراد، لم يثنه شيء عن عزيمته في إظهار معنوية أمير المؤمنين.

ونحن نتبع خطى شيخ الدين في إظهار هذا المذهب إلى العموم واعلم يا أخي أنّه ربّ أخ لك لم تلده أمك، فمن كان يظنّ أنّ رستبائش الديلمي سيتبع هذا المذهب وهو الموكل بتعذيب قائده، ولكنه عندما اطّلع عليه آمن به، فما يمنحك أن تكشف هذا العلم وقد قال رسول الله أن لكلّ شيء زكاة وزكاة العلم تعليمه.

أخي العلوي، لقد تعرّض أجدادك في تاريخهم لاضطهاد طويل وكان وفاؤهم لمعتقدهم يدفعهم إلى تجرّع الموت باذلين أرواحهم رخيصة أمام كتمان هذه العقيدة، ولكنّ القدر أقوى من إرادة الإنسان، فلم تلبث هذه المخطوطات أن تسرّبت إلى متاحف العالم لا يعتني بها أحد، ولا ينشرها أحد، ولا يجد الباحث في تاريخ العلويين بين يديه شيئاً يستند إليه، فكان أن ألّف المؤرّخون تاريخاً نسبوه إلى العلويين لا يمتّ بأغلب محتوياته إلى الحقيقة بأيّ صلة.

فانهض من كبوتك أيّها العلوي، وأظهر دعوتك، وانشر تراثك، فإنّ المخطوطات التي توارثها مشايخ العلويين تُظهر بياض تاريخك ونقاء عقيدتك، وتزرع عنك عاراً لم ترتكبه يوماً.

لقد استقرّ أجدادك في كهوفهم يتلون من القرآن قوله: «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْدَأَ»، ولكنّ ظروفها قد تغيّرت وأحكامها قد تبدّلت، فها هو العالم يُظهر خباياه، ولم يعد شيء بعدُ مستوراً فمن واجبك الآن أن تلتزم الآية التي تقول «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

لقد عبّد أجدادك النور وجعلوا سعيهم إليه غاية ما يرجوه الإنسان العلوي ليكون علوياً قبل أن يكون علوياً لأن غاية عقيدتك هي الصّقاء لتصبح نوراً سماوياً يدور في السّماء - التي هي سلمان-، بابك إلى الاقتراب من نور السّماء، فكيف تقبل على نفسك أن تمشي بعدُ في الظّلمة، أوليس يسوع المسيح يقول لك في الإنجيل: «ان كان احد يمشي في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم، ولكن ان كان احد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه» ومحمّد يقول: «الشّاة السّاردة يتخطّفها الذّئب، والمؤمن السّارد يتخطّفه الشّيطان».

و اعلم أنّه لا يمين للولد فوق يمين أبيه ولا للعبد أمام مولاه، فإن كان يمينك يمنعك من إظهار مذهبك، فإنّ الإمام الصّادق قد دعا إلى إظهار هذه الكتب كواجب على كلّ موحد، فلا مبرر لك أمام مولاك بإخفاء هذه الكتب. بل من واجبك إظهارها كما هي، وقد جاء في توقيع الامام المنتظر - الذي ينتظره كلّ علوي - كتاباً يحضّك على هذا الكشف ويقول: «جعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في

عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحد من موالي وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق وينتهوا عما لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه فكل من فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فلقد حلت عليه اللعنة من الله وممن ذكرت من عباده الصالحين».

أظهر باطنك لأنه لا كلمة لك فوق كلمة مولاك، ولا يمين لك فوق يمينه ولا يد لك فوق يده وقد قال الله في كتابه: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَالِ عِصْمَةٍ أُجْرًا عَظِيمًا»

و اعلم يا أخي أنني قد وفيت ذمتي وأديت ديني، فأنا أرجو الاثابة من الله، فليكن هذا التراث رحمة على حملته كيلا يكون عليهم لعنة يوم تحل اللعنة والله ولي التوفيق وعليه الاتكال.

الشيخ موسى الطرطوسي

في: ١/ رمضان / ١٤٢٦

وراسة عامة حول مؤلفات محمد بن نصير

تتبع أهمية محمد بن نصير من كونه أول من دعا إلى معنوية الأئمة بعد غيبتهم، ولعل شخصيته قد شابها الكثير من التشويه، وليس غرضنا هنا الدفاع عنه بقدر ما تكون غايتنا هي السعي إلى معرفة الحقيقة التي لا يعلو فوقها شيء، ولعلنا نتحرى هنا المصادر في أبحاثنا لنصل إلى حقيقة محمد بن نصير، ونرجع ههنا إلى أن مراجعتنا للمرويات الشيعية تركز على انشقاق علي بن حكمة وابن بابا القمي بصفة مغالين، وقلما يذكر اسم محمد بن نصير.

إلا أن إثباتاً يدل على لعن الحسن الآخر العسكري لأبي شعيب محمد بن نصير يدل على عدم رضاه عنه، ولكن العلويين يعترفون بلعنته وكأن لعنته كانت على مرأى الكثير من الشهود ويبررون اللعنة بأنها رحمة، ويستشهد الميمون بن القاسم الطبراني في كتابه الموارد بحادثة يذكر فيها أن الخليفة العباسي المتوكل كان يطلب شيعة الحسن العسكري ليقتلهم، ولكن لعنة الحسن العسكري كانت رحمة عليه، إذ جعلت الخليفة يتركه لشأنه دون عقابه لأنه عرف أنه ملعون من قبل الإمام الحسن العسكري وهكذا تكون اللعنة رحمة من المولى لأبي شعيب محمد بن نصير!

ولعل ظروفها قد جعلت أتباع محمد بن نصير هم الأكثر عدداً فقد افترق الشيعة إلى متبعين للأبواب ومتبعين للسقراء^١.

و كان لمتبعي الأبواب قسمان هامان وهما

١. منهم من قال ببابية محمد بن سنان وغيره^٢.

٢. و منهم من قال ببابية محمد بن نصير.

^١ يختلف المخمسة عن النصيرية في بابية علي بن حكمة، ومحمد بن موسى الرقي، ومحمد بن الحسن النجيلي. وأما السقراء الأربعة فهم: أبو محمد عثمان بن سعيد السمان العمري، إبنه جعفر محمد بن عثمان، أبو القاسم بن روح النوبختي، أبو الحسين علي بن محمد السمرى.

^٢ مثل علي بن جبلة القمي ومحمد بن موسى الشيعبي وغيره

وأبو شعيب محمد بن نصير لا يُعرف له ابن اسمه شعيب، وله ولدٌ زاهدٌ يدعى جعفر ولذا قيل أبو جعفر، وجعفر هذا زاهدٌ ومذكورٌ بكثرة في الرسالة القشيرية دلالةً على اعتناقه فكرة التصوف وعلى تلازم هذه الفرقة مع المتصوفة سيما وأنَّ السريَّ السقطي والجنان والجند هم من أتباع هاتين الطريقتين وهما: الغلو، والتصوف.

مؤلفات محمد بن نصير

لم تصلنا جميع مؤلفات السيّد أبي شعيب أو مروياته، ولعلَّ قيام البعض بتشذيب مؤلفاته قد أخرجها بشكل جديد وحلّة جديدة فتتأسى العلويون الكتاب الأصلي كما حدث مع كتاب مجموع الأعياد للشّاب النّقة ميمون بن القاسم الطبراني إذ أنه يعترف أنَّ كتابه من وضع السيّد أبي شعيب، ولكن لمساته كانت أكبر من لمسات الناقل، بل إنه قام بعملية الدمج والاختراجه والاستنتاج، وكذلك فقد امتدت يده إلى كتاب الكافي للضدّ المنافي.

فقد أخذ الميمون بن القاسم الطبراني محتويات كتاب الكافي للضدّ المنافي: وأبعده عن جوّه العام حول الخلاف بين أبي شعيب محمد بن نصير وبين اسحاق الأحمر وجعله للبتّ بالخلاف بين الشّاب النّقة وبين اسماعيل بن خلاد، حتّى أنَّ كثيراً من العلويين قد ظنّوا أنّه هو الكتاب عينه سيما وأنَّ الشّاب النّقة ميمون بن القاسم الطبراني لم يغيّر من اسم الكتاب حتّى جاء الشّيخ محمد كلازي الأنطاكي وقال في كتبه أنَّ هذا الكتاب الذي يتناقله العلويون هو غير كتاب الكافي للسيّد أبي شعيب، وأنَّ كتاب السيّد أبي شعيب لم يعد موجوداً، ونعلم أنَّ حادثة فقدان كتاب الكافي للضدّ المنافي قد حدثت في حرّان وفي عهد الشّيخ الخصيبي، ولكن الشّاب النّقة يورد الكتاب في معرض بحثه حول تعليم التّستور وأنّه اطلع عليه ويضع تعليقاً جانبياً كثير الأهمية يقول فيه أنَّ قلّة هم الذين قد اطلعوا على هذا الكتاب، ونرجّح هنا تناقله على أوساط ضيقة، ولكن ناقل رواية فقدانه في حرّان يقول أنّه قد كلف عبداً بتعريضه للشمس خشيةً من التلف الحاصل من تبلله من الماء ولكنه قد اطلع على محتوياته فوجده يبحث حول الكيمياء وأساليب تحصيل المعادن الرخيصة وتحويلها إلى معادن ثمينة وأنّه كتاب عامٌ حول الكيمياء والطب ولكنّه يضيف في الوقت نفسه أنّه يحتوي على شتائم للكثير من الصحابة منعت صاحبه من الاعتراف

به خشية من الحاكم، ويبقى الكتاب -في حال وجوده- متناول على نطاق ضيق، ولي قناعة بعدم توفره على الأقل في جبال الساحل السوري لأنني قد اطلعت على أكبر مكتبة علوية على الإطلاق وهي مكتبة الشيخ عمران قبل أن يفرقها أولاده فيما بينهم ولم أجد أثراً له، ولكنني سأبحث الآن فيما وردني من مؤلفاته ومروياته.

كتاب باطن التكليف : هذا الكتاب أيضاً هو كراس صغير وغير متناقل على نطاق واسع سيما في جبال العلويين ومحتوياته تدل على طريقة استنتاج أحكام الشريعة فهو يتناول الشريعة كما يتناولها السيد الجلي في كتابه باطن الصلاة مع تعاليل دالة على معانيها وعلى فهم واسع للشريعة ينطلق من قضية ثابتة في نظره وهي أن الشريعة هي الوجود بأكمله وأن الشريعة هي تطبيق للحياة ولم أتمكن من نساخته لأن صاحبه قد افترض علي ديناً ثقيلاً ثمناً له وهو أن أؤمن بطريقته في عبادة القمر وهو ما يعرف عني إنكاره.

كتاب الموارد : يشتهر هذا الكتاب بكتاب الموارد وتحفة لكل وارد وهو عبارة عن تعليقات على جميع كتبه ومنتخبات غايتها الاختصار لم يقدم فيه الكثير، ولكنه أوضح فكرة الفرق بين الصورة والمثال كما أوضحها في كتابه الشهير المثال والصورة.

كتاب المثال والصورة : ويبحث في الفرق بين الاسم والمسمي ويثبت أن الامام الصامت الذي يسمونه الوصي هو المثال وأن الصورة هي الإمام القائم .

كتاب المجالس النميرية : وهو كتاب مليء بالأقاصيص التي تروي الخلافات والمناقشات والمشاجرات التي كانت تتم بين السيد أبي شعيب محمد بن نصير وبين آخرين والكتاب ذو قيمة عظيمة على الرغم من اشتماله على خلافات عميقة.

كتاب الأكوار والأدوار: يُعد هذا الكتاب هو الأهم بين مؤلفات أبي شعيب محمد بن نصير، وتتبع أهميته من الموضوع البالغ الأهمية الذي يتطرق إليه، فإذا كانت جميع مرويات محمد بن نصير قصيرة ودالة على أشياء محددة ، فإن هذا الكتاب يذكر وجود الكون بأكمله. ويشرح تكوينه، ويضعه في قالب غريب عن الفهم مليء بحركة الوجود والأكوان دالة على اختراع الله للكون. وقد روى الكتاب عن عبد الله بن غالب الكابلي. وهو باب المطلع الرابع أي مطلع علي زين العابدين بن

الحسين بن علي بن أبي طالب. وأول ما يسأل فيه السائلون عبد الله بن غالب عن اسم الله، ومتى تسمى.... وما الحد بين إرادة الاسم في تسميته لنفسه وفي النطق باسمه، وعن الاحتجاب وعن الكون النوراني وكون الممازجة.

يبتدئ الكتاب بذكر المعنى والحجاب، وظهور النور بصفة قوس قزح (قوس الله) والفرق بين لوني القوسين وتشعبهما وهنا يظهر اسم الله بالقدرة وهو ظهوره بالأكوان.

يعالج الكتاب الله وكأنه قام بتكثيف الحيث وتلطيفه وبسطه وتحليله ورجرجته ولحظه. ومواقف الخشوع والحبس بالحس وأحوال التجسد والقدرة. والتفرق في الحيث إذ الحيث هو القشرة

و يدل على ست مواد للإرادة وهي الامداد واللحظ بالتحديث والملاحظة بالجمع والملاحظة بالإزهار والبدو بعلم الإرادة والحجب بحيث الحجاب، وهذه الست مواد هي الست أيام للخلق ويمثلها بملاحظة الإرادة للسماء بالتكوين، والتبريج (وضع البروج)، والطرق (جعلها طرقاً)، والتطابق بالانفطار، والسقف (بسقفها)، ثم معاودة الملاحظة لتسميتها سماء.

وأن الأكوان الخمسة هم الأيتام الخمسة، ويشرح الكتاب بمجمله تطور الكون الإله والربط بين الكون وبين جماعة المؤمنين هو ربط واضح ذلك أن العقيدة العلوية قائمة بأكملها على هذا الربط لأن أمل العلويين هو العودة إلى الروحانية والروحانية العلوية هي النورانية عينها بالتدرج في المراتب الفلكية.

فِيهِ بِمَرَادٍ مُرَادٍ كَوْنِهِ فَعَيْبُهُ فِي ذَاتِ ذَاتِهِ لَا فِي ذَاتِ غَيْرِهِ فَكَانَ
 بِذَاتِهِ غَائِبًا عَنْ وُجُودِ ذَاتِهِ لَا يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ بِهِ هُوَ الَّذِي عَيْبُهُ بِلِي
 حَيْثُ وَلَا ذَاتَ فَلَمَّا تَمَثَّلَ لَهُ الْمِائَةُ أَلْفُ كَوْرٍ عَاوَدَهُ الْمُرِيدُ لَكُونَهَا
 فَذَهَبَ ذَاتُهَا عَنْ وُجُودِهِ إِذْ وَجُودُهُ مِنْ حَيْثُ إِيجَادِ مُوجِدِهِ
 الَّذِي أَوْجَدَهُ كُلُّ مُوْجُودٍ وَنَظَرَ إِلَى حَيْثُ ، فَإِذَا هُوَ بِلَكُونِهِ فِي
 مَبْدَأٍ مُبْدِئِهِ الَّذِي كَوْنُهُ وَالْحَيْثُ مِنْ قَبْلِ تَكْوِينِهِ فَأَبْدَى لَهُ التَّسْلِيمَ
 وَالْإِقْرَارَ بِالشَّهَادَةِ لَهُ ، فَبَدَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » فَأَمَدَهُ
 بِالْإِقْرَارِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ لَا يُجَدُّ فِي جَمِيعِ الْحَيْثُ
 الْأُذُلِ إِلَّا ذَاتُ كَوْنِهِ ، وَكَانَ وَجُودُهُ لِكُلِّ ذَاتٍ مِنْ حَيْثُ
 أَوْجَدَهُ أَرْزُلُهُ وَغَايَتُهُ الَّذِي بِمَرَادٍ كَوْنِهِ لِذَاتِهِ كَوْنُهُ فَلَمَّا أَتَمَّ لَهُ
 مَدَى مُرَادِهِ فِيهِ أَبْدَاهُ قِبَالَ الْحَيْثُ وَتَوَسَّطَ بِهِ فِي كَيْفِيَّةِ
 الْكَيْفِ فَنَاجَاهُ خُطَابًا وَأَبَانَ لَهُ نُطْقًا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَوْجِدْهُ
 خُطَابًا قَبْلَهُ وَلَا نُطْقًا سَبْقَهُ وَلَا أَوْجَدَهُ أَنَّ لِذَلِكَ وَجُودًا
 أَوْجَدَهُ فَكَانَ يَطْلُبُهُ لِيُوجِدَ فَنَادَاهُ بِإِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَّ الْكُونَ وَالْمُرَادُ لَهُ وَمِنْهُ يَكُونُ إِلَيْهِ وَمِنْهُ يَكُونُ مُرَادُهُ كَوْنُ
 مَا كَوْنُهُ مِنْ كَيَانٍ لِأَنَّهُ أَبْدَاهُ بِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَأَمَدُهُ الْأَزْلُ يَعْلَمُ
 الْإِفَاقَةَ مِنْ سُكْرَةِ الْإِبَانَةِ فَرَاجِعُ الْمُرَافَقَةِ فِي حَيْثُ وَأَمَدُهُ بِالْبَسْطَةِ
 وَالسَّلْطَنَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى يَدَيِ التَّكْوِينِ يَبْدُو وَكَوْنُ فَرَاجِعِ الْمَلَاخِظَةِ
 لِلْحَيْثُ فَلَمْ يَحْظَ مَا أَبْدَاهُ مِنْ نُورٍ فِي مَبْتَدَأِ إِرَادَتِهِ لِتَكْوِينِ وَهُوَ نُورُهُ
 الَّذِي كَثَفَهُ وَلَطَّفَهُ وَحَسَّنَ كَثِيفَهُ وَأَمَدَ لَطِيفَهُ وَأَوْسَعَهُ
 ذَهَابًا وَمَدَدَهُ سَرَابًا وَأَدْجَنَ مِنْ بَهْمِهِ وَقَتَمَ وَهْمَهُ، فَأَجْرَاهُ
 سَبْعًا وَأَعْلَاهُ رَفْعًا، وَبَاعَدَهَا عَنِ التَّلَاحُمِ وَحَسَّنَ كُلَّ جُزْءٍ
 مِنْهَا بِحَيْثُ إِرَادَتِهِ مِنْ كَوْنِهِ بِكَيَانٍ ذَلِكَ مِنَ التَّكْوِينِ مِائَةَ
 أَلْفٍ كَوْرٍ، ثُمَّ عَاوَدَهَا بِالْمَلَاخِظَةِ ثَانِيَةً وَهِيَ يَكُونُهَا قَائِدِي
 لَهَا إِرَادَةُ مَكُونِهَا بِالْمَلَاخِظَةِ فَخَرَجَتْ بِمَلَاخِظَتِهِ عَنْ كَيَانِهَا إِلَى
 كَوْنٍ إِرَادَتِهِ فَتَطَابَقَتْ السَّبْعُ طَبَقًا وَاحِدًا لَا فَرْجَ فَبَيَّنَّا
 فَكَانَتْ بِكَيَانٍ ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفٍ كَوْرٍ، وَقَدْ أَبَانَ ذَلِكَ
 بِالنُّطْقِ مِنْ تَكْوِينِهِ، فَقَالَ: سَبْعًا طَبَقًا ثُمَّ عَاوَدَهَا بِالْمَلَاخِظَةِ
 فَحَبَّلَهَا حَبَلًا فَكَانَتْ كَذَلِكَ مِائَةَ أَلْفٍ كَوْرٍ، وَقَدْ أَبَانَ ذَلِكَ

بذلك بانه ألف كور، ثم عاودها بالملاحظة فسفها ستوقا
ولو نخاصفوقا، وقد ايان ذلك بالنطق فقال: « وجعلنا
السماء سقنا محفوظا، فكانت بذلك بانه ألف كور، ثم
عاودها بالملاحظة فسماها باسمها سماء وهو مشتق لاسمه
الذي تسمى به فكان اسم وسماء شيئا واحدا ولكنه كبر اسم الأزل
ان يكون كاسمه فحل الألف من اسم اذ كان في أوله وفي آخر
سماء فاسم اسم وسماء سماء، فعوا هذا واعرفوه واعلموه
وتيسوا مراد اسم الله بتسميته بهذا الكون الذي كونه على
تعاظم هذا الوصف والكيان لما هو كائن وما اراد به ولما
يريد فهو تبا عظيم وسر كريم لا ينحصر عنه إلا ذورته، ولا
يعيه إلا ذورته. فقالت الجماعة يا محمد بن جندب
قل لعبد الله بن غالب: صدقت يا مولانا، ولا علم لنا بذلك
الإيمان حيث علمنا فقال: إن مولاي أمرني أن أكشف ذلك
لكم وأخرجكم إليكم ليزيد به ثقتنا في كل حين وأوان وعند كل
من جهل قرن. فقالت الجماعة: لمولانا - الشكر لله ولك

وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ وَأَقَامَ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ لِيَكُونَ
عِزًّا وَمِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ الْوُصُولُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ
ذَلِكَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ
فِي مَا يَتَعَامَلُونَ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ وَيَعْبُدُونَ بِهِ رَبَّهُمْ وَيَعْرِفُونَ
بِهِ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ يَكُونُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ دَلِيلٌ، وَجَمِيعُ
مَا خَرَجَ إِلَى الْهِنْدِ تِسْعَةُ أَحْرَفَ بِهَا حِسَابُهُمْ وَنَحْوَاتُهُمْ
وَإِنْ كَانَتْ التَّسْعَةُ مُخَالَفَةً لِأَشْكَالِ مَا تَكْتُبُ بِهِ الْآنَ
وَأُعْطِيَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهَا جُزْءًا مِثْلُ: أُجَيْدُ هَوَزُ وَغَيْرُهُ
وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا وَلَهَا عِلْمٌ مُعَلَّقٌ بِالْأَكْوَانِ
الْبَسِئَةِ يَطُولُ شَرْحُهُ. وَأُعْطِيَ السِّبْرِيَانِيُّونَ وَالْعَبْرَانِيُّونَ
اِثْنَانِ وَعِشْرُونَ حَرْفًا كَرَامَةِ الْكَلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَكَلِمَتُهُ
الْمَسِيحِ وَأَمَّا بَاقِي الْأَقْلَامِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْعَالَمِ فَدُونَ
ذَلِكَ وَشَرَفَتْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِشَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي أَنَّهُ أُخْرِجَ إِلَيْهَا الثَّمَانِيَّةُ وَالْعِشْرِينَ
حَرْفًا مِنَ الْعِلْمِ فَهُمْ يَتَعَامَلُونَ بِهَا وَانْضَافَتْ إِلَيْهَا «الْيَاءُ»

الْآدَمِيَّةُ مِنَ الْكُونَ النُّورَانِي وَالرُّوحَانِي مَا ذَكَرْنَاهُ وَاسْمَعِ
 أُذُنِيهِ وَأَنْظِرْ عَيْنِيهِ وَاشْتَمِّ مَخَارِجَهُ بِالْفُطُوسِ فَتَقْطُقِ الْحَمْدُ شَيْئًا
 ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا مِثْلَهُمَا صَارِقًا مِمَّا فَائِثًا بِهِ الْعَالَمُ عَلَى اقْدَارِهِ
 وَذَلِكَ بِالْحَمْدِ يَدُلُّ عَلَى رُوحِ الْقُدُسِ وَقَدْ نَصَبَهُ قَبْلَهُ
 لِلْعَالَمِينَ وَإِمَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلًا لِلْمُهْدَى وَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ
 وَلَا يُزَكَّى فَضْلٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا فَازَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ
 وَعَرَفَ سُبُوحَ مَلَأَتْكَ بِهِ لَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَهُمْ : إِذْ قَالَ
 رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
 فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١) فَأَمَّا
 الْحَمْدُ مِمَّا أَفْضَى مِنْ إِقْرَارِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْحَمْدُ شَيْئًا عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ
 وَعَلَى التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ - وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَمْدِ مِنَ الْفَضْلِ مَا يَطُولُ
 شَرْحُهُ ، فَتَحْنُ نُورِدُهُ وَنَوْضِحُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَتِهِ
 أَمَا قَوْلُهُ : الْحَمْدُ شَيْئًا ، فَالْحَمْدُ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَإِنْ
 فِي قَوْلِهِ الْحَمْدُ شَيْئًا مَعْرِفَةُ الْحِجَابِ ، فَقَدْ فَازَ مَنْ عَرَفَ الْحِجَابَ ،

كتاب الأكوار التورانية والأدوار الروحانية

رواية أبي عبد الله بن عتاب البصري عن أبي خالد عبد الله الكابلي
مرفوعاً إلى

السيد أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري
يعدّ كتاب الأكوار والأدوار من أهم المؤلفات العلوية، وقد شملت
أفكاره أسساً مكنت الشيخ الخصيبي وتلامذته من وضع الأسس
الثابتة، واستنباط النظام الشمولي للكون. بما قدّمه الخصيبي
في رسالته الرستبائية.

وكتاب الأكوار قد نقله بشار الشعيري ويونس بن ظبيان عن
حمران بن أعين، وإن كان حمران قد نسب له أبي حمزة الثمالي
فإنّي أشكّ في ذلك، وسأبين فيما بعد - إن شاء الله - أنّ
حمران بن أعين هو من وضعه، والشاهد على ذلك أجده من
كتاب المقالات العشر لحمران بن أعين. ومن الواضح أنّ دخول
محمد بن جندب وقوله لأبي شعيب: «إنّي سمعت كتاب الأكوار
عن إسحاق بن محمد فأبهرني شرحه وعظيم وصفه، فدخلت
على مولاي أبي شعيب محمد بن نصير إليه التّسليم وأنا مفتون
بما سمعت...» يدلّنا على تناقل هذا الكتاب بين جميع أوساط
الغلاة العلويين، ولكن وصوله إلينا عن طريق محمد بن نصير
جعلنا ننسبه عن طريق الخطأ إلى أبي شعيب - الذي يدّعي -
أنّه هو شارحه، ولكن الكتاب يثبت أنّ أبا شعيب لم يشرحه،

ونجد في الكتاب أن أبا شعيب يُخبر محمد بن جندب أن الشرح غير موجود عند إسحاق، ولكن إسحاق الأحمر يقول أن الشرح موجودٌ عنده ويقول له: «كانك تقول: إنه صاحب الشرح؟» ويرد عليه محمد بن جندب فيقول: «نعم كذا أقول» ويتابع محمد بن جندب فيقول: فوضع كتابه من يده وأخذ في إصلاح ردائه للخروج، فمدَّ محمد بن نصير يده فأخذ الكتاب ورفعهُ إلى وقال: احتفظ به، ونهض إسحاق وهو يقول: لا يزالون بمحمد بن نصير حتى يتخذوه رباً، وخرج ولم يطلب الكتاب. فقال محمد بن نصير: انظر في كتاب إسحاق بالموضع الذي شرحت لك ما لم يشرحه إسحاق، وعرفتُك أنه ما شرحه، فعدت أنظر فيه فإذا بجميع ذلك الشرح الذي شرحه لي محمد بن نصير في كتاب إسحاق. فقلت له: يا سيدي إني أجد شرحك كله كاملاً. فقال: هو كذلك، وإنما ستر عنه ذلك كما ستر عنه أخذ كتابه...

يشرح الكتاب وجود الله وكيانه وتكوينه للوجود كما تصوّره الطريقة العلوية، فالوجود فيها هو العالم الكبير النوراني بدرجاته وهم مراتب المؤمنين، وخلاصة العالم الصغير المزاجي البشري الذي يصفو فيه المؤمنون فيخلصون، ويُظلم الكفار فيفنون، ويربط الكتاب الوجود النوراني للمؤمنين بالكون والوجود المادي وفق أبجدية الظهور والتجلي. ولكن صعوبته وتداخل أفكاره الغامضة جعلت من شرح الخصيبي للكتاب على شكل رسالة مقتضبة أمراً على غاية الأهمية، سيما وأن الشيخ الخصيبي جعل رسالته على طريقة السهل الممتنع، وعلى الرغم من أن الكتاب لم يشرحه أحدٌ منذ عهد الشيخ الخصيبي إلا أنه يبقى هو المرجع الأكثر وثوقاً وأهمية في الفكر العلوي.

مقرّة

نبتديء على خيرة الله تعالى وحسن توفيقه بنقل كتاب الأكوار النّورانيّة، وشرح أكوارهم ومبداهم، وبيان أوصافهم بالقدم، ونعت الحجاب، وبدو كونه، وكون الباب، وكون العالم النّورانيّ وسبقه، وبيان ذلك وشرحه، وما أبداه مولاه سيّد العابدين الامام علي بن الحسين علينا سلامه، وكشفه حين دخول حبابة الوالبيّة والحصاة، وسؤالها له بعد ختم الحصاة عن بدو العالم، ومبدا الدّهور، رواية أبي عبد الله محمد بن عتاب البصريّ بإسناده عن سيّدنا أبي خالد عبد الله بن غالب الكابلي صلوات الله عليهم وعلى الصّفة المختارين وبالله التّوفيق والهداية.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله العليّ وحده حمد الشّاكرين، وصلواته على الصّفة المختارين السيّد محمد الأجل وآله أجمعين إلى يوم القيامة والدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. رواه أبو عنيّ محمد بن عتاب بن عبد الملك البصريّ في منزله بشارع البرامكة يوم الأحد تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست وعشرون وثلاثمائة. قال:

حدّثني محمد بن غياث عن محمد بن جندب عن إسحاق بن محمد النّخعي قال: حدّثني أحمد بن غياث عن محمد بن جندب عن سيّدنا محمد بن نصير صلعم قال أحمد بن غياث قال محمد بن جندب: إنني سمعت كتاب الأكوار عن إسحاق بن محمد فأبهرني شرحه وعظيم وصفه، فدخلت على مولاي أبي شعيب محمد بن نصير إليه التّسليم وأنا مفتون بما سمعت، فلمّا بصرني قال لي: يا محمد بن جندب أيّ أراك مسروراً، فقلت له: نعم يا مولاي إنني مستبشر فرح شاكراً لله مولاي على نعمته السّابغة، إذ يحبوني بمكنون مخزون علمه، ويخصني بحمله، قال: وما ذلك يا محمد بن جندب؟

خبر حبابة الوالبيّة والخاتم والحصاة

قلت: يا مولاي بما قد حدّثني إسحاق بن محمد، فقال: صدق إسحاق بن محمد بما حدّثك به. فقلت: إنّه قال: حدّثني محمد بن خالد بن الأشعث. قال: صدق محمد بن خالد بن الأشعث فيما حدّث به إسحاق. قال: حدّثني صالح بن عبد القدوس. فقال: صدق صالح بن عبد القدوس فيما حدّث به الأشعث. قال: حدّثه يونس بن ظبيان. فقال: صدق يونس بن ظبيان فيما حدّث به صالح بن عبد القدوس، قال: حدّثه بشّار الشّعيري، قال: صدق بشّار فيما حدّث به يونس بن ظبيان. قال: حدّثه حمران بن أعين. قال: صدق حمران بن أعين فيما حدّث به بشّار الشّعيري. قال: حدّثه أبو حمزة الثّمالي، قال: صدق أبو حمزة الثّمالي فيما حدّث به حمران بن أعين. قال: حدّثه جابر بن عبد الله الأنصاري. قال: صدق جابر بن عبد الله الأنصاري فيما حدّث به أبا حمزة الثّمالي، قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

كنت بحضرة مولاي عليّ بن الحسين زين العابدين علينا سلامه وتحيّته ورضوانه وبحضرته جماعة من العارفين، وسيدي أبو خالد عبد الله بن غالب الكابلي صنّوات الله عليه. وسعيد بن المسيّب جالس إلى جانبي، إذ دخلت علينا أم النّدا حبابة الوالبيّة سلام الله عليها فجعلت تتخطّى النّاس حتّى وقفت بين يدي مولانا، ثمّ إنّها خرّت ساجدة فقال لها إرفعي رأسك يا حبابة وإسألني عمّا شئت وعمّا جئت فيه وهلمّي حصّاتك التي معك حتّى أختمها لك بخاتمي هذا كما ختمها لك جدّي أمير المؤمنين وعمّي الحسن وأبي الحسين.

فاستوت جالسة ثمّ قالت لك ومنك البشري يا مولاي، هاك الحصاة، فأخرجت حصاة كالدرّة أضاعت لنا حتّى أعشى نورها أبصارنا وإذا هي مئنة الجوانب لها إثني عشر وجهاً وإثني عشر جنباً فأخذها من يدها.

وقال لها يا حبابة: اجتمعوا إليّ، وأقسموا عليك، أن تخلّصهم من حيرتهم هذه. فإنّها ليست بأول حيرة ولا بأخر سكرة فكم قد حاروا في الدّهور الماضية وكم سكرة لهم في أزمنة دائمة.

ثُمَّ اسْتَخْرَجَ مِنْ إصْبَعِهِ خَاتَمَهُ وَعَمِدَ إِلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْحَصَاةَ فَخْتَمَهُ فَلَقَدْ رَأَيْنَا الْخَاتَمَ يَجْرِي فِيهَا كَمَا يَجْرِي فِي الشَّمْعِ، فَلَمَّا رَفَعَ خَاتَمَهُ عَنِ الْحَصَاةِ قَالَتْ لَهُ: يَا مَوْلَايَ سَأَلْتُكَ بِحَقِّكَ الَّذِي أَوْجِبْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ إِلَّا دَفَعْتَ إِلَيَّ خَاتَمَكَ حَتَّى أَنْظُرَ فِيهِ.

فَقَالَ لَهَا: إِعْلَمِي يَا حَبَابَةَ مَا فِي نَفْسِكَ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى الْخَاتَمِ وَكَذَا سَأَلْتُ عَنْهُ نَحْسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَمَا سَأَلْتَنِي وَقَالَا لَكَ أَنْتِ مِمَّنْ تَلْقِينَهُ بَعْدِي. هَاكَ مَا قَدْ سَأَلْتَنِي يَا حَبَابَةَ، لَوْ لَمْ نَحْمَلْكَ حَمْلَهُ لَمَا أَطَقْتَ أَنْتِ وَلَا جَمِيعُ الْعَالَمِينَ الْعُلُوِيَّ وَالسَّقَلِيَّ حَمْلَهُ. يَا وَ اللَّهِ وَلَوْ لَمْ نَقْوَهُمْ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ لَمَا أَطَافُوا النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَلَهَلَكُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ شَعَاعٍ وَلَكِنَّا نَحْمِلُهُمْ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهَا الْخَاتَمَ.

فَأَخَذَتْهُ بِيَدِهَا وَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُهُ وَتَدْمِنُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَتْ: سَلَّمْتُ وَاسْتَسَلَّمْتُ لِذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَقَالَ لَهَا: قُولِي يَا حَبَابَةَ، فَقَالَتْ: أَطَلَقْتُ لِي الْقَوْلَ يَا مَوْلَايَ وَأَنَا أَقُولُ بِإِذْنِكَ وَإِزَادَتِكَ، سَأَلْتُ جَدَّكَ بِزَعْمِي وَهُوَ مَوْلَايَ بِزَعْمِي النَّظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ حِينَ طُبِعَ لِي بِهِذِهِ الْحَصَاةُ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ فَكَانَ هَذَا الْخَاتَمُ بَعِينَهُ. فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَمَّكَ بِدَعْوَايَ وَهُوَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ النَّظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ حِينَ ضُبِعَ لِي بِهِ هَذِهِ الْحَصَاةُ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، فَكَانَ هَذَا الْخَاتَمُ بَعِينَهُ، وَإِذَا عَلَيْهِ «مَكْتُوبُ اللَّهِ وَنَبِيِّ الَّذِينَ آمَنُوا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ»، ثُمَّ سَأَلْتُ أَبَاكَ بِاجْتِرَائِي وَهُوَ مَالِكٌ هَلَكِي وَبَقَايَ نَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ حِينَ طُبِعَ لِي بِهِ هَذِهِ الْحَصَاةُ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ فَكَانَ هَذَا الْخَاتَمُ بَعِينَهُ وَإِذَا مَكْتُوبٌ «اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ». وَقَدْ سَأَلْتُكَ الْآنَ النَّظَرَ إِلَيْهِ حِينَ خَتَمْتَ نَبِيَّ بِهِ هَذِهِ الْحَصَاةُ وَإِذَا هُوَ الْخَاتَمُ بَعِينَهُ وَعَلَيْهِ الْآنَ مَكْتُوبٌ اللَّهُ مَوْلَى الْفَائِزِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ. فَكُلَّ ذَلِكَ أَجَدَ الْخَاتَمَ مَا حَالَ عَنْ كَيَانِهِ وَلَا تَغَيَّرَ فِي عَيَانِهِ، وَقَدْ هَجَسَ نَبِيَّ سَوَالِكَ عَنْ بَيَانِهِ.

فَقَالَ لِي: يَا حَبَابَةَ عَظُمَ عَلَيْكَ كَوْنُ مَا نَحْنُ نَحْمِلُهُ وَنَمَكْنَهُ، وَلَمْ يَعْظَمْ عَلَيْكَ مَا حَمَلْنَاكَ إِيَّاهُ وَخَفَّفْنَا حَمْلَهُ عَلَيْكَ. فَتَأَمَّلِي حَصَاتِكَ وَاعْتَبِرِي بِهَا عَنْ سَوَالِكَ.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: وقد كانت حَبَابَة استخرجت الحصاة من جيبها حين دفعتها إلى مولاي، فإذا هي مدرجة في خرقة حرير صفراء تكون دون عظم الذراع، فلما ختمها أعادها إليه، وردتها إلى جيبها وقالت له: والله يا مولاي إنني خائفة من يد تسبق إليها وإنها ما تفارق جيبِي.

فقال: كذلك سيرناه إليك وحملناك إياه وألهمناك، وإنه لا يسعها بيتك ولا جيبك، فقالت له: يا مولاي إن في بيتي تابوتاً لو وثقت به عليها لوسع أضعافها.

فقال: ذلك ظنّ منك يا حَبَابَة وما أمرت به وأذن لك فيه.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: فأعادت حَبَابَة يدها إلى جيبها لتخرج الحصاة، وإنني لأرى المجلس الذي نحن فيه يتسع وسقفه يعلو، وسرير مولاي يعلو مع علو السقف. فمرة أنظر إلى مولاي وارتيائه على السرير، ومرة أنظر إلى السقف وترفعه على الجدران، ومرة أنظر إلى اتساع المجلس، ومرة أنظر إلى أصحابي الذين هم بحضرة مولاي هل ينظرون ما أنظر.

فما أخرجت حَبَابَة الحصاة من جيبها حتى رأيت جبال عمان وساحل العين وأقصى السويس الأسفل. ورأيت السقف في قطب السماء حيث تكون الثريا. ومولاي على سريريه بين ذلك في شعاع نور جائل يجري أسرع من هبوب الريح، مرة يمنة، ومرة يسرة، ومرة أنظر في مغرب الشمس، ومرة في مشرقها.

وبدرت يد حَبَابَة من جيبها، والخرقة في كفها، وحلت عنها، واستخرجت الحصاة من كفها، فإذا جبل أبي قبيس على كفها مائلاً وقد أحاط بالأرض فما أحده وهو يحتوي على أقطارها.

فخرت حَبَابَة عند ذلك لوجهها تخور. وصعقت أنا لوجهي وأنا أقول: أمانك أمانك يا مولاي من عذابك. فسمعتة يقول: إرفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي وإذا سائر أصحابي جلوس ما يداخلهم شيء مما يداخلني. فسمعتهم يقولون: إن جابر بن عبد الله الأنصاري وحبابة كبيران في العمر. وهما يطيلان العبادة والتَّهَجُّد، فهذا الذي بدا منهما لذلك.

فعلمت أن مولاي ما أطلع أحداً على أمره غير أنا وحبابة، - قال - فثبتت بوجهي طالباً مولاي أبا خالد عبد الله ابن غالب الكابلي فإذا أنا به في الهواء قبالي سرير مولاي واقفاً. ما تحته ما يقيمه ولا فوقه ما يمسه.

فقلت: جللت يا مولاي وعلوت، ما خصصت به بابك أبا خالد بكوامل آلائك. حتى أقمته في سنا نورك.

فرفعت حبابة رأسها وقالت: يا جابر هلك والله الشاكون، وضل المرتابون، وتاه الحائرون. أسألك مولاي إقالتني مما جنيت. واجترائي على ما سألت.

فقلت: يا حبابة من يكون وسيلة جابر في مثل هذا الذي سألت؟ وإنني مع ذلك أنظر إلى جبل أبي قبيس مائلاً على يد حبابة، وإنه يحتوي من عجائب خلق الله ربي على ما لا يعلمه إلا هو من صنوف، وأمم، وضروب، وعوالم، وتكاثر آكام، ومفاوز، وغياض، ووحوش، وهوام. وإن حبابة لا تألم بحمله، ولا تحسن بثقله. وإنها تتعاین من ذلك مثل الذي أنا معاينه.

فناداني مولاي: سل حبابة، فهل يحتوي على ما في يدها بيتها وتابوتها أو جيبها؟ فقالت حبابة: يا مولاي لا يحوي ذلك إلا علمك، ولا يكتفه غير قدرتك، ولا يسعه غير تلك. فناداها: رديها إلى جيبك، حتى عادت إلى هيئة الحصاة في أقل من لحظ الطرف، فردتها إلى الخرقه، وأعادتها إلى جيبها وهي ترعد، وقد ذهل عقلها، وزال عنها لبها، وهي ترعد كالسعة في الريح العاصف، والجماعة يقولون لها لعظم ما يرونها منها: حبابة كبيرة السن. وهي تقول لهم: الله أكبر.

فلما إشتملت حبابة على الحصاة عاد السرير إلى موضعه من الأرض، ثم قل لها: يا حبابة، رأيت حصاتك!

فقلت: مولاي رأيت قدرتك.

فقال لها: يا حبابة وفيها من أوصاف ما رأيت أعظم وأكبر وأكثر، ولو كُف لك عن ذلك لصغر عندك ما عاينت. فداومي الشكر تستحقّي الزيادة كما تخدمت به.

فقلت «وإن شكرت لأزيدنكم». ففت حبة: وأنا مالي بذلك إلا بتوفيقك
إيائي، وإنعامك عليّ.

فقال: يا حبة، أيما أعظم ما عاينت من حصتك وما عاينت من الخاتم؟

فقلت: يا مولاي، وأي قدرة صغيرة من قدرتك ليست بكبيرة. وأية آية من
آياتك ليست عظيمة. وإني أرى الدنيا على حالها في الإنساض والتوسع، ولا أرى في
عظم ذلك كله غير مولاي جالسا على سريرته، وإن ذلك النور يترجرج بين السماء
والأرض.

فأخرج خاتمه من إصبعه فنصه بإصبعه وقال: يا حبة، أيهما أكبر في
تحصيل عيائك وتحقيق عقلك خاتمي أم حصتك؟
فحارت حبة ولم تجب بشيء.

فقال: قلّي يا حبة، فليس عليك علم ما لا تعلمين، ولا وصف ما لا
تدركين.

فقلت: يا مولاي، إن الحصاة أطول وأعرض، وأرجح وأوزن. وأنت بذلك
أخبر وأعلم.

فغمزه بإبهام إصبعه على فمه فخرج من جنبات الفصّ بحار تجري
أحصىتها سبعا، لا يدرك مثلها ولا وصفها. وإن فيها من عجائب الخلق، وصنوف
القدرة، وتكاثف الشجر، وشواهد الجبال في وسط الجزائر ما لا غاية له. ورأيت في
جميع ذلك كله دودة حمراء، وإنها لأصغر شيء عاينته وحصلته نظرا وخبرا.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: ولو أنها أمرت ببلع دنياكم هذه وما فيها من
الثقلين والنجر والإنس لابتلعتهم، وكانت بعد ذلك كأنها لم تأت على شيء منه،
فماجت البحار شرقا، وغربا، وشمالا، وجنوبا، وسهلا، وجبلا، وأرضا، حتى خفت
أنه يكون غرقا.

فخرت حبة، وخررت معها لوجوهنا سجودا.

فناداني مولاي: ارفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي فإذا بذلك كله كأن لم يكن، فقلت: جللت يا مولاي وعلوت، ما أسرع ما أظهرت قدرتك وأسرع ما أبديت عظمك.

فرفعت حجابة رأسها وقامت -وهي تشهد بوحدانية الله-: ويح حبابة، هلكت بإجترائي على ربي.

فقال لها: يا حبابة لا عليك شيء. إنبتي تري أعظم من ذلك، ثم غمز الفصّ ثانية، فخرج عن جنباته عوالم ودنيا تحتوي على صنوف خلّاق، وضروب أجناس لا غاية لها ولا حدّ، لم يبق لله أمة وصفت وذكرت في الدهور والقرون إلا وظهرت من تحت ذلك الفصّ. فأبدوا من تصاريّف اللغات، وضجيج الأصوات، وكلّ ذلك بتسبيح وتقديس واستغاثّة وتضرّع، حتّى لم يبق من الأرض موقع قدم إلا وعليه اسم.

فقال عند ذلك: يا حبابة، هل تعلمين في ذلك كله قد كنت؟ وفي أمثاله قد عدت؟

فقالت: يا مولاي، لا علم لحبابة بنشأتك لها، ولا برذك لها.

فقال: يا حبابة ولك إلى أمثاله مصير، وفي أشكاله نظير، حسب إرادة نريد، ونهاية التأييد.

فغشي على حبابة فسقطت لوجهها وخررت لوجهي ساجداً أقول أمانك من سخطك بعد رضوانك، فناداني: ارفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي كما أمرني مولاي، فإذا بجميع تلك القدرة قد عادت من حيث بدت، لا يعلم جابر من أين كان يوها وحدوثها، وإذا بالسقف قد عاد إلى مكانه، وثبت على أركانه.

ورفعت حبابة رأسها، ونهضت قائمة على قدميها، فقال لها مولاي: غنيت يا حبابة وكمل سؤالك؟

فقالت: يا مولاي، ومن ذا الذي يستغني عن اختصاص نعمتك السابعة، وتزاد رحمتك وامتنانك وإحسانك؟ فامنن على أمّك بتمام تأييدك، وكمال تفضلتك،

وإني أحبّ منك، وأنقلّ عنك كم مضى من أمد الدنيا من وقت تكوينها، وبدو إنشائها، وأوان تقديرها، وكم بقي منها إلى نفاذ كيائها وزوال أنها وعدم ذاتها.

فقال: يا حَبَابَة، طال بك علم الأوليّة، وبعدّ عليك تحصيل سبق اللاهوتيّة، فأني لك بذلك من الإدراك؟ وكيف تسألين عن كائنٍ مرتقبٍ، وتقرّر أمرٍ قد سبق يكون بكون أمد الأمد حتّى يحصل عند العوالم أنّه مُسرمدٌ ممّا مضى في غابر الغابر من الدهر الداهر، والكون الدائر، والدور الجائر. فنحن ندلّ من ذلك إليك بما يتّقلّ عدّه عليك وتحصيله لديك مذ مضى من أمد دنياك التي هي غاية نهاك وعليها مدى إسراك إلى مائة ألف ألف كورٍ في مائة ألف ألف كورٍ، وكلّ كورٍ منها مائة ألف ألف دورٍ، وكلّ دورٍ منها مائة ألف ألف جورٍ، وكلّ جورٍ منها مائة ألف ألف سنة، وكلّ سنة منها ألف ألف شهرٍ، وكلّ شهرٍ منها ألف ألف يومٍ، كلّ يومٍ منها خمسون ألف سنة من سنّيك هذه البشريّة.

أحصي يا حَبَابَة مبلغ هذا كلّه، وأكمله عدّاً، فإذا أتيت عليه صدقاً فأنتي به أعرفك ما قبل قبله إلى سبعة أقبال وأعود بك إلى تعريف ما هو سرمد ونهاية بلا أمد وبلاغ بلا حدّ كونه كلّه بالحالين بإرادة المريد ونفاده بعزيمة المبيد.

فقالت حَبَابَة: يا مولاي، متى يحصل لعبدتك ما نعتّه من الزمان الذي وصفته على حقيقة ما نصصته، حتّى يكون له معاودة إلى أخبارك بما أنت خبرته من قبل تكوين خبرته وقد بعدّ عليّ وعلى جميع خلقك علم ذلك وتقديره إلا بطولك عند إرادتك.

ثمّ قالت: يا مولاي، وفي كلّ ذلك كانت أشخاصكم موجودة معاينة؟

قال: نعم يا حَبَابَة، في ذلك كانت، وفيما قبل ذلك، وقبل قبل أن يكون قبل اسم قبل، وهو كذلك يكون بعد، وبعد بعد أن يكون بعد قبل اسم بعد، فهمت يا حَبَابَة؟ فقالت: إنكم أزلّيون لا تزالون، ودائمون لا تعدمون، فكنتم بأسمانكم هذه أم بأسماء وصور ومتشابهات؟

فقال: يا حَبَابَة، بأسماننا هذه، وصورنا هذه، لا نحول ولا نزول عن كيانتنا، نغيّر العالم ولم ننتغيّر، ونشتبه لهم ولم نشبه، نوجدهم في ذاتنا في قبائل وعشائر

وأنساب وأنسال، ونكبر عن ذلك ونجل، يجدنا أهل التحقيق بالحقيقة ولا اشتبه علينا ما تشبه لأهل المزاج والإمتزاج بالظلمة حتى يجدوا منا مائة ألف شخص في أوان. يشهدون أنها واحد لا ينثني في عدد ثان، وذلك بحسب ما حملناهم من الفضل، وخصصناهم من القبول، وليس يجد ذلك منا من يالم ويهرب ويشرب ويطعم، بل من صمد وقصدنا وكبر عندنا وعندهم.

يا حَبَابَة، فالشَّقِيَّ يجدنا بالوصف، ويشهد علينا بالضعف، ويسلمنا للحتف، ويصغر منا ما عظم قدره، ولقد نورد عليه ما يبهره ويعظم قدره وخطره، فيشهد أنه لربّه في القدر، وأنّ فاعله من البشر، فبذلك يزعم أنّ الله شريكاً، إذ أشرك في فعل القادر مقدوراً، في خلق الخالق مخلوقاً. فهم في حيرتهم يعمهون. أفقت يا حَبَابَة ووسعت علم ذلك؟

فقلت حَبَابَة: نعم يا مولاي، غنيت حَبَابَة بهدايتك لها إلى معرفتك بحقيقة ذاتك، فلا تصلها بعد هدايتها، ولا تقتتها في دينها بدنياها.

فقال: أحببت يا حَبَابَة فاستقيمي كما سبق في الذكر حيث أبان « قال قد أجيب دُعوتكما فاستقيما ».

إِسلام أبي شعيب للكتاب

قال محمد بن جندب: ففقط عليّ سيدنا أبو شعيب محمد بن نصير صلعم خطاب بهذا الموضع وقال: صدق إسحاق فيما نقله من صدق جابر، فهل عرفت إسحاق عن إشارة المولى منه السلام في الوقت، وقوله في الذكر: قد أجيب دعوتكما فاستقيما إلى من كانت؟ فقلت: لا يا سيدي.

فقال: كانت الإشارة من المولى إلى جابر بن عبد الله وحبابة الوالبيّة، إذ كشف لهما من ستره عن جميع من بحضرته من أهل المراتب والدرج العالية، وذلك أنّه ما عاين سائر من بحضرته من الأولياء شيئاً مما أظهره، ولا سمعوا بشيء من محاورته - إلا من موضع وصف الأكوار والأدوار - فإنه أطرق ذلك في أسماعهم،

ثم إن سيدي أبا شعيب إليه التسليم أخذ بإعادة ما سمعته من إسحاق من هذا الموضع إلى آخر الشرح لم يغادر منه حرفاً واحداً.

فقال: يا محمد بن جندب، ثم إن حبابة خرجت من المجلس بما أنعم الله به عليها من فضله، وتفرقت الجماعة ولم يبق بحضرته إلا عبد الله بن غالب، فرفع رأسه إليه ملياً، ثم أطرق عنه ملياً، ثم أعاد النظر إليه ثانية، فقال عبد الله بن غالب: إن مولاي يريد مني حالاً وقد علم مني سرّاً، فأسأله لعل أنه يجيب سؤالي عن إدمان نظره إليّ حتى قال لي: يا عبد الله بن غالب.

فقلت: لبيك يا مولاي.

فقال: إن أصحابك خرجوا فوقفوا بالباب بمقدار ما رفعت رأسي إليك بالمرّة الأولى، يراودون أنفسهم بالرجوع والسؤال عن شرح الأكوار التي ذكرتها لحبابة، وذلك أنهم قد استعظموه واستكبروه.

فقال لهم جابر بن عبد الله الأنصاري: دعوا المعاودة لوقت ثانٍ، فسنموا عن الباب برهة بمقدار إطراقي عنك، ثم إنهم وقفوا بباب جابر بن عبد الله وقالوا: إنا ما نلتذّ بعيش وفي أنفسنا ما فيها من عظم ما سمعته، ونخاف أن نهلك قبل السؤال عن ذلك، وكان وقوفهم بمقدار ما أعدت نظري ثانية، فقال لهم جابر بن عبد الله: أتدخلون إلى داري وتجتمعون على رأي بالسؤال فإذا اتفق الرأي أتيتم باب عبد الله بن غالب وسألتهموه الإذن بالسؤال من مولاكم، ويكون هو السائل عن مرادكم والمؤدي إليكم عنه. - فكان ذلك بمقدار إطراقي عنك ثانية -.

وإنهم أجابوا جابر بن عبد الله إلى ما أشار به، فدخلوا إلى داره وإنهم يسألونك أن تستأذن لهم مني بالسؤال، وأن تسأل أنت وتخبرهم كلّهم بأجمعهم، على ما ذكرته وشرحته لك مدّة نظري إليك ثانية. وإنهم وقفوا لك بباب جابر بن عبد الله الأنصاري يرتقبون انصرافك من حضرتي ليلقوا إليك ما في أنفسهم من السؤال الذي أجمعوا عليه.

وسؤالهم يا عبد الله بن غالب:

يسألون متى تسمى الله باسمه المشهور، وكم الحد بين إرادة الاسم إلى أن تسمى، وحين تسمى لمن تسمى به حتى عرفه، وهل كان قبل ذلك غيره متسمى باسم، وعلى أي نعت كان إن كان غير متسمى؟ وما مبلغ الحد في تسميته المسمى له حتى سمّاه؟ وما إرادته في تسميته لنفسه، أم مسمّ سمّاه واخترع له اسماً ارتضاه فتسمّى به؟ وكم الحد بين إرادة الإسم إلى النطق به إن كان هو المسمى لنفسه؟ وكم الحد بين ما التسمّى إلى أن خلق ما سمّي به؟ وبعد كم أطلق النطق الذي تسمّى حتى سمّاه؟ وهل خلق شيئاً قبل اسمه؟ وما الذي خلق بعد اسمه؟ وكم الأجل بين ما خلق بعد اسمه وبين خلق اسمه؟ وهل الاسم غايته أم هو غاية الاسم؟ وما كوّن بعد ذلك في بدائه إذ هو الأبد، وعلام دهر الدهور وأدھر الدهر؟ وعن احتجابه بحجاب، أهو المحتجب بالحجاب، أم الحجاب الموارى له عن الوجود؟ وتناهي الأكوار السالفة وأوصافها، وبدو ذواتها بالقدم مع الاسم، والقديم الذي قدم إليه بالإسم؟ وكون العالم النوارني. وسبقه من قبل المزاج، وكون الممازجة؟

و أنا أشرح لك من ذلك ما يعجز أفهامهم عن سؤاله، ولا تهتدي عقولهم ليضاحه. فعه مني وألقه إليهم عني، وابدأهم قبل السؤال. وسارع به إليهم، فإني عليهم شفيق، وبهم رفيق، وأنا أجريت ذلك عليهم بالقدم، وسبقت لهم فيه سنناً ما نيت هذه بأول، ولكنها جارية في البشرية، من الآدمية إلى المحمدية ولهم في كل دم أقام بهذا السؤال، يعرفونه خبراً، ويستيقنونه علماً. حتى إذا أفل ذلك العالم، وضع بعد، -لقوله في سورة الكرة أفهمتهم- أفهم لهذا السؤال وغيره من الأحوال ليكنوا أدلاء على ذلك العالم، وهداته وسبيل العالم عن وفاء عهودهم بما قد كان عاهد عليه الله، وهل عرفوا حجة من الحجج الماضية؟ أو نبأ من الأنبياء السالفة؟ فيؤلاء ذكر كما قلت لهم على لسان الناطق إليه حين نطق بالإسم قال: «ولقد أنزلنا في قرآن من بعد الذكر^١»، ونطق به فقال: «إن هؤلاء ذكر^٢ وقرآن مبين^٣». وقال: «هؤلاء ذكر للعالمين^٤». وأمثاله كثيرة، فهؤلاء هم الذكر كل ما يخرج إليهم

ذية في سورة الأنبياء ١٠٣ هي : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ». وقد أوردت بشكل مختلف في الكتاب.

١- ذية في سورة يس ٦٧ قوله : « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين »

٢- ذية في سورة ص ٨٥ هي : « إن هو إلا ذكر للعالمين »

ليذكروا به، فعني إليك يكون. أنا أخرجته وأنت موردته إليهم، لا يذهلون عن حفظ ما أنطق لك، ولا تذهل فتحفظه، فلا يشتكل عليك، وكذا رتبتهم بحفظ ما تورده إليهم عنك، فهل أنت لموضعهم من الحاجة بالسؤال عما هم فيه راغبون؟

قال عبد الله بن غالب: فقلت: يا مولاي، ومن ذا الذي يرغب عن رحمتك، ويملّ من عطائك أنت كل حين في شأن، وتبدل حالاً عن حال، وتسلك الأوفى وتفتق الرثق، وترتق الفتق، وإن سألك سائل أعطيته سؤله، وإن عدل عنك طالب أفضت إليه ومولته حتى يقنط العطاء من عطائك، وتتجبر الطغاة بنعمائك، فلك الأمران عسره ويسره، إن بشرت بذكر شأن ما ذكرت، وإن حبسته حبست.

فقال مولاي: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ»^١ - وحبس نطقه - فبأزله آليت لقد جدّد إليّ عوالم عنها في هذا السؤال وأجراه إليّ، فألقيته إلى من في العدة للسؤال، فلا تبلغ عدد ذلك العالم همّ العقول، ولا تحيط بها كوامل التحصيل، ولو مدّ بالسبعة الأبحر كما قال: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ»^٢، وكل كلمة عالم لمقام وذلك من حيث أوجده من نفسه، فقال: «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيحٍ»^٣ فكان مقالته، وعالمه الكلمة، فلو أن ما في البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما أحصي بها عدد مقاماته في عوالم أظهرها ويكررها.

أفحويت من ذلك على علم شرح السؤال من الأجوبة المتقدمة عندي، وكان ذلك بقوله: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ».

فخررت ساجداً ألوذ به وأقول: سيدي ها أنا عبدك ومقصد أوليائك وباب هداك أثبت تحت سرّك، إذا شئت أخذت، وإذا شئت أعطيت، فكيف يكون من هو معنف مأخوذ وطالب مجهود أسألك إثبات أوليائك.

فقال: يا عبد الله. سبقت الرحمة الغضب.

^١ سورة البقرة آية ١٨٥.

^٢ سورة لقمان آية ٢٧.

^٣ سورة النساء آية ١٧١.

فقلت: مولاي، الرحمة اسمك، ونفسك وعرشك وحجابك، وكون ذاتك، والغضب ضده إذ لا ضد لك.

فقال: يا عبد الله أثبت العالم النوراني العلوي، وأضفت إليه علمي بالعالم السفلي، وكونه، فكان علمي بتكوينه وكونه وذاته ووجوده، كما كان كون العالم النوراني ووجوده، وبين ظهوريهما ما قد حفظته ووعيته الساعة، وما أنا معيده عليك عند كون الرحمة، فأوقفت العالمين على سنا نوره وضياء برهانه، وتناهي شأنه ومملكه وسلطانه، وأوجبت لها أنه الخالق لها، والمكون لذاتها، إذ أذنت فيها وقدمت إلي حواس جواهر عقول الطاعة له والانقياد والرغبة والاجتهاد. فكانت بعلمي في غيبي لائذة به ناظرة إليه، وأجلت لها فيه أجلاً بمقدار ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور بوصف ما قدمت إلى حبابة من نعت الأكوار وأوصافها.

ثم كان علمي وإرادتي إيجاد الغيب بعد هذا الأمد، وأوقفها ذلك الموقف من علمي وغيبي، وأذنت إلى كل ذي فهم فيها من الرحمة وصفات فيهم من الغضب مثله، وأثبت لها عتود وطغيانه، وتمردّه وعدوانه وكفره. حتى كمل لها أوصافه وكفره، وخلافه، ثم المحنة في مهاوي الظلمة والقتم والبهمة والعتم، فساح في هلاكه وركد في ارتبأكه، فتحزّب له من العالم أهل الشقوة وطالبوه بالهمم وهم لا كون ولا عنم ولا ظلمة ولا نور، وعدل عنه أهل السعادة إلى بدو كون العادة والمادة، فلن يشقى من سعد ولن يسعد من شقى، وسبق السابق ما سبق إليه، واستوهق المتأخر بما وهق، فلن يضلّ من هدي ولن يهدي من أضلّ كما قال تعالى ذكره: «فريق في الجنة وفريق في السعير».

خروج عبد الله بن غالب الكابلي

قال عبد الله بن غالب: فأسرّ عني مولاي بما كشفه لي خوفاً على أولياء الله وصفيائه وأهل خيرته وأحبائه، وكلّ من اختاره الله وحباه في سائر رتب الاقرار والإجابة على حقيقة الوجدانية وصحّ لهم عندي عن مولاي وفاء بما عاهدوه عليه

وأجابوه إليه، لا يزيلهم عنه، ولا يسلبهم إياه، وأن ليس عليهم خوفٌ غير الذنوب والتقصير، فإن أدبنا هاتان الحالتان عنهم لحقوا ملحق الامتحان.

ثم إن مولاي بدائي فقال: يا عبد الله إذا سألك أصحابك عما أخبرتك به فأجبهم عنه بما استودعتك إياه، وكن من الشاكرين.

ثم قال لي: يا عبد الله «سنقرئك فلا تنسى»^١، فبان له لقد صار شرح ذلك على لسانه يجري كذلك لمولاي لأمتثل ذكره ولا أفتر عنه، وخرجت وهو يتدافق بين جنبي حتى أتيت جابر بن عبد الله وإذا بالجماعة قد بدروا إلي.

فقلت: ما شأنكم ومن أنتم وكم يكون هذا منكم في كربة بتذكرة وعصر بعد عصر كأنكم تعرفون قوله في أمثالكم حين يقول: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ»^٢ فنكس القوم رؤوسهم والبسهم الخشوع والخضوع واشتمل عليهم الفرع والهلع، ولم يكن منهم إلا ذو مقام محمود وأثر موجود من يتيم مختار ونقيب منقّب، ونجيب منجّب، وذو رتبة عالية ومنزلة سامية.

فقالوا: يا حجة الله وباب رحمته ما الإقالة من الذلة؟

فقلت: على ما أنتم تضمرون، فقد أنبأني بمحاورتكم عند وقوفكم، وتعاود المحاورة عند خطوكم، حتى لم يدع لكم سراً إلا أعلمنيهِ ومقالاً إلا عرفنيهِ، ثم إنه شرح لي سؤالكم، وأبان لي عن جوابكم وأمرني بكشفه لكم ودراسته عليكم لتستحكم حاجة له في عبادته، وتنفذ أحكامه فيهم ومراده.

فإذا أبديت لكم علم إرادته وكون مشيئته في سابق علمه، فعوّه علماً وحصلوه فيهم. ولا يمز على مسامعكم صفحاً ولا فصحاً.

^١ سورة الأعلى آية ٦.

^٢ سورة النساء آية ١٠٨.

قول المولى - برء الكتاب -

يقول مولاي وقوله صدقاً وعزمه حقاً: إنه أزلّ بغير نهاية أزل ما في بدو تكوين حين ما هو كذلك. أزل بغير نهاية ولا في غاية حد. أجل تكوين حتى ما لا يقع بوصف أزلّه وصف واصف ولا علم عالم، بل هو حيثه ولا حيث له، سرمداً نده إذ كان هو سرمده وأبد واحده، إذ كان هو أبده فلا نهاية تحويه ولا غاية تبديه، ليس بكيان كون فيقال له كان، ولا بذى هيئة فيقال له متى أبدى لاهوتيته بغير هيئة، قد أزلّه لا بأمد ما كان بذاته لذاته، إذ «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

قبل تكوين كون حجابيه، وقبل تداني وقوع اسمه عليه، ما احتجب عن ذاته بذاته، بل كان علمه باحتجاب وجود احتجابه لذاته، فأزلّ أزلّه على علمه إلى حيث بدت إرادته في أزلّه الكون اسمه بكون التسمية فأجال نوره في أزلّه مائة ألف كور كما وصفها نوراً رجراجاً، ثم أوقفه قبال أزلّه يلحظه بإرادته مائة ألف كور حتى أمسكه عن ترجرجه، فأسرع يقّد نوراً ساطعاً كذلك في أزلّه مائة ألف كور، ثم أدناه منه حتى صار كقاب قوسين أو أدنى، فكان منه مدى مائة ألف كور، وقد كان قبل ذلك في أزلّه في الأوصاف التي شرحت على ما لا نهاية له ولا وصف عليه، فلما أدناه منه كان على مدى مائة ألف كور من أكواره النورانية، فأوقفه على ذلك الدنو مائة ألف كور، والقوسان اللتان نصّ عليهما هما موجودتان يظهران في كل أوان، ويفرج العالم إليهما ويستبشرون بهما وهما قوس قزح الذي يسميه العالم به وهو يأخذ حيث لا يحد من الأفق ولا يعلم نهاية امتداده إلا أزلّه، وللقاب بين القوسين ما بين الحمرة إلى الخضرة التي يراها العالم متلاصقة، ومثله ما كان بين الأزل وبين نور كون اسمه وهو مائة ألف كور ممّا وصف، وكذلك بين الحمرة والخضرة، لا كما يعاينه أهل الحيرة، ثم إن قلتم إنه لحظه بستر غيب علمه لما يراد، فماج وضطرب، فترجرج كهيئته الأولى وعاد إلى كيانه من المكان الأول في الأزل تعظيماً وإجلالاً وإكباراً لو أنه مكوّن الكيان لموقع اسم الأزل فدار لذلك حتى صار

كانضباب، ومن ذلك النور إنشاء للضباب حين حلّ به المحلّ المبهر، فجال في أزلّه على ذلك الحال مائة ألف كور.

ثمّ تكاثف واجتمع وركد بحيثه الثاني مائة ألف كور ساكناً لا يقدّ خوفاً، ثمّ أوقد مائة ألف كور حتّى إذا كملت له عدّة الأكوار أدناه فدنا إلى حدّه بالذنوّ الأول، فوقف في رتبة الذنوّ مائة ألف كور ثمّ لحظة بعلم إرادته أنّه مكوّن لموقع التسمية، فهو ذاهب قد بدت له الهيبة عن كون ذات الكيان الذي كان به مكوناً، فقام في ذهابه مائة ألف كور، ومثل ذلك في رجوعه، كلّ ذلك إجلالاً لغايته، وهو وأوصافه على ما تقدّم سبعا فأنحله بهنّ تكوين سبع شداد لعظم ما عاناه بخوفه وحذره، فلما تمّ به المداد وأوقفه، أدناه بحيث الارادة لحظة لحظة الرضا منه بالإجابة إلى وقوع الاسم فيما لحظه من علمه بلحظة الرضا انفرد شعباً شعباً وأجزاء بعدد ما سلف من الأكوار التي أهمل فيها فمرت تلك الشعب في كون الأزلية كلّ شعبة فيها كدنياكم هذه سبعون ألف ألف مرة. وهي نور قد أعمّ كون تكوين ما يراد كونه، ونعت فقال: «اللّه نور السماوات والأرض» لما وقع عليه علمه بكون تقربه في الشعب، ثمّ إنه بدا له فناجاه في خفيّ علم إرادته، وكانت تلك المناجاة إرادة منه له بما به كوّن، فتلاومت الشعب من حيث علمها معه بكن قبل قول كن فصار ماثلاً في حيث الذنوّ الذي هو محلّه من الأزل، فأبدا إليه بعلمه أنّه مبين عن اسمه الذي هو علمه، فرتّب في ذلك المقام من الأزل مائة ألف كور ثمّ أمده بالقدرة المادّة من علمه، فثبت فيه قدرة مائة ألف كور مستحكمة العظمة، ثمّ يلج بالقدرة للنطق والأخبار، فلحظه بعلم نيين المتبينّ، فأبدى نطق شهادته له وتسمّى بالإسم الذي أنحله وجعله كون المحلّ نعويّ ونهاية العالم البشريّ وغاية كون تكوينه، فقال: «شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو» عرّف إذ كان هو الشاهد لإلهه أن لا إله إلاّ أنا، عند التسمّى بهذا الإسم، وإنّ سيّدتي بشا إقرار له وأثنى عني فأبدّه فصار معناه الأزل، وصار هو الأبد، فلم يزل في أبد مع أزلّه عدد ما مضى من الأكوار السالفة على تلك الشاهدة التي شهدها، ثمّ راد بزيادة الأزل تكوين كون فوجد وجود التكوين من حيث إيجاد بدو مراد المرید، فكثّف من نور ذاته كثيفاً كثفه مائة ألف كور، ثمّ رمقه بلطفه مائة ألف كور، وحبس الكثيف في سرّ الغيب الخفيّ لأمر فيه يراد، ثمّ أمد اللطف حتّى أوسع به ذهاباً وأمده سراياً فينبجس من وهمه في وهم مریده، ويعود ببذوه إلى إعادة

معيده، فتدجن من وهمه وتقتم من وهمه لا بحس حس ذاته ولا يعلم حيث نهايته،
 وناء واحتبس في علم إرادة مريده، وغيب القدرة في بعيد السطوة مائة ألف كور لا
 ينو منه إذن ذاته، إذ ذاته الغاية وهو نهاية الإذن في مراد ذاته، فلما أكمل مائة ألف
 كور غيب الغاية نوره عنه، وحبس ضيائه فيه فاختلط كثيفه ولطيفه، ثم أمده
 فذهب به ولاشاه حتى تحمل كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف فلحظ مكوته
 فعدمه عن كيان تكوين وعن كيان تكون، وكان بكونه، فعاد بعودة الشهادة الثانية،
 فنن: لا إله إلا أنت سبحانك، فكان مقراً لمعناه وأزله بأنه الغاية وهو المكون لكيانه
 وأن كل مكون هو تكوين مكوته، وكل إرادة مريد هو مريده، وأن لا حيث ولا حد
 عبر حيثه، ووقف عن الإعادة إلى شيء من المراد السابق له في كل تكوين كائن
 مائة ألف كور يشهد باسمه الذي أنحله الأزل معناه، وهو نور كل كيان ومكان في
 نعتم النوراني وليس بكون الوجود والعيان بل بتكوين الإرادة إلى المراد الذي قد
 عنه الاسم وأوجد تكوينه، وتناهي القدرة المادة من الغاية إليه في تكوين ذلك، وإنه
 برادة الأزل يكون تكوين ما يريد تكوينه إذا رأى عدم ما أوجد ذاته، فلما أكمل له
 نواة وهي مائة ألف كور مدة الأزل بالإرادة من حيث إرادته ليبيد القدرة من ذات
 قدرته، فلحظ حيث الذي حيثه والنور الذي كثفه ولطفه، فوجد في حيث كنهه نوراً
 بسيطاً ما فيه كثيفاً ولا لطيف فلحظه بالمراد منه فيه فزاد بسيطاً ثم حبسه في
 سط فوقف عند علم مريده فعلاه يذهب به في علو غيبه مائة ألف كور، ثم حفظه
 فذهب به في خفي خفوض غيبه مائة ألف كور.

ثم أعاده إلى حيث حبسه في البسيط فكان بحاله في تكوين ذاته لا عوج فيه
 ولا أمداً، فحلله ورجرجه، فتحلل وترجرج فأهمله متحلاً مترجرجاً مائة ألف كور،
 ثم نحطه فسيره فسار مائة ألف كور وهو متحلل مترجرج سائراً وكمل له فيه
 لاردة على تطاول مدة الأكوار السالفة فيه، وكان تكوين ذلك وثباته لمكوته الذي
 هو سمه بتأييد غايته الذي هو المريد، فأمدّه الغاية الأزل بإرادة الغيب منه، فذهب
 به في خفي الوهم، وحبسه في نهاية وجود الغاية المكون له فأعدمه وجوده،
 ورأساه في سر قدرة مقدّره، فلم يحبسه وهو بذاته وكيانه في تحلله وترجرجه
 وسيره ما حال عن حد تكوين المكون إلى تغيير حال مغیره بل كانت إرادة الأزل
 فيه جارية قبل تكوين مكون كيانه عند تكوين مكوته له، وفيما بعد تكوينه، إلى حيث

تتأهي التكوين فيه، ولا أزال عنها في حدّ تكوين مكوّن غيره بل يجري به قدرة القادر له بمراد المقتدر عليه عدلاً بذلك في تكوين مكوّن يكون عن المشاركة في إرادة تكوين مراده.

إذ كانت الإرادة منه هي تكوين كلّ كيان يكون من مكوّن فلماً أجراه بحيث ما أجراه من محلّ قدرة إرادته أمر المكوّن بوجوده ما كان كوّن فلحظه للمراد منه فلم يحده، ولم يحبسه فخشع عند وقوع قدرة الاقتدار على حيث تكوينه، فوقف موقف الخشوع مائة ألف كور، ثمّ عاد بالشهادة والتسمية لأزله فقال: «الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم» فأراد بذلك أنّه الغاية التي هي أزله وغايته ومعناه وهو مبدي كلّ مبدي، يبديء ويعيد وهو مقيم عند تكوينه الكيان له وبه تكوين المكوّن، فكان بهذه الشهادة مائة ألف كور لا يجد شيئاً عن كيان ما كوّن، فلماً أكمل له المئة ألف كور أمده الغاية الأزل بكون الإرادة منه لإرادته، فلحظ الحيث الذي كان يلحظه فوجده خيالاً لا نوراً يجول به ولا ضياءً يكتّفه ولا ظلمة تحوطه، وإذ به هامداً غير أشباح فسيره في مسيره ثمّ أمده بنوره، فامتزج وتلاحم، فاختلط وزال عن كيان التجزيء والتمييز، فأوقفه في كيانه مائة ألف كور يلحظه في كلّ كور منها لحظة، فيصفو عند لحظته حتّى جعله في تداوم ملاحظته كما الذرة البيضاء.

ثمّ إنه لحظها، فسمّت علوّاً في المراد من القدرة فأوقفها فيه مائة ألف كور، ثمّ لحظها بعد ذلك فأضاءت تشّشعاً مائة ألف كور ثمّ لحظها فأنارت مائة ألف كور، ثمّ أزالها عن كون المستقرّ منها، فأمدّها بحيثها مائة ألف كور، ثمّ لحظها فذهب بها في غيب قدرة ذات اليمين مائة ألف كور، ثمّ أعادها إلى الحيث، فأوقفها مائة ألف كور، ثمّ لحظها فذهب بها في غيب قدرة ذات الشمال مائة ألف كور، ثمّ لحظها فأعادها إلى الحيث، فأوقفها مائة ألف كور، ثمّ عظّمها فذهب بها في جميع ما ذهب بها في علوّ ويمين وشمال، فملأه بها ووسّعها وأقرّها بحيثها مائة ألف كور، ثمّ نحّضها ونطّفها، فأوقفها بحيث لا تعلم هي أين انتهأوها من ذلك الحيث الذي هي فيه، فأوقفها فيه مائة ألف كور، ثمّ إنه لحظها فأحبسها فكانت بحال الحبس مائة ألف كور. ثمّ لحظها فأوجس حسّها فكانت بحال الحبس والحسّ مائة ألف كور، ثمّ قدّم فيها قدرة المراد فكانت بتقدّم قدرة المراد فيها مائة ألف كور، ثمّ أبداها لكون تكوين الإرادة منها ببدنها لكون تكوين الإرادة منها مائة ألف كور، فلماً تكامل للمريد فيها

إرادته وصمد لتكوينها ذهب بها إرادة الغاية فخفيت عن مكوناتها بحيثها لأنه حجبها [بـ حجبها] عنه بحجاب ولا ركب من دونها رهاباً بل كانت هي بحيثها واقفة عند إرادة المرید لها وكان المرید لكونها محجوباً عن وجودها بإرادته إذ كان هو غايته وأزله.

فلما احتجب الكيان [و عن] من المكون سلم كون القدرة من تكوين ما كون أنه ليس بكائن إلا عند إرادة المكون لكونه وكيانه فسلم القدرة أمره إلى المقتدر القادر الذي ترجع أسماء المقتدر إلى ذاته وهو ذاتها وغايتها فوقف موقف التسليم فأبدأ شهادة له باسمه المنحول له، وأماط عنه أن يكون هو غاية اسمه، فقال الله: «لا إله إلا هو الملك القدوس» فردّ بهذه الشهادة إليه أنه غاية علم كل مكون [كيان] مراد تكوينه ومنه يمدّ علم الإرادة إلى المرید، فوقف عند شهادة التسليم والتسليم مائة ألف كور لا يراجع الملاحظة إلى حيث كان تكوين ما كونه علم بحقيقته عدم ذلك، وأن ليس بنى وجوده وجود إلا بإيجاد مراد الأزل الموجود، فلما كمل له مائة ألف كور مدّ الأزل بعلم إرادة تكوين كون فلحظ الحث الذي كان يلحظه فوجده مشعشاً نوراً وضياءً فأجاله في علم مراد تكوينه مائة ألف كور ثم لحظه بقدرة حدّ كيانه فيد ونم مائة ألف كور لا في إحالته إزالةً إلى حال تغيير وإحراك وتسيير، ولا في ملاحظته أبداه بحال كون تكوين. بل كان ذلك من الإحاطة في علمه وإرادته بحول وكنت الملاحظة في سرّ القدرة تكوين ما يكون، ثم أعاده إليه ملاحظة في سرّ قدرة تكوين ما يكون، ثم أعاد إليه ملاحظة الإرادة فدكه دكاً فمرّ في تدككه مائة ألف كور حتى سواه، فاستوى، فدناه ثانية بملاحظة القدرة لمریده، فعرّجه ودرّجه وسهته وجربه، وأهمله على كيانه مائة ألف كور، ثم لحظه فخفّ في محمله حتى صار نو مرت به الريح لألقته في مكان سحيق، فكان بحاله مائة ألف كور.

ثم إنه لحظه فأزاله إلى حال التجسّي والتنفّل حتى صار بأعظم التّاهي في نعصر من تحسيه، فكان في ذلك مائة ألف كور، ثم بثّه فأنبت في مرام علمه من رذته فيه فكان في انبثائه كالفرّاش المبيّث مائة ألف كور، ثم لحظه فتلاصق ثبته. واجتمع في تلاصقه كالكوّة الخرقاء وهي في حال اتّساع الانبثاث، لم بعصر عنها من السّعة شيئاً في التلاصق والاجتماع، فأدامها في حالها مائة ألف كور. ثم لحظها فأجراها بأربع مخترقات نافذات بعضهنّ إلى بعض، وهي تتخالف

منها بإزاء مخترق توازيه، وهي مستديرة باستدارة الكوة، فكانت كذلك مائة ألف كور، فلما أراد كون كيانه بالكون الذي أكانها له بالقدرة التي أبدى بها إبداء إليها الغاية وهي قدرة علمه بإرادة المريد، فأودها أن [أنه] ليس كونها وتكوين كيانه ذات مكوّنهما الذي أمّد من تكوينها ما أمّد وأن غاية التكوين وكون كيانه المكوّن إرادته للتكوين فاندحت في غيب علم الغاية بحيث لا يعلم المكوّن أين حلولها من ذات كيانه ففتى بالنظر إلى محلّ القدرة التي أبدّاها لمريده، فعدم ما أوجده ذاته من كون كيانه ما كوّن فراجع العزمة إلى تعظيم الغاية بتسليم كون الإرادة وتكوين الكيان له وأنه أزاله فأبدى له بالشهادة على العادة وإدمان الانقياد إلى ذات المقتدر على اقتدار القدرة التي اقتدر بها على تكوين ما كوّن من الكيان، فقال ينفي عنه المعنوية وإقراراً أن معناه هو غايته وإلهه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، فكان ذلك إقراراً منه له بأنه يعلم سرّه وعلايته وأنه موضع الإرادة [إذا أراد] والكون إذا كوّن بإبدائه له يبدو ما يبدي بتكوينه بكون ما يكون ولا يسبق بإرادته إلى حيث كون مراده، بل تنقاد به القدرة من مقدّره إلى حيث الإرادة من مريد مراده حتّى لا يوجد ذاته إلا بذات ذاتها، بل الذات هي الأزل الذي هو غاية ذات ذاته.

فكان بكون هذه الحال من الانقياد مائة ألف كور، لا يراجع فيها الحيث الذي يبدي له فيه إرادة كون ولا يطلب فوات ما كوّن من كيانه كيف فات ولا أين حلّ من محلّ القدرة التي هي قادرة له وعليه لأن علمه بها كامل ونظره فيها ثاقب، قد شمله بها الغاية الأزل، وجعله محلّها ومعدنها، وحيثها، وإن كان البدا يبدو من مبدئه عند كلّ بداء يبديه وكون يكوّنه، فإن ذلك إكمال عند القدرة وإتمامه له المراد فيما يريد لأنه أقامه فيه مقام عدم ما كوّن ولا يوصف، وعاجز عجز عن بلوغ تكوين ما يكون بل كان ذلك كلّ منه جارياً بحال إرادته التي بدت له فيه كامل اللون في جميع ما أظهره من التكوين، وما كان مريده به ليكون أبانه بتكوينه في كيانه ما أبداه له.

فكان في جميع ذلك مكوّناً مريداً وكان ما كوّن كائناتاً، فلما قضى مدى مائة ألف كور أمّده بإرادة التكوين خامسة وقد كانت الموادّ إليه بما سلف إليه إلى هذه المادة أربع على ما شرحت لكم.

فهل أحصيتموه عدداً أم غمر عليكم ترادف الأوصاف وتكاين الأكوار؟

فاستعظم قدرة القادر القدير، فالمقتدر واحدٌ أحدٌ ذاته لا حده فهو أحدُ الواحد الذي هو أحد الأحاد كلها وعليه بدوها ومعادها، وهو الإسم الذي هو الله لا يشاكله في الأسماء شكل ولا يلَم به شبه ولا يدخل عليه تعارض، إذا قيل الله كان بذاته حداً، فإن نعت إلى حد الوصف والنعت كان القول به الله واحدٌ ولا يقال الله إثنان ولا ثلاثة كما أبان، وقال الله «لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد» فأوجدكم لكم إذا قلتم الله أحدٌ فهو أن الغاية أحدٌ والله اسمه، فإذا قلتم الله واحدٌ فهو أن الواحد إسم وهو اسم الأحد كما أبان في التسمية أيضاً فقال: «قل ادعوا الله أو ادعوا لرحمن أياً ما تدعوا له الأسماء الحسنى» فالرحمن هو الأحد والله اسمه، فإن قلتم الرحمن فهو الغاية، والله اسمه، وإن قلتم الله الرحمن كان الله اسم الرحمن، وقد بان لكم ذلك مشروحاً مكشوفاً مفسراً له لم يخرج في أبده إلى معاودة الكشف، فكشف حين قال «الرحمن على العرش استوى»، وقد عرفكم العرش والرحمن واستواءه عليه.

فإذا تداومت عليكم نعمٌ مولاكم بما أذن فيه لي بيئه إليكم وشرحه لكم فكونوا عن كل لفظة شهوداً، فكم من شاهد يحوي وهو مفقودٌ وكم من فقيه مضى وهو موجود.

نداء الجماعة لـ محمد بن جندب

فقالَت الجماعة: يا محمد بن جندب، سل أبا خالد عبد الله بن غالب، وقل له: يا رب الله وعبية علمه، ومعدن رحمته، الجماعة تسألك إقالة الزلّة وغفران الغفلة عن قد علمته منا ومن غيب [غيبه] أنفسنا وما اطلعت عليه من خفي سرنا بما حصينا مما سلف من إرادة المرید لكون التكوين لعظيم شرح تأويله، وترادف نعت وصفه وعجائب كون تقديراته بقدرته حتى أن العقول لتذهل عن الإحاطة بتحصيل وتنحسر عن الإدراك والتكميل، وقد علمت أنت منا أنا ما حفظنا ما قدّمت شرحه مما سلف من إرادة تكوين المرید.

فقال لهم عبد الله بن غالب: إن مولاي ناداني فأسمعني أن أعرفكم ما سلف من توقيت إرادة المكون، فقد أبهرهم ما نوره عليهم من الشرح وأين لهم عن الذي

نبيده لهم من التَّوَقُّيت فيما يَسْتَأْنِفُه لهم من بيان تكوين مراد المكوّن ليكون ذلك كامل عدّه ونعته، ووصفه، وكونه، فعن أمر مولاي وعلمه بكم أخرجت إليكم، ولو لم ينادني به لما علمته لأنه يقول: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» وقال: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى» فإنه لما ارتضاني، أطلعني على غيبكم، فعلمته من علمه، فلما سمعوا ذلك من أبي خالد خرّوا لوجوههم سجّداً، فتناهوا في غمرات الاستغفار.

حتّى ناداهم عبد الله بن غالب: ارفعوا فقد غفر لكم ما استغفرتكم من التّقرّيط فيه واعلموا أنكم إذا جلستم إليّ بمجلس الذّكر لعلوم الله مع الأولياء فإنما بمجلس الله جلستم، وإذا تلا عليكم أحدّ شيئا من علوم الله، فالله هو التّالي عليكم والمخاطب لكم إذ كان الإذن منه والأمر إليه، فلا تعرضوا عن المجالس لكم، فإنّ في ذلك إعراضكم عن الله.

و اعلموا أنّ الله مداومكم ما دتم على الانصات إلى علومه، والاستماع للفظه والاستئثار بمجالسه ومشاهده، وإن أنتم عدلتم عن ذلك عند حلول نعمه عندكم وأياديه إليكم، بدلكم بها بؤساً وحسرةً ونداماً يطول بكم فيها الكرّ بعد الكرّ حتّى يخلّصكم بمنّه وغفرانه.

فرفعوا رؤوسهم وهم يقولون: أمانك ثانية يا مولانا من أين علمت أنّه قد غفر

لنا؟

فقال: بذلك ناداني أولاً بما كان منكم في غيب السرّ، فأبدوا الشّكر.

نداء أبي شعيب لمحمد بن جندب

ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جندب، فاحذر أن تكون لهم إلا بحفظ توقّيت ما سلف من إرادة تكوين المرید لعظم ما أنا مبديّه لك وناليه عليك فنّبّهني عن ذلك، وقد كنت كذلك.

فقلت: يا مولاي كذلك والله محمد بن جندب ذهل عند عظم هذا الشّرح فأسأل مولاي إقالتني، فقد هلكت إن هو لم يقلني خطيئتي.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، هُوَ نَادَانِي بِعَلْمِهِ ذَلِكَ مِنْكَ لَا بِعَلْمِي، فَخَرَرْتُ رُجُوعِي - جِدًّا أَلُوذُ بِسَيِّدِي أَبِي شَعِيبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَنَادَانِي: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، فَقَدْ غُفِرَ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، هَذَا مِمَّا لَمْ يَبْدِهِ لَكَ إِسْحَاقُ وَلَا حَدَّثَكَ بِهِ وَلَا - نَسِيَ عَنْهُ.

فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا سَيِّدِي مَا حَدَّثَنِي بِهَذَا إِسْحَاقُ وَلَا سَمِعْتُهُ إِلَّا السَّاعَةَ مِنْكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، وَكَثِيرًا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أُورِدَ عَلَيْكَ مِثْلُهُ، وَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ حَقِّهِ. فَلَا يَخْتَلُ مِنْهُ حَرْفٌ لِأَنَّ إِسْحَاقَ حَمَلَ فَاسْتَوْدَعَ وَغَيْرَهُ شَوْهَدٌ فَأَوْجَدَ، وَإِنْ نَسِيَ قَرَأَ لَكَ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، لَوْ قُلْتُ إِنَّهُ شَهِيدٌ وَلَمْ يَغِبْ لَقُلْتُ حَقًّا وَأَتَيْتُ صَدَقًا، - نَسِيَ نَسِيَ تَسْلَمُ مِنْ شَكَاكَ.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَاسْلَمْتُ لَكَ وَاسْتَسْلَمْتُ لِأَمْرِكَ.

فَقَالَ: نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ.

تتمة شرح وجوه الله وشهاوة الاسم للمعنى

ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَالِبٍ الْكَابَلِيُّ: فَلَمَّا أَمَدَّ الْغَايَةَ بِإِرَادَةِ التَّكْوِينِ خَامِسَةَ أَبَدِيَّةٍ، عَادَ الْمُلَاحَظَةَ لِلْحَيْثُ فَلَحَظَهُ فَرَأَاهُ مِنْفَعًا شَاهِقًا ذَاهِبًا مُتَعَالِيًا مُتَلَاصِقًا، فَلَحَظَهُ - رَدَّةً مُرَادَهُ فِيهِ فَصَدَعَهُ، وَفَرَّقَهُ كَمَا قَالَ: «فَانْفَلَقَ وَكَانَ كُلُّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ» - فَجَعَلَ تِلْكَ الْفُرُقَ تَتَهَاوَى فِي عِلْمِ الْإِرَادَةِ مِنَ الْمَكُونِ مِائَةَ أَلْفٍ كَوْرٍ لَا يَقْرِبُهَا حَيْثُ - لَا حَيْثُ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَعَادَ مِلَاحَظَةَ الْإِرَادَةِ نَحْوَهَا، فَبَدَأَ مِنْ فَرْقٍ بَعْدَ تِلْكَ الْفَرْقَةِ كُلِّ فَرْقَةٍ عَظَمَ مِنْهَا إِجْلَالًا وَأَكْبَرَ مَحَلًّا، حَتَّى صَارَتْ تِلْكَ الْفَرْقَةُ الَّتِي بَدَتْ مِنْهَا تِلْكَ الْفُرُقُ - مِنْظَرًا أَوْ أَقْلَهَا وَزَنَا لَا تَحْسَنَ عِنْدَ عَظَمِ أَحَدِ الْفُرُقِ الَّتِي بَدَتْ مِنْهَا، وَقَدْ كَانَتْ

الفرقة الأولى التي تفرقت عند الانصداع بعد سنيّ المائة ألف كور من سنيكم هذه على ما شرحت، فبدأ من كل فرقة منها مثل تلك الفرق.

فقال الجماعة: جلّ العليّ العلّام تعالّى به الواحد الدوّام، كبر مالك الملك، فلا غاية له في نهاء ولا نهاية تقع على مداه.

فقال: ثمّ إنّ أدامه بتلك مائة ألف كور وهو متراكب ومتشابك ومتضاعف ومتطابق، ثمّ إنّ أعاد بملاحظة المراد المكوّن فباعده عن تلاصقه، وتشابكه، وتراكبه وتطابقه، فصارت كل فرقة منها بحيث لا تحسّ بأخرى من تباعدها وتباينها، فأدامها بتلك مائة ألف كور، ثمّ عاودها بلحظة المراد فدكّها إذهاباً فأعدم بعضها بعضاً، حتّى كأنّها لم تكن بمكوّنة.

وثبت منها ملاحظته فرقتان لا ثالث لهما في الحال فكانتا بحيث ثبتتا مائة ألف كور عن حالهما ليستا بحائلتين ولا زائلتين، ثمّ عاودهما بملاحظة المراد وأعمّ بهما ذلك الحيث الذي كانت تلك الفرق بعظم تكاثرها فيه لا يحسّ أحدهما بصاحبه، ولا يحسّه ولا يعلمه، فأمثل ذلك الحيث بتلك الفرقتين، حتّى امتلأتا فيه، فكان ذلك الحيث والفرقتان بهذا الوصف مائة ألف كور.

ثمّ عاوده بملاحظة المراد فأنارت الفرقتان في الحيث بنور ملاحظته المريد نيماً بإرادته، فكانتا كنوره في كيان كونه، فكان ذلك كذلك مائة ألف كور، فبدت له عند كمال إرادة مريد إرادة انغاية فيه فغشيه في حيثه بكيانه وعند إيجاد لمكوّنه ومبديه، فعاد المكوّن المريد بملاحظته للمراد، فلم يجده في الحيث بحيثما ولا تكاثر ما في كون ولا فيما فراجع الانقياد إلى إظهار التسليم بالشهادة لل غاية الأزل فأبداها بقوله: «الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى» فكان ذلك في الشهادة أنه لا إله إلا الأزل، وقوله الأسماء الحسنى، أما موضع الاسماء فكانت هذه الشهادة من الاسم للمعنى مائة ألف كور، ثمّ أمّد الغاية بمادّة الارادة لإرادته، فعاد الملاحظة إلى الحيث، فإذا هو مملوء نوراً، وإنه متبعّض متجزّيء وأنّ كلّ بعضه منه كون يضيء بضياء يفضل بعض عن بعض، ويغشى بعضها بعضاً، وهي متكاثفة قد امتلأ بها الحيث، فلمّا لحظها فرقها في الحيث، وتفرقت مائة ألف كور، ثمّ عاودها

بملاحظة للمراد، فجمعها فرقاً متشاكلة لا تمازج كلَّ فرقةٍ إلاَّ شكلها وأحفَ بعضها بعض في ذلك الحيث، فكانت بذلك من الكيان [من مراده] في تكوين المرید مائة ألف كور ثمَّ عاودها بالملاحظة للمراد، فأزهرها وسيرها في الحيث.

فحلَّ بعضها محلَّ بعض، حتَّى سكن كلُّ واحدٍ منها بحيث سكن ما كان مكانه بحيث، فصارت تجد بذات حيثها وقبل تجديدها حيثها وبذات حيث غيرها، من حيثها، كلُّ يجول ويسير بحيث رتب له المسير، فكان كذلك مائة ألف كور، حتَّى لمَّا فيها كون الإرادة للتكوين الذي هو [هي] مكوَّنه له [لها] فبدا لها علم إرادة المرید بإرادة مریدها، وهو الذي لولا إرادة مراده من المرید لما كانت للمرید إرادة، فحينئذٍ لها علم إرادته حجبها بحيثها بحجابٍ عن قدرة الاقتدار، فكانت في الحجاب بحيث يكون [يكون] تكوين مكوَّنها، لا حال منها حال كائن عن كائن ولا زال منها رتب عن مكان، ولا قعد عن مواراة الحجاب له عن جولان ما كان جائلاً فيه.

فتمَّت ستّ موادَّ من الأزل في مراد التكوين، وبذلك أبان فقال: في ستّة أيّام، وهو حين بدا النطق في مقام الميم فقال: «و لقد خلقنا السموات والأرض في ستّة أيّام» فالبدا كان بالسموات وما بينهما من الكون النوري، والعالم نوراني كان بدوه من الكون النوري له في ستّ موادَّ أمده الأزل بمراده لإرادته تكوين، فكان منه ما شرح لكم ووصفه ونعته، حتَّى أكمّنه له في قدرة علمه الذي شاء منه بالقدرة لمراد التكوين، وهي ستّة أيّام للإسم أنحه إياها الأزل وهي بعدد هذه الأكوام الثمانية في شرح هذا التكوين.

فأشهدوا ما شرحت وعوا ما وصفت وميزوا ما ذكرت، هل لذلك أمداً ما أوجد فيهم أو نهاية إلى مَ وهل يبلغ بكم التّحصيل بعد تفصيل كلِّ موصول، وتوصيل كلِّ منصول إلى علم عدّ بعضه، إذ كان لا بعض له.

فقال الجماعة: جلَّ علم العليم بعلمه، وعظمت عظمة المبتديء لفعله من أن يكون لهم جدّ على ورود همّة لعلم، وهمّة فيما قد نسقت وشرحت، قصرت عن ذلك حضة مكوّن به ولا يحيط به غير علم المكوّن له. بل نسلم لأمره إذا أوردته، يسكره على فضله إذا أوفده، ونعوذ به من سخطه، ونلوذ بعفوه ورحمته.

فقال لهم: قد سبق لكم ذلك منه وبه أحلكم هذا المحلّ وأهلكم لهذا السؤال، وذلك في قدمه قبل كونكم في كيان التكوين، فخرّوا عند ذلك ساجدين.

فناداهم: ارفعوا رؤوسكم فقد غمركم مولاكم بنعمته، وشملكم بإحسانه، وأباحكم على ملكوته، فرفعوا رؤوسهم وهم يعلنون ببثّ الحمد والشكر.

تعيين خلافة محمد بن جنرب

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير علينا سلامه قال لي مثل قول عبد الله بن غالب لمن بحضرته عند هذا الفصل وخاطبني بما خاطبهم وأمرني بما أمرهم به، وأوعز لي بما أوعز إليهم، فتدخلني من ذلك مثل الذي ذكر لي أنّه تدخلهم، فخررت لوجهي ساجداً ألوذ بسيّدي وأتعوذ بمولاي تعالى ذكره من سخطه.

فناداني: ارفع رأسك.

فرفعت، فوعدني مثلما وعدهم من القبول والثبات وبشرني أن ذلك سابق لي وهو كون كيان من قبل تكوين ذات كوني.

ثمّ قال: يا محمد بن جندب، وهذا ممّا لم يشرحه لك إسحاق ولا نطق لك ولا بشرك به.

فقلت: صدقت يا مولاي، ما خرج إليّ إسحاق بهذا، ولا سمعته في شرحه، وإنّ لك الفضل على أولياء الله إذ خصّك الله بمكنون علمه يا محمد بن جندب، إنّ إسحاق نطق لك بما شرحه بغير إذن أذن له فيه، أراد به بثّ ذكره ونباهته ليقول قائل: إسحاق بن محمد حوى علماً وسرّه فهو محله ومقصده.

وبابه محمد بن نصير نطق لك بإذن أذن له به لك، فهو يشرح لك من فيه ما يخرج به إليه مولانا منه كان بدا ما شرحته لك ومنّي كان إلى إسحاق بن محمد ما شرحه لك، فاشكر ما أنعم به عليك وأوصل الحمد لله يهدك له..

العودة للشرح

قال محمد بن جندب: ثم أعاد لي مولاي أبو شعيب محمد بن نصير إليه
— بنى إعادة الشرح فقال: إن عبد الله بن غالب عاد بالجماعة بعد محاورته لهم
— يرد إليهم إلى بيان ما كان يشرحه لهم فقال:

فتأوم لها في مواراة الحجاب مائة ألف كور على كونها في كمال الكون، ثم
— أنزل أمده بإرادة التكوين سابعة فعاود الحيث بملاحظة المراد لتكوين كون يديه
— ما يكونه عند التكوين، إذ بالحيث ((سابت باهت غير ترن ساحت كهف قائم
—))، فلحظة لحظة الإرادة فيه فأخلطه، فماج في اختلاطه فأهمله مائة ألف كور،
— عاد إليه بملاحظة المراد فيه فأدمه أديماً مراداً ماداً وهو أرق من هبوب الهواء
— بحق خفقان الرعد القاصف، فأماده كذلك مائة ألف كور، ثم عاد إليه بملاحظة
— عركه عركه وأدرجه فيها، فصار مندرجاً كما قال: «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ
— نَحْيَ السَّجْلَ» (للكتب).

فلما تدرج في عركته أهمله مائة ألف كور، ثم أبدى له إرادة الأزل فيه بمراد
— كونه، فغيبه في ذات ذاته لا في ذات غيره، فكان بذاته غائباً عن وجود ذاته، لا يعلم
— به هو الذي غيبه بلا حيث ولا ذات، فلما تمت له المائة ألف كور عاوده
— لكونها فذهب ذاتها عن وجوده، إذ وجوده من حيث إيجاد موجدته الذي أوجد
— موجود ونظر إلى حيث، فإذا هو بكونه في مبدا مبدية الذي كونه، والحيث من
— تكوينه فأبدى له التسليم والإقرار بالشهادة له، فبدأ قوله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا
— إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»^٢ فأمدّه بالإقرار بهذه الشهادة
— مائة ألف كور، لا يحد في جميع الحيث الأزل إلا ذات كونه، وكان وجوده لكون
— من حيث أوجده أزله وغايته الذي بمراد كونه لذاته كونه.

فلما أتم له مدى مراده فيه أبداه قبالة الحيث وتوسط به في كيفية الكيف ففاجاه خطاباً وأبان له نطقاً من حيث لم يوجد خطاباً قبله ولا نطقاً سبقه، ولا أوجده أن لذلك وجوداً أوجده، فكان يطلبه لوجود فناداه إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني.

فكان بذلك الإيجاد له والنطق أنفاً عن الاسم أنه الغاية بل الغاية نهاية الاسم ومعناه، وبه يكون الاسم، وأبان له حدّ إيجاد التعبد له وكان هذا الخطاب في خاصيته له لا يشاركه فيه مشارك، ولا يلم به غير المخاطب، إذ أبان النطق في الخطاب، فقال أنا فاعبدني، فلما بدا له النطق من حيث لم يجد كمثله، هفت ساجداً لأزله من خشيته، فكانت السجدة منه لهيبة النطق مائة ألف كور، ثم أمده بعلم الإفاقة من السكر، فراجع الموافقة في حيثه، فأمدّه بكون كل مراد أراد تكوينه، فلحظ الحيث الذي كان يلاحظه بمداومة الإرادة لتكوين كون فوجد كيان كونه بالتي كونها لمراده من الإرادة ماثلته في الحيث بكون حين كونها وبمراده الذي أراده ما حال منها كيان كون كونه الذي كونه ولا زال عن حيث حيثه فيه، متدان من المراد بقدرة مريده.

فأكبر ذلك من إتمام أزله ومعناه وغايته، فهفت ساجداً مائة ألف كور، وكانت السجدة منه تسليماً لأزله أن الكون والمراد له ومنه يكون إليه ومنه يكون مراده كون ما كونه من كيان لأنه أباد بذاته من ذاته فأمدّه الأزل بعلم الإفاقة من سكرة الإبانة، فراجع المرافقة في حيثه وأمدّه بالبسطة والسلطنة، والقدرة على يدي التكوين، يبدو وكون فراجع الملاحظة للحيث، فلحظ ما أبداه من نور في مبتدأ إرادته للتكوين وهو نوره الذي كثفه ولطفه، وحبس كثيفه وأمدّ لطيفه، وأوسع ذهاباً ومدّه سراياً وأدجن من بهمه وقتم وهمه، فأجراه سبعاً وأعلاه رفعاً، وباعدها عن التلاحم وحبس كل جزء منها بحيث إرادته من كونه بكيان ذلك من التكوين مائة ألف كور.

ثم عاودها بالملاحظة ثانية وهي بكونها فأبدى لها إرادة مكوّنها للملاحظة فخرجت بملاحظته عن كيانها إلى كون إرادته فتطابقت السبع طبقاً واحداً لا فرجة فيها، فكانت بكيان ذلك مائة ألف كور، وقد أبان ذلك بالنطق من تكوينه، فقال: سبعاً

طباقاً، ثم عاودها بالملاحظة فحبكها حبكاً فكانت كذلك مائة ألف كور، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: «والسَّماء ذات الحُبْك».

ثم عاودها بالملاحظة فبرجها بروجاً، فكانت بتلك مائة ألف كور وقد أبان ذلك بالنطق، فقال: «والسَّماء ذات البرُوج».

فطرقها طرقاً فكانت كذلك مائة ألف كور، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: «والسَّماء والطَّارِق» وهذا معناه أي مستطرفة طرقها كما يقال طرقتي فلان، وهو أجلى فلان وطرق فلان فلان، ومعناه جاء فلان إلى فلان، وقد أبان مولانا أمير النحل جل ذكره ذلك على منبر المخاطبة عند مشافهة المحاورة فقال: «اسألوني فإني بطرق السَّماء أهدى منكم بطرق الأرض» فأوجد تعالى ذكره طرقها إذ لها طرق فكانت كذلك مائة ألف كور.

ثم عاودها بالملاحظة ففطرها عن التَّطابق إلى تجريها في عدد السَّبْع فكانت جميعاً بكون واحد، بالأوصاف فكانت تلك منه كما قال: «وأوحى في كل سماء أمرها» أي كون فيها كيان ما أبداه وهي واحدة مطابقة، وقد أبان الانفطار في النطق، فقال: «إذا السماء انفطرت» فكانت بذلك مائة ألف كور.

ثم عاودها بالملاحظة فسقفها سقوفاً وكونها صفوفاً، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: «وجعلنا السَّماء سَقْفاً مَحْقُوظاً» فكانت بذلك مائة ألف كور.

ثم عاودها بالملاحظة فسماها باسمها سماء وهو مشتق لاسمه الذي تسمى به فكان اسم وسماء شيئاً واحداً ولكنه كبر اسم الأزل أن يكون كاسمه فحل الألف من اسم إذ كان في أوله وفي آخر سماء، فاسم اسم وسماء سماء، فعوا هذا واعرفوه واعلموه وتبينوا مراد الله بتسميته لهذا الكون الذي كونه على تعاضم هذا الوصف والكيان لما هو كائن وما أراد به ولما يريده، فهو نبأ عظيم وسرٌ كريم لا يفحص عنه إلا ذو رتبة، ولا يعيه إلا ذو منزلة.

^١ يشير الكتاب هنا إلى قول الله «سبع سماوات طباقاً» نوح ١٥، وإلى قوله: «سبع سماوات طباقاً» الملوك ٢، وفي هذا إشارة إلى أن تكوين الوجود هو تكوين للكون.

تبيان بابية أبي شعيب وعمر وعي اسحاق الله عمر

فقالت الجماعة: يا محمد بن جندب، قل لعبد الله بن غائب: صفت به مولانا . ولا علم لنا بذلك إلا من حيث علمتنا، فقال: إن مولاي أمرني - كيف ذلك نكح وأخرجه إليكم لنزيد به تيقنا في كل حين وأوان وعند كل حلول قرن .

فقالت الجماعة: لمولانا الشكر لله ولك يا باب الله وخزانة عنمه .

فقال: إن الاسم أنحل بابه الذي بوبه معرفته، وجعله مقصد أونيته بيه هذا الاسم ولكونه عند إرادته لتكوينه كَوْن هذا الكيان حتى جعله حيث اسمه وبناه مع بدنه حين أبداه أزله، فهو مؤبد مع أبده وسمّاه مع اسمه الذي أنحله أزله، فبشر بنيه في هذا الاسم مدان ولا ينحله منتحل كما لا يداني الاسم في التسمية مدان ولا ينحله منتحل، وكلّما أتحف الأزل للإسم أتحف الاسم للباب، وكما حباه إذ كان أول بدو أبداه كما بداه أزله .

فقالت الجماعة: جلّ مولانا وتقدّس اسمه، لقد شرف بابه وأحلّه محلّ حته . فله الحمد إذ من علينا بمعرفته ذلك .

ثم قال لهم: فهل علمتم من الباب الذي أحله الإسم من كان في كون الكين الأول؟

قالوا: لا يا سيّدنا .

فقال: إنّه كان سماء بذاته واسمه في جميع الأكوار النورانية إلى أن أبدى الاسم الأكوار النورانية، فإنّه سمّاه جبريل، ولم يزل به متسمى واسم السماء له إلى أن ظهرت البشرية الجسمية، فلما أظهر البشرية الجسمية سمّاه بأسماء أعماها باسم وهو سلمان، وكان اسم جبريل له تسمّى به أفعلتم ذلك؟

فقالت الجماعة: قد كملت لنا معرفة باب الله !؟

فقال: كلاً فقولوه من هو الآن؟

فهمت الجماعة أن تبدي قولها: أنت هو .

فقال: هَسُوا احبسوا، عرف صدقكم وصحّ لكم رشدكم، لن يضلّ من اهتدى بكم أنا باب الله، لكم منة منه عليكم، وكذلك أبنته أنا لك يا محمد بن جندب، كما أبان عبد الله بن غالب لأولياء الله وأصفياه، فهل وعيته وعرفته.

قال محمد بن جندب: نعم يا مولاي، صحّت لي معرفة باب الله على ما شرحته وتيقنته، فلا شكّ فيه، فقال: أفترأه من هو في أوانك، فأردت أن أبديه له وأفوه به وأقول: أنت هو.

فقال: هَسَ احبس عليك قولك، قبل صدقك، وصحّ رشدك، فأبدأت لمولاي حمداً وشكراً.

فقال: يا محمد بن جندب، وهذا ممّا لم يبددك إسحاق ولا خرج به ولا شرحه.

فقلت: نعم يا مولاي، ما أبداه ولا خرج به ولا شرحه، أفترأه لم يعلمه؟

فقال: نعم يا محمد بن جندب، لم يعلمه ولا أمثاله ممّا أنا أشرحه لك في هذا الكتاب.

قال محمد بن جندب: فإنه ليحدثني ويشرح لي حتّى أحسست إلى جانبي بحركة، فأثّنت بوجهي، فإذا أنا بإسحاق جالساً إلى جانبي، وفي يده كتاب ينظر فيه.

فقلت: ما أعجب حالي مع سيدي أبي شعيب محمد بن نصير، يحدثني ويشرح لي، وإسحاق إلى جانبي لا علم لي به، وإنه ليقول بعقب كلّ شرح، وهذا ما لم يشرحه لك إسحاق ولم يخرج به إليك.

فأقول له: نعم، وهو يسمع ذلك لا يحتجّ فيه بحجة، ولا يسأله أن يضمّه إلى شرحه، إن هذا لعجب، ثمّ ملّت إلى إسحاق فقلت له: إسحاق.

قال: نعم.

قلت: إنني لمقبل على سيدي أبي شعيب أسمع منه ماحدثني به من شرح كتاب الأكوار النورانية، وأنت إلى جانبي ما علمتك حتّى الساعة، فمتى كان دخولك؟

فقال لي: على أترك دخلت يا محمد بن جندب، وذلك لي عبد الله بن جندب سمعت مني ما سمعت، أنك تأتيه فتعرفه ذلك وأنه سيعيدك بيت حصص. فبحث والكتاب معي، فكان منك ما كان إليه حين دخلت عليه، ثم صفي فيه رويت وأصدق من رواه رجلاً فرجلاً إلى آخر الإسناد، ثم بدأ يشرحه. رجعت نظر في الكتاب هل أجد عليه اختلافاً في كلمة واحدة، فأقول له هذه الكلمة هي في هذا الموضوع من الشرح ما أدخل من لفظة منه، فبقيت حائراً في إحدق وكلمة به في هذا نحا إليه.

فقلت له: هل وجدت في كتابك زيادة مما شرحه سيدنا أبو شعيب محمد بن نصير؟

فقال: لا.

فقلت: ولا نقصان؟

فقلت: إنا لله، أشرح لي سيدي أبو شعيب شرحاً ما شرحه لي إسحاق ويزيد عليّ بالشرح ما لم أسمع من إسحاق ثم يثبت به حضرته ويقول: هذا مما لم يشرحه لك إسحاق ولا أتى به، ويعيدني بأمثاله، وهو يسمع ذلك من قوله إتيي ويتأمل ما في كتابه، فلا يقول ليس هذا في كتابي، ما أظنه إلا إسحاق أعقل ذلك عندما شرح لي شرح أو نسيه، فهو يجده الآن، ولا يعلم أنه نسيه.

فقلت له: يا إسحاق إني أريد أن أسألك.

قال: اسأل؟

قلت: أعطني كتابك هذا حتى أنظر فيما قد مضى من الشرح؟

فدفعه إليّ، فتصفحته وتبينته، فلم أجد شيئاً مما كان شرحه لي سيدي أبو شعيب محمد بن نصير وعرفني به أن إسحاق لم يأت به ولا شرحه، فعلمت أنه ما طرقه بمسامعه وأنه أخفاه عنه.

فقلت: يا مولاي بلغت بابك محمد بن نصير أن يسمع من يشاء ويصم من

يشاء؟

فقال لي أبو شعيب: يا محمد بن جندب إنك لا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين، فعلمت أنّ أبا شعيب إليه التسليم فعل ذلك بإسحاق حين علم منه ما علم.

فقلت له: يا سيدي أقلني، فلا علم لي بما كان علمك به أعلم وأكمل ورددا الكتاب إلى إسحاق وقلت له: قد رأيت وتبينت فوجدت فيه ما رويت كما رواه سيدنا أبو شعيب محمد بن نصير.

فقال: يا محمد بن جندب وإنه وإن شرحه لك حفظاً فما يقدر أن يزيد على ما سمعه مني حرفاً.

فقلت: الله أعلم.

فقال سيدي أبو شعيب محمد بن نصير بملء صوته: «وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» فعلمت أنّ أبا شعيب أشار إلى إسحاق بخطابه، وسكت إسحاق فلم يعد في الذي سمعه من سيدي أبي شعيب.

إعاوة الشرع

فقال محمد بن جندب: ثم عاد أبو شعيب محمد بن نصير إلى إعادة الشرح، فقال: يا محمد بن جندب، ثم إن عبد الله بن غالب عاد إلى شرحه الذي كان يشرحه فقال: ثم إنه عاودها بالملاحظة للمراد فرفع طبقاً عن طبق، وجعل بين الطبق والطبق مائة ألف كور، وسقفها بمثل ذلك، وأبان الترفع للطبق عن الطبق في الطبق، فقال: «لترفعن طبقاً عن طبق^١»، وأبان في النطق سقفها فقال: «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً»، ثم أوجد أنه لا علم لهم بكون ذلك، ولا يعلمه فيها ولا بدو بدأته لها فقال: «وهم عن آياتها معرضون»، أي معرفتنا، ولما كوتها وأي كون هي، فكانت كذلك في مراده مائة ألف كور، ثم عاودها بالملاحظة فكشطها فبان أولها من آخرها، وآخرها من أولها حتى أوجد جميع ما كوت من كيان السبع طباق وما فيها من التي توجد من واحدة منها إذا حلها أبان له ما في جميعها لا مواري بينهم وهي

^١ الآية في القرآن: «لترَكِبْنَ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ»

في عظم ذلك في السمك والعلو بعضاً عن بعض، والسمك مدة ألف كور كور مدة، والعلو عن الطبّق إلى الطبّق مائة ألف كور.

فرتبها في ذلك مائة ألف كور، ثم عاودها بالملاحظة فثبتت وأصبحت برزخاً في مراده وهي ضياء ساطع لامع، ثم عاودها بالملاحظة وقد أتم له كورده الذي هو بداه من نور ذاته، وهو الكون النوراني فكان جميع ما مضى من شرح لأكور في هذا التكوين إلى حيث تناهى هذا الشرح كوراً واحداً فسمّاه به إذ كان هو النور ومن نوره أبدأه ومنه كون كيان تكوينه، ثم أمده بالمعاودة له بالملاحظة. فنحظ ما كان حلّه ورجرجه وسيره، ثم لحظه فحبسه مائة ألف كور عن تسيره. ثم نحظه فأقامه عن ترجرجه مائة ألف كور، ثم لحظه فألقاه من تحلّه وأهمله مائة ألف كور.

وذكر نعت أوصاف السماء

ثم لحظه بالإرادة للتكوين، فانصبغ بضياء نوره الجوهري فأهمله مائة ألف كور، ثم لحظه فجسم به الصيغ فصارت صبغة، وقد أبان الصبغة بالنطق، فقال: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» وهذا ما أراد بالصبغة لا ما ذهب إليه الشاكون.

وقد حار أهل الشك في لون السماء التي يجارون كيانها من حيث لا علم لهم بها، فقالوا: زرقاء وغير زرقاء، ثم أتوا يصفون كون أوصاف ما لا معاينة وقعت لهم بها، فقالوا: سماء من درة بيضاء، وسماء من فضة بيضاء، وسماء من ذهب صفراء، وقد سموها بأسماء كثيرة، وأوصاف اخترعوها بظنهم، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: «لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون» مما يختلفون لها من الخلق، وكذلك اختلفوا في أن للأرض أوصافاً عند تكوينها وهم يحرفون نطقه وأخباره فيتلون النطق على حسب إرادتهم بالتأميل فيتلونه: «لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس» فهم في ذلك كاذبون لأنهم لا يعلمون، وقد أبان ذلك فيهم أنهم لا يعلمون من خلقهم ولا من خلق السماوات والأرض، فقال بالنطق: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون» وأبان عنهم في ذاتهم فقال: «ولئن سألتهم من خلقهم

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^١»، فأوجد أنهم لا يعلمون من خلق ولا ما خلق، ولا ممّ خلق، ولا كيف خلق.

وهم بالجرأة يجدون الخالق ويجدونه ويصفون خلقه، وممّ خلق، ويجدونه وينعتونه بوصف الحدّ والكيف والتناهي والوزن واللون حتّى يصفوا بادّعاءهم عدد حجه، ورؤية عرشه، وسعة كرسيه، وأين يصفه من السماء وكيف يجلس عليه، وقد أبان في النطق تكذيبهم فقال: «وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤدّه حفظهما» فأوجد بها أوسع موجود السماوات والأرض من علمه بحيث نهاية السماوات لا بحيث علمهم، ثمّ قال: «ولا يؤدّه حفظهما» فأوجد بذلك أن السماوات والأرض لا يعلمان بحيثهما من الكرسي إذ هما فيه لأنّه وسعهما وحفظهما وهما بسعته «ولا يؤدّه حفظهما وهو العليّ العظيم».

الكرسي (الاسم)

قال محمد بن جندب: ثمّ حبس عليّ سيدي أبو شعيب محمد بن نصير الشّروح، وقال: يا محمد بن جندب، إنّ عبد الله بن غالب حبس الشّروح عن الجماعة.

فقال لهم: هل علمتم ما الكرسي وما كونه وأين سعته وحيثه من السماوات والأرض؟

ف قالت الجماعة: من أين لنا علم ذلك إلّا بمنك علينا إذ أنت معدن علم الله وخزّانة سرّه، ومستودع مكنون غيبته فأيدنا بما أيدت به لنعلم ذلك.

فقال: إنّ مولاي ليزيدكم من فضله، لا يزال يأمرني بشرحه لكم ويصف لي سؤلكم ما لم تبلغه هممكم، ولا تنهات إليه عقولكم، كرسيه اسمه، وهو أبداه الذي أمده بكون التكوين الذي كوّن بإرادته، فكان بكونه كائناً لمكوّنه والغاية وسعة إذ هو أزلّه وهو وسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من كون كيان تكوينه، لا يعلم حيث حيثه ولا كون كيان تكوينه شيئاً ممّا كوّن ولا يحيط بوصف

^١ النصّ الصحيح في القرآن هو: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون»

ذاته في كونه إلا أزله الذي هو غايته ومعناه، تاهوا عن معرفة ما كنز في بركود ولن يبلغوه، فكيف يحدّون حدّ ذاته، ووصف حيثه، وقد وصفه حمز بن عبد الله بن جندب وغيره من أوصافهم لقدرته، وضعفهم لما هو مبدّيه.

فقال بالنطق تعالى ذكره: «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» فلاذت الجماعة يا محمد بن جندب بعبد الله بن غالب وأرادت أن تسأله عن حبس الشرح وأن يبدي سكفاءهم بما قد تقدّم إليهم منه.

فقال: واحبسوا عليكم فإن مولاكم أمرني أن آتي بالشرح على نعمة وكمته حتى تتمّ بذلك النعمة على أوليائه.

فقال الجماعة: يا سيّدنا قد أبهرنا ما تورده وضعفت قلوبنا عن وسعه وحفظه، فاسأله إثباتاً له وهبه الحفظ منه.

فقال لهم: إنه قد أمّدكم بذلك من حين أمّدكم السؤال، ولولا ذلك لما أضقتكم استماع حرف واحد ممّا قد شرحت، فأكثرُوا من حمد مولاكم والشكر له.

قال محمد بن جندب: فأبهرني ما أورده عليّ محمد بن نصير من الشرح، وضعفت عن حفظه، فأردت أن أبدأ بحبس الشرح وأقول له حسبي قد غنيت بما شرحت.

فناداني: احبس عليك يا محمد بما تريد أن تبدي، فإن مولاي أذن لي وأمرني أن أخرج إليك بالشرح على كماله، وتأمّامه فاشكره، فقد أمّدك بالحفظ والثبات.

فقلت له: لمولاي الحمد على نعمه وأياديه عندي وعند أوليائه.

ثم إن سيدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جندب، هذا ممّا لم يخرجك إليك إسحاق ولا شرحه.

فقلت: نعم يا مولاي، ثم انتثيت على إسحاق فقلت: أسمع ما شرحه محمد بن نصير، ووافق لفظه ما في كتابك، فقال: نعم يا محمد بن جندب حرفاً بحرف، فهل سمعت أنت منه شيئاً لم تسمعه مني؟

فقلت: ما أعجب ما تسألني عنه أنت حاضرٌ تسمع كما أسمع وتقابل بلفظ كتابك، أظنك غائباً عن حضورك.

فقال: وكيف ذلك؟

فقلت: لسؤالك إياي هل سمعت شيئاً من محمد بن نصير غير الذي سمعته منك، كأنني أخبرك أنني سمعت منه بغير حضرتك؟

فقال: لئلاً أكون غفلت عند لفظه أو خرجت مع ما أني مبينه لما يأتي به الشرح أقيد عليه لفظه.

فقلت: إنا لله، إن هذا من إسحاق لعظيم.

فقال لي أبو شعيب محمد بن نصير: يا محمد بن جندب: «وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاضاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَتْ لَهُمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشَّامِلِ» فعلمت ما أراد بقوله أنه أوجدني أن إسحاق عند نطقه لي نطق بما لم أسمعه من إسحاق، وإسحاق راقداً، وإنه يقلب وجهه عن شرحه ذات اليمين وذات الشمال.

فقال لي إسحاق: يا محمد كم يقطع عليّ محمد بن نصير شرحه ويسأل عن صحّة ما في يديّ، فهل عنده من علم كتاب الأكواريث النورانية غير ما عندي، أم علمه به يزيد على علمي؟

فقال محمد بن نصير: يا محمد بن جندب، ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب، فبدر إليّ إسحاق وقال: سمعت الآن ما قال؟

فقلت له ما قال؟

فقال: يقول إسحاق يقول لك ما يعلم من علم ما علم.

فقلت: صدقت قد أعاده عليّ مراراً.

شرح الأكوان الأربعة

فقال سيدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه: يا محمد بن حبيب. ثم إن عبد الله بن غالب عاد إلى الشرح فقال: ثم إنه عاوده بملاحظة المراد. فتجوهر بضياء نوره، فأمدّه بتجوهره على حاله مائة ألف كور، ثم نحظه فجوهر به السبع طباق، فكل تجوهر يعلمه بمراده، وكيان ما أراد كونه، فكان التجوهر في السبع طباق مائة ألف كور، فتم له فيه كور سماء به فكانت الأكوار التي بين تسميته: الكون النوراني.

إلى أن سمى هذا الكون كوناً واحداً، فسمّاه بالتجوهر: الكون الجوهري. حين أكمل له التكوين إلى نهاية التجوهر فكان بكيانه وحاله مائة ألف كور. ثم عاوده الحيث بملاحظة المراد فوجد في الحيث ما كان سيره وميزه فتسير وتميز. ثم أمدّه بنوره. فامتزج وتلاحم واختلط وأزاله عن كيانه التجزيء والتمييز وأوقفه في كيانه ودوامه بملاحظته حتى صفاه وجعله بمداومة الملاحظة كالذرة البيضاء ونحظها فسمت علواً في المراد من القدرة، فأوقفها في الأمد الذي قدمه، ثم نحظها فتشعّعت مثل ذلك الأمد، ولحظها فأنارت مثل ذلك الأمد، ثم أعادها بعد أن أقرها، وذهب بها في قدرة ذات اليمين أمداً مثل ذلك، ثم أعادها إلى الحيث، فأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، ثم ذهب بها في قدرة ذات الشمال أمداً مثل ذلك.

ثم أعادها إلى الحيث فأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، ثم عظمها فذهب بها في جمع ما ذهب بها فيه علواً ويميناً وشمالاً، وملأه بها وسعاً وأقر فيها أمداً مثل ذلك، ثم لطفها ولاشاها حتى صارت كالذرة من الهباء بعد التعاضم والسمو وأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، وهي بحيثها لا تعلم أين انتهى بها من الحيث الذي هي فيه، ثم أحسها فكانت في حال الحسن والحسب أمداً مثل ذلك.

ثم قدّم فيها قدرة المراد فكانت بتقدمة قدرة المراد أمداً مثل ذلك، ثم أباها لتكوين تكوين الإرادة فيها، فكانت ببدنها لكون تكوين الإرادة فيها أمداً مثل ذلك، فلما أوجدتها المكون بالحيث يكون تكوينه لها لحظها بملاحظة المراد منها في سابق تكوينها، فأسفرت عن سبعة أبحر، فذهب كل بحر منها في الحيث من حيث

ذهبت بها فيه. ثم جمعها فكان ذهابها في الحي مائة ألف كور، وجمعها مائة ألف كور ثم لحظها ما حذق كل بحر منها سماء، فكان أمد أحذاق كل بحر سماء مائة ألف كور إذا أحذاق بحر بسماء، وتم احتذاقه بها بدا الآخر باحتذاقه حتى أتم لها في أمد الاحتذاق بسبعمائة ألف كور فكانت جارية مائة ألف كور، ثم لحظها فأقامها عن الكون مائة ألف كور.

ثم كتيها فكانت في الكيف مائة ألف كور، ثم لحظها فحبسها مائة ألف كور، ثم لحظها فسجّرها مائة ألف كور، وذلك قوله في النطق: «والبَحْرُ الْمَسْجُورُ» فلما أكمل لها آحاد الأكوار التي كونها به وفيه وهي كون واحد سمّاها باسم وهو: الكون المائي

ثم أعاد الحيث، فوجد به النور المتشعشع المضيء، الذي أجاله في علم مراد تكوينه أمدًا مثل ذلك، ثم لحظ فيما ولما أمدًا مثل ذلك ثم دكّه دكّا أمدًا مثل ذلك، ثم سواه وزناً أمدًا مثل ذلك، ثم عرجه ودرّجه، وسهّله وجربّه أمدًا مثل ذلك، ثم أماده وأرهجه أمدًا مثل ذلك، ثم خفّفه، في محمله حتى صار لو مرّت به الريح القته في مكان سحيق، فكان به أمدًا مثل ذلك، ثم حبسه ونقله في تناهي العظم فكان به أمدًا مثل ذلك.

ثم بثّه فأثبت في مدام علمه كالفراش المبوّث، فكان فيه أمدًا مثل ذلك، ولحظه فتلاصق انبثائه واجتمع في تلاصقه كالكوّة الخرقاء، وهي في حال اتّساع الانبثاث لم يفصل عنها من السّعة شيء في التلاصق والاجتماع، وأدامها في حال أمد مثل ذلك، ثم خرّقها بأربع مخترقات نافذات بعضهنّ إلى بعض بإزاء بعض كلّ مخترقٍ بإزاء مخترقٍ نورانيّة، وهي مستديرة كالكوّة، فأمدّها فيه أمدًا مثل ذلك، فلما أوجدّها في الحيث ثم لحظها فاندحت في الحيث ذهاباً، ثم أمدّها في الدحو أمدًا مثل ذلك، ثم أجالها في مذاهب البحار السبعة فجالت أمدًا مثل ذلك، وهي مائة ألف كور.

ثم لحظها فأجازها في كون جميع ما كونّه من السّبع طباقٍ والسّبعة أبحرٍ، فلما أدارها فيه مائة ألف كور ثم لحظها، فظهر لها دويٌّ كالرّعد القاصف وهو محتبسٌ في جوفها مائة ألف كور، ثم لحظها فأبدت الدويّ من المخترقات الأربع،

فكادت تذهب بجميع كلّ مكوّن فأنارت وثوّرت كلّ ساكن، وموّجت ماء البحار. فكان كذلك مائة ألف كور، ثمّ عاودها بالملاحظة فانحسّ ركذ في حيثه في جوفها لا تبدو منه ذارية.

فلما تكامل له في عدد الأكوار وهو كور واحد سمّاه بالإسم الذي كونه به وهو الكون الهوائي.

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيدي أبا شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه قال لي: يا محمد بن جندب، في هذا الموضع قطع عبد الله بن غالب الشرح وسأل من بحضرته: هل حصلتم ما سلف من عدد التكوين؟

و كانوا قد عقلوا إحصاءه فأقروا بتقصيرهم عن معرفة ذلك، فشرحه وأتى به وعرفهم ما قدّمه إليه مولاه وأذّبهم فيه بإذن الله، وعرفهم أنّ الكون الذي حبسه عليهم كان الكون الخامس وكانت الأكوار إلى الكور الخامس بعدد من كان بحضرته للسؤال وهم الخمسة الأيتام الذين هم خزّانه.

الخمسّة الأيتام

فأراد أن يعلمهم أنّه عند كون كلّ مكوّن كون من هذه الخمسة، كون منهم مكوّن ولا حله كون، وهو محلّه وإليه ينسب، ولم يكشفه لهم في الخطاب الأول، بل كشفه لهم في هذا الموضع فقال: إنّ الإسم لما خلق ما كونه في بدو تكوينه أمده الأزل بعلمه أنّه يكون ما يكون لكون يكوّنه، ويصطفيه كما اصطفى، فكان بمادّة العلم من الأزل عالماً بالخمسة أشخاص أنّه مكوّنها لكونه الذي قد بدا كيانه وهو اسمه الذي أنحله مشاكل الاسم الذي أنحله أزلّه، وهو اسمه سماء وأنهم خواصّه في التكوين بعده وأنّ كونه كائنٌ بتكوين بدو ما كوّن لم يسبقهم كون، وأنهم يجرون مع المكوّن بحيث جرت قدرته، ويحلّون بحيث حلّت عظمتّه، لا يغيّره عن كون إرادته التي أرادها لهم وأرادهم لها استخصّ ذاتهم لذات ذاته وهو بابه، وأمدهم منه إذ جعله المادّة لهم منه محلّ ذاته عن كنه الوصف للواصفين، ولا يأتي على علم كونه إلّا مكوّنه المكوّن لكيانهم من أجله.

فكشف لهم عبد الله بن غائب هذا الشرح في هذا الموضع وأبانه لهم وعرفهم عظم منزلتهم عند مكوّنهم، ونهاية صفائهم في علم أزل من أبادهم للتكوين وما أنحلهم من رتبة الأكوار السّالفة وأنهم كائنون في قدمها مع قدمهم يعلمهم ولا يعلمونه إلى أن أبادهم للإيجاد، فأوجدهم ذاته وأمدّهم من غير إيجادهم ذاته بما مضى من الأكوار السّالفة، ثمّ أوجدهم ذاته وأمدّهم فيه بأمد ما لم يوجد لهم، ثمّ تسمّى عندهم في [أمد] مثل ذلك، ثمّ نطق فيهم بأمد مثل ذلك، وهم في غيب علمه بكونهم.

فلما أتمّ لهم الأمد وأقام الكائنات التي كونها بكونهم، وأنحلهم إياهم أبدى إرادة تكوين عيانهم كما أبدى عيان تكوين المكوّنات لكونهم فأبادهم على وجود إرادته من حيث أبادهم قدرته بتقدير اثنين إمادة وإبادة في الحيث النوري فكبر خلقهم عند وجودهم ذلك منه وعرفوا فضل ما أنعم به مولاهم عليهم وعرفوا المحلّ الذي أحلهم والرتبة التي أنحلهم فقالوا:

إنّا كنّا عن هذا غافلين، وخرّوا لوجوههم لائذين بسيدهم، فناداهم عبد الله بن غالب ارفعوا، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، «و كم له إليكم من ابتداء نعمة وأنتم عنها غافلون».

افتقار الأعرار للشرح

ثمّ قال: يا محمد بن جندب ولقد حضرني في مجلسي أحد من حضر هذا الخطاب من عبد الله بن غالب وشاهد الجماعة في وقت السؤال وسمع الشرح من عبد الله بن غالب، ثمّ ضرب عليه فنتسيه، ونسي ما عرف من كون كيانه في بدنه وهو السّاعة يسمع مني ما قد طرق مسامعه في أعصار وأكوار وأحقاب يجده عند الشرح ويحبس عليه الحفظ، ثمّ يقول: حدّثني إسحاق وسمعت من إسحاق، وإنّ ذلك اختبار من الله لأوليائه وأصفياه ليبيّن لهم الذين اختلفوا، أو يثبتوا لهم الحجة على الذين خالفوا.

قال محمد بن جندب: فعلمت أنّ إشارته إليّ في الذي قاله، فخررت لوجهي ألوذ بسيدّي ومولاي.

فقال: ارفع يا محمد بن جندب كما رفعت بين يدي عبد الله بن شبيب حين ناداك وبشرك، وأنا أبشرك بمثل تلك البشري.

فرفعت رأسي وأنا أقول: ويحي أنسي نغم مولاي علي، وأعرض عن عمار أبداني مرة بعد مرة أخرى.

ثم إن محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جندب ع قل لي تلويحاً فإني أقوله لك تصريحاً، هل سمعت بهذا من إسحاق؟

فقلت: لا يا سيدي، ما أورد هذا إسحاق.

فقال: يا محمد بن جندب، إن الله جعل سؤالك عن هذا الشرح حجة على إسحاق، وإنما قاده إلى شرحه لك ما شرح لكشف ما يضمه ويسره في باب الله وأمره، وقد قال بالنطق: «والله غالب على أمره»، وذلك أن إسحاق يخفي خلاف ما يعلن مما كشفه لك.

قال محمد بن جندب: فانتثيت إلى إسحاق وقلت له: إن محمد بن نصير يصفك بأوصاف يعلمها منك ولا أعلمها.

فقال: يا محمد بن جندب إن محمد بن نصير حفظ كتاب الأكوار، فهل يتلوه عليك ظاهراً وتساءله عن بيان ما فيه فيشرحه، ولو سألته عن تأويل ذلك وتفسيره لغرب عليك علم ذلك منه، فإن أردت علم ما عرفتك فاسأله، قال محمد بن جندب: فقلت له يا إسحاق عم أسأله؟

فقال: تسأله عن المقام الذي أقامه نفسه لشرح ما يشرحه لك بشيء أذن له فيه في هذا الوقت أم شيء تقدم إليه به من قبل سؤالك واستماعك مني، فإن كان أذن له فيه من قبل أن تسمعه مني فلم أخره عنك إلى أن سمعته، وإن كان شيء أمر في هذا الوقت وقد سمعته مني فأين الفصل بين استماعك ذلك مني ومن ادعائه هو عليك ذلك، إذا كان الشرح واحداً؟

فقال محمد بن نصير: يا محمد بن جندب أجب إسحاق بما يبهره، فقلت له: إن محمد بن نصير مأمور بإبداء علوم الله وشرحها يأتي به على حقيقة كونها وصدق شرحها، يخرج ذلك إليه من مولاه، ويبيده لأوليائه والذي حدثتني أنت به

عن خالد بن الأشعث، عن صالح بن عبد القدوس، عن يونس بن ظبيان، عن بشار الشعيري، عن حمران بن أعين، عن أبي حمزة الثمالي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فإنما سمع جابر ما سمعه من محمد بن نصير هذا وقت زين العابدين وهو عبد الله بن غالب في أوانه.

فقال إسحاق: كأنك تقول: إنه صاحب الشرح؟

فقلت: نعم كذا أقول.

فوضع كتابه من يده وأخذ في إصلاح ردائه للخروج، فمدّ محمد بن نصير يده فأخذ الكتاب ورفعَه إليّ وقال: احتفظ به، ونهض إسحاق وهو يقول: لا يزالون بمحمد بن نصير حتى يتخذوه ربّاً، وخرج ولم يطلب الكتاب.

فقال محمد بن نصير: انظر في كتاب إسحاق بالموضع الذي شرحت لك ما لم يشرحه إسحاق، وعرفتُك أنه ما شرّحه، فعدت أنظر فيه فإذا بجميع ذلك الشرح الذي شرّحه لي محمد بن نصير في كتاب إسحاق.

فقلت له: يا سيدي إني أجد شرحك كلّه كاملاً.

فقال: هو كذلك، وإنما ستر عنه ذلك كما ستر عنه أخذ كتابه. يا محمد بن جندب إن إسحاق خرج فلقية بعض تبّاعه فجلس يحدثه ثم مضى ودخل إلى منزله، فخرج وجلس في سوق الكوفيين، فافتقد الكتاب. فرجع إلى منزله وطلبه فلم يجده، وقد طالب به الرّجل الذي جلس معه يحدثه. فأبى وقت نقبته فأسأله عنه فإنه لا يعرف منه حرفاً واحداً ولقد سلبه بما جرى إليه وليكن عند سؤالك له عنه، هذا الكتاب في يدك فإنه بخطّه فإن سألك عما في يدك، فقل له: كتاب الكور والدور لمحمد بن سنان، فإنه سيقول أرنيه أنظر إليه، فادفعه له، فسيقول لك صدقت هذا كتاب الكور والدور لمحمد بن سنان.

قال محمد بن جندب، فلقد كان من إسحاق جميع ما أبداه إليّ محمد بن نصير، ولم أسمع إسحاق ذكر كتاب الأكوار بعد ذلك اليوم.

العودة للشرح

قال محمد بن جندب: ثم إن سيدي أبا شعيب محمد بن نصير إليه التسليم عاد إليّ شرح ما كان يشرحه لي فقال: ثم إن عبد الله بن غالب عاد بالشرح فقال: إنه عاد بالملاحظة للحيث، فعابن تكوينه وكيانه الذي كونه الخامس من التكوينات الذي رآه حين لحظه لمراده منيفاً شاهقاً عالياً زاهياً متعالياً متلاصقاً، فحين لحظه بإرادة مراده صدعه، وفرقه، كما قال: «فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» فتهافت في علم الارادة من المكون لا يقرها حيث حيث إذ لا حيث. وأبدى من كل فرقة منها بعدد تلك الفرق فرقا أعظم منها حالا حتى صارت تلك الفرقة التي بدت منها تلك الفرق أدناها منظراً وأقلها وزناً لا يحسن عند عظم إحدى الفرق التي بدت منها.

وقد كانت الفرقة الأولى التي تفرقت عند الانصداع بعدد سنين المائة ألف كور من سنتكم هذه على ما شرح، ثم أدامه كذلك وهو مترابط متشابك متضاعف متطابق وباعده عن تلاصقه وتشابكه وتراكبه وتطابقه، فصارت كل فرقة منها حيث لا تحسن بأخرى من تباعدها وتباينها وتراكبها ذهاباً فأعدم بعضها بعضاً حتى كأنها لم تكن بمكونة، وأثبت لملاحظته فرقتين لا ثالث لهما فكانتا بحيث ثبتتا على حالتيهما، ليستا بحائلتين ولا زائلتين، وأعم بهما ذلك الحيث الذي كانت تلك الفرق تعظم تكاثرها فيه لا يحسن أحدهما بصاحبه ولا يحيثه ولا يعلمه.

فملاً ذلك الحيث بتركما الفرقتين حتى امتلأت فيه ثم أنارهما بنور ملاحظة المريد، فكانتا كنوره في كيان كونه، فلمّا لحظهما وهما بحال كيانهما الذي كونهما به أعاد على نورهما بمعاودة الإرادة، ففدح إحداهما عن لهب نور أعم به الحيث وأججه مائة ألف كور، ثم أعاد إليه الملاحظة للمراد فأسعره مائة ألف كور، ثم أعاد الملاحظة للمراد فأضرمه مائة ألف كور، ثم أعاد الملاحظة للمراد فججعه مائة ألف كور، ثم أعاد الملاحظة للمارد فأبدى شرره مائة ألف كور، ثم أعاد الملاحظة للمراد فأشعله يمر في الحيث كله، فأعمّه وغمره وأحرق به وكلّله وأوهج وقده حتى قتم وسدم وتعم فعام في ذلك مائة ألف كور، فعاوده بملاحظة المراد فأركده وأخمدته وأهمده فأنحس تنحيساً في كون كيانه بكون ذات إرادته فأنحله الاسم الذي

كوته لما كمل له إعداد الأكوار التي جعلها كوراً واحداً وسمّاه به فكان الكون الناري.

تبيان النجوم

ثم عاود الملاحظة للحيث فإذا هو بالنور الذي كان متبعضاً متجزئاً وإن كل بعض منه جزء ليضيء، وإن ضياء بعضهما ليفضل على ضياء بعض، ويغشى بعضهما بعضاً، وهي متكاثفة قد امتلأ بها الحيث فألحظها ففرقها أمداً ثم لحظها فجمعها فرقاً متشاكلة لا تمازج فرقة إلا شكلها وأحف بعضها ببعض في ذلك الحيث، فكانت كذلك أمداً مثل ذلك، ثم أزهرها وسترها في الحيث فأحل بعضها محل بعض بحيث كان يسكن من قبله، وأوجدتها بحيثها وحيث غيرها من أشباهها كل يحول ويسير ويحل بحيث رتب له السير وكانت بذلك أمداً مثل ذلك حتى تم فيها كون الإرادة للتكوين الذي هي مكونة له.

فلما أوجدتها في الحيث بحال كيائها المكونة له أعاد إليها ملاحظة المراد الكائن لتكوينها فأنشأها عدداً، وكونها شداداً، وأبداها صفوفاً وأكملها ألوفاً، وكوكبها فزَيْن ما أبداه في بدو تكوينه وهي السماء، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» ثم زينها بحيث كونها له وأحفها بالكون الذي أبداه وهو السماء، فغمرها بها وسطرها فيها، وسكنها فآزهرها، فكانت على ذلك الوصف مائة ألف كور، ثم أبدى لها أحد الفرقدين، فأغشى بنوره أنوارها، وأمد نوره على أنوارها ونصبه في قطب الكون، ونهياً من حوله وأركزه وأركزها مائة ألف كور، وهو بحاله ما يقضيه شيء من الضياء والنور وهو مع ذلك ميم الإرادة، ثم بدا له الاسم فثبت له تلك الفرق وتهاوى ما كان حوله من كون فمرت في الحيث يميناً وشمالاً حتى لم يبق منها حوله زاهرة وصار بذاته في كونه، فأمدّه الأزل بعلم أحكام التكوين وتمام المراد ونهاية الحدوث، فأوجد ذاته بوصف ذلك، فلما ثبت له ذلك من علمه أبدى الأزل بإيجاده الفرق من حيث إرادة إيجاده له لا توجد ذات كليته، فجعل تلك الفرق تدور من تعظيم ما أوجد من علم إرادة الأزل بإيجاده له.

فلم يزل به ذلك التَّعْظِيمُ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ وَأُوجِدَ لِمَكُونِهِ فِي حَالِ عَدَمِ الْوُجُودِ، فَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مَرَادُ الْأَزْلِ بِإِجَادِ الْمَكُونِ بِسَطِ قُدْرَتِهِ عَلَى مَا قَدَرَهُ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي أَوْجَدَهُ لِلْفَرْقِ مِنْ إِرَادَتِهِ لِمَوْجِدِهِ الْغَايَةَ مِنَ الْأَزْلِ، وَقَدْ كَانَ ذَهَبَ فِي مَنَازِلِ التَّعْظِيمِ حَتَّى صَارَ كَالْعَرَجُونِ، وَهُوَ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ، الَّتِي تَلُوحُ فِي حَالِكِ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ، لَيْسَ بِهِ غَيْرُهَا، فَكَانَتْ كَذَلِكَ بِالذَّهَابِ مِنَ الْكُونِ إِلَى حُلُولِ هَذَا الْوَصْفِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ، وَعَلَى وَصْفِ الْعَرَجُونِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ، ثُمَّ أَمَدَ الْأَزْلَ الْمَكُونِ عِنْدَ مَرَادِهِ مَكَانَ تَكْوِينِهِ فَعَاوَدَ بِالْمُلَاحَظَةِ لِلْحَيْثِ الَّذِي كَوْنُهُ، وَالْفَرْقِ الَّذِي أَنَارَهَا، وَالْمَصَابِيحِ الَّتِي أَزْهَرَهَا، فَأُطَافَهَا بِالْمُلَاحَظَةِ لِلطَّلَبِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ، لَا يَوْجِدُ لِكَيَانِ مَا كَوْنَ حَيْثُ، وَلَا يَجِدُهُ أَزْلُهُ حَقِيقَةً عَدَمِ وَجُودِ مَا كَوْنَ. فَكَانَ بِذَلِكَ مَدْمَنٌ بِالْمُلَاحَظَةِ وَالطَّلَبِ.

فَلَمَّا بَعْدَ عَلَيْهِ مَدَى طَلَبِهِ أَبَانَ لَهُ وَجُودَ الْعَرَجُونِ فَبَدَأَ لَهُ، وَأَلْهَمَ الْعَرَجُونِ إِجَادَ مَكُونِهِ فَجَعَلَ يَنْحُوهُ، وَيُطْلِبُهُ، وَيَسْمُو إِلَيْهِ، وَيُنْقَادُ إِلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي قَدَرَهُ لَهَا حَتَّى عَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ كَوْرٍ، فَثَبَّتَ فِيهِ ذَلِكَ مِنْ إِرَادَةِ الْأَزْلِ الذَّهَابِ وَالتَّلَاشِي، كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِاتِّصَاقِ فَقْتٍ: «وَالْقَمَرُ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعَرَجُونِ الْقَدِيمِ» فَكَانَ ذَهَابُهُ وَتَلَاشِيهِ ذَهَابًا بِالسَّبْعِ ثُمَّ لَمَّا بَدَأَ لَهُ كَوْنَ ذَاتِ الْمَكُونِ ثُمَّ عَاوَدَ فِيهَا إِلَى كَمَالِ ذَاتِ كَوْنِهِ فَأَبْدَرَ بِهَيْئَةِ التَّمَامِ.

فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ بَرْتَبَةُ الْإِبْدَارِ فِي تَتَمُّعِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَأَنْحَلَهُ الْأَزْلَ بِتِلْكَ إِرَادَةِ الظَّهْوَرِ بِالْإِسْمِ لِتَكْوِينَاتِهِ الَّتِي كَوْنَهَا فِي بَدْوِ تَكْوِينَاتِ النُّورَانِيَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ بَدْوِ مَرَادِهِ فِيهِ، وَأَنْحَلَهُ مَكُونَهُ وَهُوَ الْإِسْمُ. وَلَمَّا أَنْحَلَهُ الْأَزْلَ وَجُودَ ظَهْوَرِهِ بِذَاتِ الْإِسْمِ لِلْأَكْوَانِ النُّورَانِيَّةِ إِذْ جَعَلَهُ دَلِيلَ مَا تَكُونُ وَمَحَلَّهَا وَمَقْدَارَهَا وَضِيَّائَهَا وَمَقْدَارَ مَا يَكُونُ مِنْ تَكْوِينَاتِ إِرَادَةِ مَا يَكُونُ، وَتَوَقَّيْتُ مَا يَوْقَتُهُ، فَمِنْ ثَمَّ ثَبَّتَ فِيهِ وَجُودَ مَا أَوْجَدَهُ هَذَا الْعَالَمَ مِنَ التَّرْتِيبِ لِلْقَمَرِ وَاسْتِهْلَالِهِ وَإِجْرَائِهِ لِلْعَوَالِمِ تَقْدِيرَاتِ عَوَالِمِهِمْ وَكُونِ أَكْوَارِهِمْ بِالسَّبْقِ الَّذِي قَدَّمَهُ الْأَزْلَ فِيهِ مِنْ عِلْمِ الْإِرَادَةِ مَبِينٍ فِيهِ مَا أَبْدَاهُ إِلَى مَكُونِهِ حَتَّى لِكَأَنَّهُ فِيهِ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَنْحَلَهُ مَكُونَهُ ثَبَّتَ فِي ذَلِكَ الْحَيْثُ عَلَى تَمَامِ الْكَمَالِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيْثُ وَالْكَوْنَ وَالتَّكْوِينَاتِ كُلَّهَا نُورٌ لَا ظِلَامَ يَمَازِجُهَا، وَلَا قَتَمَ وَالْكَيَانَ الْمَكُونِ نُورٌ مُشَبَّحٌ لِإِجَادِ الذَّاتِ لِأَنَّهُ كَوْنَ بِهَا فَكَانَتْ الْكَائِنَاتُ تَجِدُ كَوْنَهَا مِنْ حَيْثُ

إيجادها من مكوّنها، فيزهر بذلك نورٌ وهي بغير حسّ، فكان البدر الذي بدر تمامه ثابتاً بحيثه، وهي حافّةٌ به محدقةٌ به.

فأمّد الأزل إرادته لتكون في إدامة ذلك ألف ألف كور، فأمدّها المكوّن كذلك، فكانت إرادة الأزل في الظهور بالاسم لذلك المبدّر فيذهب في حاله بالذهاب الأول والتلاشي على ما أبداه حتّى يعود كالعرجون، ثمّ يعاود بعد تمام إنفاد مراده بوجود المكوّن، فيعود إلى كون بدوره بالتمام، فكان كذلك بالكرّ والعود ألف ألف كور، يذهب بمائة ألف كور، ويعود بمائة ألف كور، فأكرّه كذلك خمساً وقد أبان ذلك فقال بالنطق: «في خمسة أيّام سواء للسائلين»^١.

ثمّ قال لي محمد بن نصير: يا محمد بن جندب، وتلك الألف ألف كور هي الخمسة الأيام، كل يوم منها مائتا ألف كور أمدها الأزل لذات كون مكوّن الكيانات.

ثمّ إنّ عبد الله بن غالب سأل الجمع الذي بحضرته فقال: أعلمتم معنى النطق خمسة أيّام سواء للسائلين؟

فقالوا: لا يا مولانا.

فقال: في وقت تكوين المكوّنات لم يكن سائزٌ ولا معترضٌ عنى المكوّن وإنما وقع السؤال عند تكوين النطق في الكون الترابيّ البشريّ. فلمّا جرى النطق وثبت لها الوجود والعيان أوقعت السؤال، واعترضت في علم الكيانات، وكذلك أمدها الأزل بإرادة المكوّن لإيجاد القدرة يبدو للقادر وثبتت الحجة على الكون المكوّن بعد هذه المكوّنات وهو الكون الترابيّ البشريّ.

الكون الترابيّ البشريّ

و هو الذي جرى فيه المزاج وبه كوّنّت الظلمة وهو بدوها والقتم والعتم وهو ذاتها والذي جرى عليهم هذا الخطاب من النطق في سبق القدم النورانيّ إلى أن بدا في وجودكم الكون الترابيّ البشريّ وهم الخمسة الذين شرحتهم وأثبتهم أنهم الأيّام

^١ يورد الكاتب هنا أربعة أيّام ولكن النص في القرآن يقول: «وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواء للسائلين»

الذين كَوَّنُوا مع الأكوان الخمسة، وسميت الأكوار بهم عند إرادة كونهم وهم السائلون من علم الملكوت والباحثون عنه، والراغبون في وجود علمه.

ثُمَّ قَالَ: وهم أهل السؤال عن هذا الشرح وفي هذا الحين وفي كل حين، وذلك إذا أراد الغاية أبداه وبيانه وإظهاره قدرة القادر الذي أمده بالافتدار أمده هؤلاء الخمسة بالسؤال عن إرادته التي قد أمدهم بطلب علمها، فيبدو السؤال منهم المؤدي إليهم، ويبدو الأذن من الأزل إلى المؤدي بالإجابة، فيجيب عن مراد المرید بما يثبت به البيان عند ذوي الايمان.

ثُمَّ أَبْدَى لَهُم عن وضوح ذلك فقال لهم: وإن كنتم لأنتم هم، فلما سمعوا ذلك خروا ساجدين وتذلوا تعبدًا إذ أنحلوا هذه وأحلوه وصاروا به واختلقوه لعلمه.

فقال لهم عبد الله بن غالب: وكم لكم إلى مثله من رجوع وسؤال وبحث عند كل إرادة من المرید لإبدائه في تنقل علامه وتغيير كونهم وردهم من حيث كان بدوهم وردهم إلى حيثهم مؤبدًا ذلك مع أبده، ودائمًا ذلك مع دوام ملكه.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدِي أَبُو شَعِيبٍ مُحَمَّدُ بْنُ نَصِيرٍ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنْدَبٍ، فَأَبْشِرْ فَإِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ كَهُمْ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَقْلَهُ [قُلْ] مَبِينًا بَلْ هُمْ.

قال محمد بن جندب: فكدت أهلك سروراً وفرحاً وخررت لوجهي ساجداً.

فقال: ارفع رأسك يا محمد بن جندب واعلم أنه يجري هذا السؤال ويبدو هذا الشرح وتثبت هذه الحجة عند أوان وقوع الغيبة وركود الحيرة فيكشف المولى مراد السائلين عنه فإذا كشف لهم المراد أمدهم بالسؤال فسألوا وشرح لهم، فتثبت بذلك أهل الإيمان على معرفة الله إلى وقت وجود الظهور وحرار فيه ذوو الشك والارتباب.

وَقَدْ أَبَانَ ذَلِكَ بِالنَّطْقِ حِينَ قَالَ: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» فَقَدْ سَبَقَ لَهُمُ الثَّبَاتُ فِي الْبَدْوِ مِنَ التَّكْوِينِ وَفِي الَّذِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْكَيَانِ لَا يَزُولُ مِنْ اسْتِقَامٍ وَلَا يَرْجِعُ مِنْ عَدَلٍ.

العودة للشرح

ثم عاد سيدي أبو شعيب محمد بن نصير إلى شرح ما كان يشرحه فقال:

يا محمد بن جندب، ثم أعاد بهم عبد الله بن غالب بعد أن أوجدتهم معرفة الخمسة أيام سواء للسائلين إلى إعادة الشرح فقال:

ثم إن الأزل أبدى مراد الإرادة منه إلى محل مراده وكون ما يريد كونه بعد إكمال كون كيانه المهمل المبدر في تمام إرادته في الفرق الثاني فعاوده بملاحظة المراد وهو في الحيث فسيره مائة ألف كور، ثم أعاد مثل ذلك إلى حيث كان به من الحيث، فلما توسط في الحيث عاود بالملاحظة، فمر في ذهابه لم يجده من الحيث ثبات يثبت فيه ولا يحل محله بل جعل له في ذهابه منزل السير في الذهاب، فمر كذلك مائة ألف كور على ما ذهب به بالملاحظة الأولى حتى أعاده إلى حيث التوسط.

ثم لحظه فذهب على كيانه لا يقر بحيث ولا يفتر عن سير ألف ألف كور مثل الذي أدام فيه الفرق الأول، وقد كان الفرق الأول الذي أقمره، وأهله وأبدره إذا ذهب به في تلاشيه وأحله العرجون، ثم أبداه برجوع كونه بتأود رجوعه إلى الحيث بكماله فأوقفه فيه مائة ألف كور، إلى بدو الإرادة فيه وذلك رتبة أوجدها فيه، ورتبه بها عندما أمد الأزل الاسم أنه يريد أن يظهر به في جميع عوالمه ومكونات كونه.

فلما أبداه ببدائه وفيما يمده بتكوينه أوقع وجود ذلك في قدم النورانية وكون الكون النوراني وجود ذلك في قدم النورانية وكون الكون النوراني وجود الظهور والغيبية، وكان إيجاد ذلك في الوقت للإسم لا غير إذ لم يكن كون قبله ثم أمده بعلمه وإرادته إيجاد ذلك لما كونه الإسم، فاوجد الاسم مكونات تكوين كونه ذلك من الأزل فوعته وعلمته من قبل ظهوره فيها وغيبته عنها وهي عند ذلك لا بكون وجود عيان ولا لمس ولا حس بل تكاملت في إيجاد ما يوجد مكوناتها تعيه فهماً وعلماً قد أكمل لها في تكوينه إياها فهي مكونة، فلما ذهب بالفرق الثاني في المداومة السير ألف ألف كور بغير توقف وصار به إلى أن توسط من الحيث علم منه مراد الوقوف كما

أوقف الفرق الذي كان مشاكله في التكوين وقد كان خلج ذلك وهم سر الفرق الثاني فلحظه لحظة الإنكار عليه ذلك فكثفه عن ضيائه وأماده بنوره ولاشاه بذهابه وسيره ولبسه حيرة التخلّص، فصار في الحيث كالطائر الواقع في شباك صائد يريد هلاكه وهو يجهد في خلاصه من شباكه لينجو إلى حيثه الذي كان فيه، ولا يعاود إلى مداناة شباك، فرتب فيه ذلك وأحلّه به وأنحله إيّاه، فهو به وهو الكسوف الذي في الشّمس يجري عليه في كلّ حين، وهو أمّة ما سلف من الأكوار وهذا سابق فيه جارٍ من قبل وقوع التّسمية، فكان في ذلك من وصف مائة ألف كورٍ.

ثمّ أعاده بملاحظة الإرادة فخلّصه من حيرته وأمادته، وراجع بما كان أعدمه من نوره وضيائه، فأشتمسه وأوقع به اسم الشّمس، وذهب عند رجوعه إلى حاله في الكيان والتّمام بذهاب سيره ودوام ذلك لا يفتر منه، ولا يقصر عنه، وعليه أجراه في بدو تكوينه وله كونه فهو بحاله من حيث كان حيثه ووجوده وأوقع اسمه عليه وأنحله الكون المسمّى بالسّماء، والاسم واحد بالوصف والنّعت وذلك أنّ السّين كاملة بالتّسمية والميم وصار السّين موضع الألف المقدّمة في اسم وصارت في عدّها ثلاثاً إذ كان ثالث مكوّنه وذلك بأن الأزل والاسم والكون الذي وقع عليه اسم سماء وشمس ثالث، وقد تقدّم الشّرح ونعته واسمه وكشف لكم عن وجوده وعيانه.

فلما أكمله في حاله في الحيث والنّور والكون أمد الأبد المدى بإيجاده غير ما وجد من مكوّنات قدرته وذات إرادته فكان المدى الذي أمّده ألف ألف كورٍ، ثمّ بدت عمّة إرادة من الأزل إيجاد الاسم وظهوره وأماده بإيجاده ما أوجده أن يوجد كونه، وسمّه وهو السّماء والشمس بالتّسمية فأظهر الأزل ذات إرادة من القدرة التي أبداه اسمها وأمّده بإرادته فظهر الأزل المعنى بالذي أهله وأبدره، وأقمره وهو كان بدو إيجاده ذاته لإسمه وظهوره له وأبدى إلى اسمه أن يظهر بالشمس التي أنحلها الاسم لبنه فظهر فأوجد في الحيث جميع الأكوان المكوّنة من ذات القدر فكان بين الأزل والاسم مدى مائة ألف كورٍ وكان الأزل يبدو بظهوره للأكوان بحيثها وهو في أزله ولا حائل ولا زائل، ولا حال فيما أبدى من ظهوره به. بل كان يوجد من الكون المبدّر المقمر ما يدلّ تلك الأكوان على أزله وغايته، وكان الاسم يجد في سيره بترتيب ما كوّن به الشّمس لا يفتر يريد بذلك إدراك الكون الذي أزله مبدنه بالظهور فلا يدركه ولا يقرب منه ولا يدانيه في ثمالة وهي دون الذّرة، فأبان ذلك بالنّطق

فقال: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» والفلك هو الحيز الذي حدّهما للوجود وهما سائران فيه، فأوجد في ذلك أن الشمس ليست بمساوية للقمر ولا كونها ككونه وذلك في الشرح أن ليس الباب بمدرَك للإسم إذا كان بظهور المقمر المبرِد المَهْل وكذلك ليس الاسم بمساوٍ لأزل عنه بدائه وجود ظهوره به، فأبدى المعنى ذات ظهوره به، وأبدى الاسم ذات ظهوره ببابه بالحالين المكوّنين بالحيز النوراني للأكوار النورانية ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ وهي على حال وصف ما ذكرته لكم أن بين الاسم والأزل في نهاية التقارب مائة ألف كورٍ، وهذا ثابت للإسم وهو به وإليه نهايته بالدنوّ وهو المحلّ الذي أحلّه فيه حين قال: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».

الدنوّ

فكان الدنوّ نهاية القرب وهو مائة ألف كورٍ، فلما أبدى اسمه بوجوده وتناهى دنوّه من أزلّه. وأن اجتهداه بالتسير ليس بمذنيه من الأزل، ولا خارج به من الحيز الذي حيّته له. فثبت فيه وراجع الانقياد إلى قدرة مقدّره الذي هو أزلّه، وقد كان المقمر المبتدر المَهْل حين أبداه الأزل لإرادته الظهور به وأوجده الإسم أنار الاسم بمراد الأزل نوراً لم يكن أناره مكوّنه ولا أمّده أزلّه بإيجاد نورٍ مثله، وهو النور الذي يحلّ بالهلال عند بدوره، فيوجد فيه ذلك النور والكون عند بدوره ويعدم فيما بعد ذلك من وجوده، فلما أتمّ المدى بإرادة الظهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وقد أوجد الأكوان ذات الظهور بالوجود من حيث لم تبد بكيان كونٍ ولا وجود، ثم غيّب عنها وجود ما أوجدها من الظهورين.

فلما بدا بذات الغيبة وأعدم النور الذي أحلّه المبرِد عند بدوره، وقد كان عاقبة ذلك العدم الكسوف الذي أحلّه به عند كلّ مقاربة حيث أبدى الغيبة وأعدم النور، فكَذَلِكَ إذا حلّ القمر المحلّ الذي أعدمه فيه وجود النور الخاصّي عند الظهور بالحيز النوراني انكشف فرتبته بذلك في بدو الأكوار [الأكوان] المكوّنة عند كيانها.

ثم أهمل المدى ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ لا يبدي ظهور ذاته ولا ظهور اسمه، فلما أتمّ المدى أمد إلى اسمه إيجاد الظهور بذات اسم كونه وهو

الشمس، فظهر في الأكوان كلها بإرادة أزله ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، يبدي ذاته لأكوانه وهو في إدامة سيره، فلما أكمل المدى وتم مراد الأزل فيما أمده به بدا هو بذات الكون المبدر المهل المقمر الذي هو أنحله اسمه كما أبدى الظهور الأول، فأبدى ذاته بغير إحراك إزالة ولا حلول كونٍ، وأبدى ذلك النور فأبدر به المهل المقمر حتى أوجد جميع الأكوان وجود أزليته وأبان بين أزله وقديمه، ففرقت الأكوان من حيث أوجدها الأزل أن مكوّنها كون كيان مكوّن غيره، وأنها هي مكوّنات تكوينه بإرادة مكوّنه وأزله، فكان ذلك من ظهورات الأزل والاسم على هذا الوصف والنعت ألف ألف ظهور وخمسمائة ألف ظهور، كل ظهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وبين الظهور إلى الظهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ على نعت ما شرّحته لكم من نعوت الأكوار والأدوار والأجوار والستين والشهور والآبَد. وأن أيّوم خمسون ألف سنة من سنيكم هذه، فهل أنتم مدركون أمد ذلك ومزاده وعدده وإحصائه؟

تفسير ونوّ الباب من الاسم

فقالَت الجماعة عند ذلك لأبي خالد: يا سيّدنا، أفي هذا المدى كنّا نحن موجودين، نعاين ونعاين للحيث ويظهر لنا ذلك الظهور ونوجده؟

فقال: نعم، في كلّ ذلك كنتم مكوّنين في الكون والوجود والعيان ولكم أبدى الظهور وبكم طاف الوجود، وفيكم وعليكم كان الأبد والعود في جميع هذه الأكوان، ولمن كان حلّ بالحيث من أهل المراتب العلوية النورانية والصفاء، وما بعد ذلك أعظم وأكبر وأجلّ إلى أن أبداكم بالوجود بعد التكوين، وأبدى إليكم ولكم نطق المكوّن بالإشارة إلى الأزل الذي هو الغاية فأسمعكم نطقاً لم تسمعوا نطقاً قبله ولا وجدتم تكوين نطقٍ، وأوجدكم نطقه لما أنطقكم، فنطقم من نطقه عن نطقه لأنّه لم يكن وُجد نطق قبله ولا أوجد وجود ناطقٍ.

فلما نطق له بقوله في خطابه: «إني أنا الله لا إله إلا أنا» كان ذلك إيجاد النطق له فنطق عند ذلك من حيث أوجد النطق لأنّه نطق له كنطق المكوّن لكم حين نطق لكم، وأشار إليه، وكذلك أوجدكم إن وعيتم سمعاً حيث سمعتم، وفهماً حين فهمتم. كلّ

ذلك كان من المكوّن وهو الاسم لكم كما كان من أرّله إليه وبوجوده وُجِدتم، ثمّ إنّ الأزل أمّد الاسم بإظهار دُنوّ الباب من الاسم وجوهر به الشمس الذي ظهر به وأبدى كونه، فأبدى المكوّن ذاته وإرادته للشمس الذي هو اسمه وكونه وبدو تكوينه فظهر الاسم للكون ظهور عيان، وأبداه له، وقف له إجلالاً للعظمة التي أبداه لها، وكان وقوفه خمسمائة ألف كور، وأدناه منه فدنا حتّى صار في الدنوّ منه مدى خمسمائة ألف كور، وكان الوقوف له في ذلك الدنوّ خمسمائة ألف كور وهو المقدار الذي تقف الشمس في القطب حتّى تمرّ منه إلى الزوال.

فلما كمل لها ذلك المدى أبداه بكون كيانه شخصاً في شبح الوجود نوراً وأوجدهم ذاته وكونه فكان عند ذلك متجوهرأً ظاهر الجوهر عند ذاته، ووجد بجوهرته علم مكوّنه، فاستسلم له ولاذ بالقدرة خمسمائة ألف كور لا يخرج به الرتبة من حيث كوّن فيه ووقّت له. فلما أتمّ المدى له بدا له ثانية ببدئة الأول له، وأوجده المعاودة إلى مسيره. فسار عن حيث الدنوّ إلى حيث كانت تسير إليه وفيه من حيث التكوين فأدام له ذلك ألف ألف كور لا يبدو له ظهور مكوّنه، ثمّ ظهر له بعد ذلك مراد الأزل في وجود المهلّ المقمر المبدّر، فأوجده من مكوّنه في الظهورين المتقدمين بضياء غلب على ضياء ما سبق وقدرة أبهرت ما قدره من قدر المتقدّمين بكونه، فذهب عن حيثه حتّى لم يجد فيه بمعانيته وجود لا وفروع أثر قريب له بذات عند تكوينه به الليل الذي يغيب فيه عن الوجود ونعير ذلك أنّه ثبت فيه عند ظهور الأزل بالاسم.

ثمّ قال محمد بن جندب: فقال لي محمد بن نصير عند بلوغه من الشرح إلى هذا الباب: ثمّ إنّ عبد الله بن غالب أقبل على من بحضرته فقال لهم: فمن ثمّ أوجد المعنى ظهوره بالاسم، وأوجد الاسم ظهوره بالكون النوريّ وهو الباب، والمعنى أرّل الجميع وهو يوجد ظهوره ويوجد بظهوره ظهور اسمه وبابه، وظهور أهل المراتب النورانية ليس يظهر بظهور الاسم إذا أظهر بذاته وجود شيء من الأشخاص المرئيّة للظهور، فرتب الإرادة على ذلك في بدو تكوين الأكوّان النورانية، وأوجدها فيه وقدرها عليه بجميع أكوّانها وظهوراتها، لا يخرج بها عن حال إلى حال، ولا عن كيان إلى كيان، ولا عن رتبة إلى رتبة. فهل أنتم مثبتون ما

أشرحه وأصرّح لكم به من حكمة بتدبير قادر القدر وغاية الغايات في بدو إرادته من اسمه بتكوين كونه إذا أمده بتكوينه ووجوده؟

الرحمة الأولى

فقلت الجماعة: يا مولانا، قد عرفنا أن الأزل أبدى اسمه، فهو كونه الذي أبداه لذاته لا لأحد غيره، ثم سمّاه عند إبداء اسمه له، فلما أبداه باسمه وجعله موقع اسمه، وأنحله إياه، وسمّاه به تسمّى بالإسم وشهد له بالمعنى، وأقرّ له بالأزلية، وسلم للتعبّد له، ونفى عن ذاته أن الإسم اسمه وأنه له. فأبدى ذلك في جميع تكويناته التي كوّنّها في الحيث الذي حيّثه، وفي مدى الأمد الذي أمده به حتى باهى به إلى غيب إرادته في أزله.

ثم أوجده ذات وجوده وناجاه بوجود نطقه وأمره بالتعبّد له. فلما أجاب وصمد إلى إرادة الأزل منه أنحله الظهور به فأوجد جميع أكوانه المكوّنة تعظيمه ومحلّ قدرته وذات بسطته فيما بسطه وأمده بتكوين كون يكون موقع اسمه كما كان هو موقع اسم أزله وموجود ظهوره كما أوجد أزله ظهوره به، وأنحله من مدى المدد أن أجراه فيها كما جرى هو في مدى مراد أزله.

فشرّف الاسم بابه بما شرّفه به أزله إذ كان لا نهاية هي أنهى ولا شرف هو أعظم ولا عزّ هو أبهى ممّا أنحله أزله، ولا تكيف بكيف كيّفه كالتكيف الذي أمده أزله بتكيفه، وإنه لما تمّ به مداه أبداه للتكوين كلّ، فأوجده كلّ تكوين كونه أنه مكوّنه وكان ذلك عند ظهوره به، ثم أمده بعد ذلك بأن بدا هو بذاته لمكوّنات تكوينه فأوجدهم أن أزله هو غايته وبكون إرادته كان تكوينها وأوجد ذاتها، وبقدرة أزله قدر على الظهور لها حتى وجد له.

فقد كمل لنا معرفة ذلك وتحصيله من حيث أنت أوحيتّه وشرحتّه ووعدت حفظه وما بعد ذلك ممّا نوردّه. فنحن نسأل مولانا توفيقه لما وفق، وتسديده لما سدّد، فإن شرحت شيئاً وعيناه ونقلناه.

فقال لهم عبد الله بن غالب: إن مولاكم قد سبق إلي من علمه أنه بكم شفيق رفيق وذلك من منه عليكم، وليس يسلبكم ما أنعم به عليكم بعد نعمائه، وكذلك يا محمد بن جندب يُبدي إليكم محمد بن نصير كما أبدى عبد الله بن غالب إلى من كان بحضرته للسؤال ويبشرك بما بشرهم به ويعلمك أنك قد حلت من مولاك محلهم، ونزلت منزلهم، وأنت تتال من المثال من بعد شرحي لك مثل الذي نالوا بالوقت الذي أفرغ لهم عبد الله بن غالب من شرح سؤالهم.

قال محمد بن جندب: فقلت لمحمد بن نصير: يا سيدي متى نالهم من مولاهم بعد إفراغ عبد الله لهم من شرح سؤالهم، عرفني، فقد شوقتني إلى معرفته وعلمه.

فقال: نعم يا محمد بن جندب، أنا أنعم به عليك: إن مولاهم لما بلغ بهم عبد الله بن غالب إلى هذا الموضع من الشرح، واستكشفهم عن علم ما شرحه لهم فوجدهم قد أتقنوه وحفظوه ودعوه، أشرف عليهم ثم ناداهم بأسمائهم رجلاً رجلاً، وقال: أهلتكم لما سمعتم فحفظتم، فحدثهم يا عبد الله بن غالب إلى حيث أريد بهم من محل ملكوتي، وأبن لهم ما أبديته لمعاينتهم، فإني معهم حتى أناهي بهم إلى حيث الذي حيثته لهم بمرادي، ثم بدا لهم حتى اكتنفهم بكلتا يديه، وضم بعضاً إلى بعض، وعبد الله بن غالب في وسطهم، ثم دحا بهم في جوف السماء، فمر في ذلك الهواء بدحوته كذهاب الريح العاصفة والبرق الخاطف، حتى أطاف بهم حيث الذي كان يشرحه عبد الله بن غالب لهم من المحل النوراني والمكونات النورانية حتى أوجدها جميع ذلك بمعاينة بدو التكوين النوراني. وجمع لها كز متفرج ومتفرق، وصفا لها كل ممتزج ومعتلج ومظم ومقتم حتى أوجدها ذلك كله في حيث يكون بدو المكون المرید عند إرادته وذهب بهم فيه في تروم تلك المدى من الأكوار والأدوار، والأعصار والأجوار. وأوقفها في كز حيث أوجدها بيدنها وكونها فيه، وأبدى جميع ما أبداه ببدا الكيان حتى أوجدها ذات لونية في ظهوره الذي ظهر لها به حتى قرّر عندها أنه قد أعادها إلى انكون النوراني وأبدى المبدى أنه قد يخلصها من موجودات أهل الممازجات، فلما أكمل لها الإجابة في ذلك كله ذهب بها في أحياء لم تعرفها قبل ذلك ولا كوتت فيه ولا كون كون وأوجدها أن تلك الأحياء من مكونات مكوناتها مكوّن حيثها، ثم أوجدها بعد إيجادها لها الأحياء بلا تكوين، مكونات

مملوءة تكوينات أصغر كون مكون فيها أكبر من كونها. وهي مع ذلك نور لامع ساطع، وجميع ما فيها من التكوينات كذلك.

ثم أوقفها في كل حيث من تلك الأحيات ما أمده لها تحصيل علمه ومعاينته مكوثاته، ثم أنطق لها المكونات، فنطقت لها بلغات متخالفات كما قد أوجدها في الحيث الذي هو مؤبده، فيه لغات مختلفات، فلما أسمعهم ذلك بلغات التكوينات التي في تلك الأحيات كانت اللغات كلها ناطقة بنطق واحد تشهد بمعنوية الأزل الذي هو الغاية، وباسمه الذي هو القديم، وبابه الذي هو بدو أمره، وكونه لا يوجد في تلك الأحيات غير ما أوجد في حيثهم، ولا غاية غير غايتهم، وكان عدد الأحيات التي أوجد في ألف ألف حيث في ألف ألف حيث. أطافهم وأوجد في ما هو مكون فيها وأسمعهم نطقها، فلما أكمل لهم ذلك أوجد في أنها قد بدت أسرارهم في غيوبهم، وأن ذلك نهاية أحياته ومكونات كيانه من تكوينه وأمد ملكه، وقد كان علمه بذلك من غيب أسرارهم من قبل أن يكون لهم غيب سرّ نعم ومن قبل وقوع اسم على غيب سرّ، فظهر لهم في تنامي الأحيات التي وقع لهم التناهي إليها ووجود ذات أكوانها، واشتملهم بكلتا يديه كما اشتملهم في بدو الأول من مجلس سؤالهم.

الرحوة الثانية

ثم دحا بهم في ذهاب نور لا تحصيل فيه لحيث، فكان ذهابهم في ذلك كذهاب تغريق الذي يعوم بالماء لا يدري بحيث، ولا يحثه. يمرّ فيه، قد أذهله عن وجود حيث سكون الجزع فيه والهلع وتحقيق ذهابه، إذ لا يجد في عوم غرقه حيثاً يقرّه ولا يعق به، وكان مدى ذلك الذهاب في ذلك النور ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور كُرّ كور منها مائة ألف كور من هذه الأكوار المشروحة لكون هذا الحيث الذي كوث فيه.

فما بعث النحوة إلى تنامي الذهاب أوقفها على متته وردّ إليها لبّ الفكر وإثبات العزيمة وأوجد ذاتها في غيب سرّ غيوب سرّها أن حيث أوقفها فيه هو نهاية مدى أحياته وغاية مدى ملكه، وقد كان علم ذلك من غيب سرّ غيوب سرّها من قبل إيجاد الغيب لئلا يكون تكوينه في كيانه، فظهر لها في مثل ظهوره في أوليته في

ظهوره، وهم في مجلس السَّوَال وفي ظهوره ثانية عند وقوع تناهي الأحيات والأكوان لهم، فاكتنفهم كاكْتَنَافَهُمْ لهم في المرتين.

الرحوة الثالثة

ثم دحا بهم في إرادته من المراد، فعاود بهم في أحياتٍ كأنَّ جميع ما عاينوه من الأحيات السَّالفة كحيثٍ واحد من الأحيات التي صار بهم إليها، وأوجدهم بما أحلَّهم فيه من الأحيات تكوين كيان مكوته لو أن كون منها حتَّى يشتمل على جميع ما عاينوه من الأكوان لا يشتملوه وغمره وأوجدها أن ذلك كلَّه من أحياتٍ محيَّثٍ حيثها، والأكوان من تكوين مكوّن كونها، ثمَّ أبداهَا بالنَّطق لهم فنطقت كلَّها بلغة واحدة جمعت فيها جميع اللُّغات، ثمَّ أبداهَا لهم في الأحيات حتَّى أوجدها أنَّها بنطق واحد تنطق بلغاتٍ شتى، ثمَّ أوجدهم أنَّها بتلك اللُّغات تشهد بجميعها للأزل والإسم وتسلم له كما شهدت هي وسلَّمت، فكان مبلغ الأحيات ألف ألف حيثٍ، في ألف ألف حيثٍ بين كلِّ حيثٍ ألف ألف كورٍ، وخمسمائة ألف كورٍ، كلُّ كورٍ منها مائة ألف كورٍ من الأكوار المشروحة لكون هذا الحيث الذي كوتهم فيه.

فلما أبدى لهم تلك الأحيات أوجدهم تلك الأكوان وأوجدهم ذلك تنطق وأوقفهم بالغاية من الأحيات، فأبدوا بسرَّ الغيب تلك الحال التي أبدوها من وهميد، فظهر لهم فاكتنفهم كاكْتَنَافَهُم الأول من اكتنافه، ودحا بهم كدحود الأول في حنة الذهاب مثل ذلك على تضاعف الوصف فأدام بهم ذلك توهم زاد بهم ذلك نظير مع الاكتناف حتَّى دحا بهم في اكتنافه في مائة ألف حيثٍ. ويرى كز حيثٍ ذهب مثل الذي بدا بشرحه، وهي بكون عند كمال ذلك، كز يتضاعف في تضاعف على ما وصفه من أول حيثٍ وذهاب، وكذلك تتضاعف أكوانها ولغات الأكوان، وأوجدهم أن ذلك كلَّه يشهد ويقرَّ عندهم بالأزل والإسم الذي هو مكوْنهم ومكوْن الأحيات، فلما بلغ بهم إلى نهاية ذلك هتفوا لوجوههم وقد عدموا اللَّبَّ والذَّهن والتَّحصيل والإدراك، وزال عنهم سرَّ الغيب من وهم ينبيء أمد ملكه، وتناهي أحياته، ومكوّنات كيانه، وأيقنوا أنَّه لا غاية لذلك، وأنَّها بعض بعض علمه إذ كان لا بعض يقع عليه ولا به، فلما أوقفهم وقد هتفوا لوجوههم في نور غرته التي أغرَّ بها اسمه، وجلال قدرته التي قدره بها

على كون ذلك وإيجاده، ظهر لهم فقال لهم نطقاً وأوجدتهم إتياء من إرادته، وهو ما قد سبق إليهم في مقامات ملكه حين أبدأهم فيه: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فكانت الأجابة على سرعة التسليم «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»، إنه الاسم الذي أمده بكون تكوين هذا الملك.

ثم قال: يا محمد بن جندب، فأهل الشك، والزعم، والحيرة، يقولون بكذبهم على الله، ودعواهم عليه بالباطل أن الله الواحد يبيد عالماً، ويذهب به حتى يحلّه العدم بعد الوجود وينفي ذاته بلا كون يكون، ثم يشرف على عالمه، وهم هموة بزعمهم في أحداث وقبور قد أحالهم فيها إلى الرميم وسوا بهم الأديم، ومعنى ذلك أخلطهم بها حتى صاروا كهي لا ينفصل أحد إذا بحث عنها، وعن الأرض ومن سورت به الأرض، فيناديهم عند ذلك: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فيكون ذلك منه في بداية أمره، وثانية وثالثة، فإذا لم يجد من يجبه دفع إلى أن يرد من ذاته على ذاته، ويشهد بملكه لذاته فيردّ بقوله إلى قوله: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». وهذا يا ابن جندب عبث ولعب، جلّ الأزل والواحد عن كيانه ما وصفوه به ونسبوه إليه، ما كان بالذي يبيد عالمه ويسأل نفسه عن ملكه، بل له إليهم عند كل إرادة بداية وفيهم ظهور تجديد يوجدتهم ذاته عند تجديده لهم ويتلوهم بعلم ما أعلمهم من قبل استعلامه ذلك منهم، فالملك دائم بدوام قديمه الواحد، قاهر بعلم إرادة أحده. فتبين يا محمد بن جندب ما شرحتّه.

ثم عاد إلى شرح أهل السؤال وعبد الله بن غالب في نهى المراد الذي دحا مولاهم بهم فيه وبدو نطقه لهم، وإيجاده إتياءهم النطق من حيث أمدهم بعلمه وأبدى السؤال لهم عما كانوا قدّموه من غيب سرّ وهمهم الذي وهموه أنه قد تنهى بهم المدى إلى غاية أحيات الواحد، وأنه حين أمدهم بغيب سرّ الوهم أهقتهم، ثم ناداهم بإيجاد سرّ النطق الذي أوجدتهم: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» وأبدى لهم إجابة التسليم للقدرة البادية لما أبداه لهم.

فقالوا: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» فلما أنابوا بحقيقة علمه فيهم ومنهم اكتنفهم كاكنتافه لهم في مدا دحواته التي دحاهم فيها، ثم دحا بهم دحوّة واحدة فذهب بهم في جميع تلك المذاهب والأحيات والأكوان حتى أعادهم بمجلس السؤال الذي اكتنفهم منه، فمئلوا جلوساً بحيثهم، وكان ذلك من مولاهم بأقل من طرف العين مرتين ذهاباً

ومجيباً، وقد أبان ذلك بنطقه حين أحلهم في ذلك المحلّ عند كلّ سؤال «فارجع البصر هل ترى من فطورٍ» فكان هذا طرفاً واحداً.

ثمّ قال: «ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيرٌ» فلمّا أبان لهم المولى ذلك من قدرته لاذوا بعبد الله بن غالب وقالوا: يا باب الله أنهلك بهذا السؤال، أو نحن مبقون؟

فقال: لا بل مبقون لإرادة مولاكم فيكم، وكم لكم في مثله من عودات كما قد سلف أمدّ بعد أمدّ، وحين بعد حين؟

فقالوا: يا باب الله أوقد كان لنا فيما كنّا فيه عودة قبل هذه؟!

قال: إي والله، عوداتٌ وعوداتٌ. لو أحصيتهنّ لكم ل طال بكم تحصيل ذلك وعدّه، وإكمال نعتّه.

فلم يجد أحدٌ إعادة جواب، ثمّ قال: يا محمد بن جندب: هل سمعت هذا الشرح من إسحاق حين شرحه لك، ومن أين كان يشرحه؟

فقلت: من كتابه الذي قد أودعته، وقدّمت لي فيه ما قدّمت.

فقال لي: أنظر فيه هل تجده فيه؟

فنظرت فوجدت جميع ما شرحه في الكتاب.

فقال: إن علم ما قد شرحت لك حجب عن إسحاق. فكان يمرّ به إذ هو يصفح كتابه لا يراه لأنّ المولى لم يجده موضعاً نعلم أنكر من عند سرّه وغيبه.

فكر وحدة أبي شعيب ومحمد بن جندب

فقلت: ما أجلّ ما مكنك فيه مولاي !

فقال: يا محمد بن جندب، إن أحببت أن أقول لك: إن محمد بن نصير ومحمد بن جندب قد كانا في الجمع الذين اكتنفهم المولى ودحا بهم في الحيث الذي حيّته، وعائنا جميع ما عاينوه.

فقلت: يا سيدي أوقد كان محمد بن جندب في جميع ما ذكرته وعائنه؟

فقال: نعم يا محمد بن جندب، وها هو كائن كما كان أولاً وليس بآخر.

قال محمد بن جندب: فلما أتى محمد بن نصير على قوله وليس بآخر، حتّى بدا مولاي الحسن منه الرحمة مائلاً لنا فاكتفني وسيدي أبي شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه، ثمّ دحا بنا في تلك المذاهب والأحياء، فعائنا تلك الأكوان المكوّنات، وسمعنا تلك اللّغات ووعينا تلك الشهادات، فكان عياني له كما شرّحه لي سيدي أبو شعيب محمد بن نصير باب كلّ هدي، فحصلت ذلك يقيناً وعيانياً حتّى بلغ بنا المدى الذي ذكره.

ثمّ ظهر في تناهي الحيث فاكتفنا ودحا بنا فأعادنا فيه إلى مجلس أبي شعيب محمد بن نصير في أمد الطرفين من اللّحظ، فهفت لوجهي أخور تحت إرادته وكون قدرته أقول: يا سيدي يا أبا شعيب يا محمد بن نصير، أتهلك محمد بن جندب بهذا السؤال أم هو مبقّى؟

فأجابني ووعدني بما أجاب به عبد الله بن غالب ومن كان بحضرته، ووعدني بما وعدهم مثلاً بمثل، فشكرت مولاي على نعمائه، وعلى ما خولنيّه من نعمه.

فقال لي محمد بن نصير: ثمّ عاد عبد الله بن غالب بهم إلى شرح السؤال الذي كان يشرّحه.

فقال: ثمّ إنّ الاسم أمدّ بابيه بما أنحله من ذاته أن أبداه بالجوهريّة الموجودة وتحصيل العيان فأمدّه إلى أن مرّ في الكون كلّه والحيث كلّه على جميع الأكوان التي

كونها حتى أوجدها محلّه من مكوّنه وما أنحلّه من الظهور به إذ كان هو الظاهر لهم قبل ظهوره بذات الشّمس، وأبدى إلى أوّهام حواسّ عقولهم تجوهر المكوّنات أن عرفته عظّمته ولاذت به. فأبداه أولاً بإيجاده اللّيّاذة به مراد اللّانذنين به منه ما هو وأين قصد مرادهم فكانت اللّيّاذة به طلب تعريفها ذات مكوّنها أولاً، وكيف أبدى تكوينها، وفيّمْ أبدّاها، ولم أبدّاها حتى أوجدها ذاتها بالتجوهر الذي جوهرها به عندما أمّد الباب بالإطافّة بها وإيجاده ذاته وكونه ومحلّه من مكوّنه بالإطافّة في الحيث والأكوان وأوقف الأكوان على رتبة اللّيّاذة به، وطلب التعريف منه كونها ووجود مكوّنها وممّ كونها، ولم كونها ألف ألف كون وخمسمائة ألف كون لا يمرّ إليه بإنشاء ذلك بإظهاره شيئاً منه. إذ ليس علم ذلك عنده ولا اطلع عليه وأنه ليس يكمل ذلك إلاّ عند مادّة مكوّنه ذلك إليه.

فلما أتمّ له ذلك المدى أعاده إلى الحال التي كان بها قبل أن أمّده بالظهور والإطافّة، ثمّ ظهر هو به في الحيث والكون فأبدى ظهوره ثانيةً كما أبداه أولاً، فأطاف ذلك الحيث والكون ذاته بكيان الشّمس التي هي مثبّلةً منه للباب مائة ألف كور، فحارت الأكوان عند ظهور المكوّن بعد وجودهم تجوهر ظهور الباب ذاته في إطافته بهم في الحيث، ثمّ عاودت إرادة المكوّن بمراجعة الباب إلى ما أبداه له وأبداه من المطاف، فأمدّه بالظهور فظهر بظهوره أولاً، وأطاف ذاته بهم في الحيث وعاودت الأكوان إلى اللّيّاذة به في طلب إيجادها ما أبدت به أدوات سرّ معرفتها التي هي بكيان التّكوين وليس فيه ولا فيهم محلّ نطق. ولا أبدى لهم نطقاً ولا أوجدتهم وكان كذلك خمسمائة ألف كور.

ثمّ أعاده المكوّن إلى حاله في التّكوين الأوّل من الحيث، فكان كذلك يبيده ويعيده ويبيديء به فيوجد ذاته بعد إيجاد ذات جوهريةً أنباب سبعين كراً أو سبعين عوداً كلّ كراً خمسمائة ألف كور وكلّ عود خمسمائة ألف كور، فلما أتمّ له مدى ذلك وتناهى به الحيث أعدمهم وجوده، فلم يوجد لهم ذات كونه مائة ألف كور، فأهفت الكيان في طلب الكون الذي كان بدا لها وضاف بها فاطلع عليها من المطلع الذي كان غرب فيه، ومرّ حتى غرب في المشرق الذي كان يطلع منه، وبدا بعد مائة ألف كور من المشرق الذي غرب فيه، فأتى به بقوله في النّطق: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فلما ذهب به إلى المغرب الذي أغربه فيه بعد إطافته في الحيث

والكون مائة ألف كورٍ غرب فيه، ثم عاود الظهور منه فظهر من مغربه الذي غرب فيه بعد مائة ألف كورٍ ومَرَّ به في الحيث والكون إلى أن تناهى به المشرق الذي أظهره منه وأطلعه من مطلعته الأول في مائة ألف كورٍ، وأحلّه فيه مائة ألف كورٍ، ثم أظهره منه بطلوعه للحيث والكون، فبان ذلك عند رده في الظهور بالطلوع من المشرق والغروب في المغرب، والظهور من المغرب، والغروب في المشرق، والظهور ثانية من المشرق والغروب في المغرب، والظهور ثانية من المغرب بقوله في النطق: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»، فكان ذلك لإيجاد الاسم ذاته في محلّ شمس وكونها وهي ذات بابه.

ثم كان بعد ذلك إيجاده للشمس بذاتها وجوهرها في الحيث والكون الذي كان إيجاد الاسم ذاته، ثم أخفى وجوده بذاته وأوجد لها هو ذاته ثانية للحيث والكون الذي كونه وأطاف بذاته بكيان بابه ثانية على تكويناته، ثم أبدى الباب ثانية لما أبدى غيبته عن كيان الوجود فظهر الباب بكيانه وذاته وتجوهره. وجعل ذلك من إرادة أزلّه في إيجاد ذاته بكون اسمه وإيجاد اسمه بذات بابه وكون ذلك كيان مرادٍ يجريه إلى حيث يرادته وعلمه. فلما أبان ذلك وأوضحه لكونه الذي كونه أبدى ظهور ذلك المهلّ عظم المبدّر للإسم أن يجري الشمس التي هي اسمه بمداومة الظهور من المشرق والغروب في المغرب، والظهور من المغرب والغروب في المشرق ألف ألف كورٍ وغروبه فيه ألف ألف كورٍ، وكذلك طلوع الظهور من المغرب ألف ألف كورٍ مثل كَرَّ وغروبه فيه ألف ألف عودٍ وبدءٍ فلما أكمل ذلك من إرادته أبان النطق أن الكلّ من تكون والحيث والحدوث والقدرة والإرادة فقال: «رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ».

فكان الاسم ربَّ المشرقين وربَّ المغربين وقد كان قبل ذلك ربَّ المشرق والمغرب. إذ كان إيجاده للحيث والكون ذاته بلا ذات كون، فلما بدا بذات كون تكوّن: «رَبُّ الْكُونِ» ما أنحلّه أوجد الأكوان أنه ربٌّ وأنَّ شرق غرب كما شرق هو وغرب على تكويناته وحيثه، فلما أمَدَّ الأزل وجود الظهور، والغروب من المشرق والمغرب شيد له الإسم بالتسليم والتعبد لأزلّه فقال بالنطق: «رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ» وكان ذلك من النطق إيجاد أن كلَّ مشرق شرق، ومغرب غرب، فالأزل مشرقه ومغربه ومظهره ومبدئه، وأنه ربّه في ذاته وكونه، وكان ذلك في الإيجاد له في الأكوان انشورية إيجاد ما يريد من الظهور بالإسم للعالم النوراني في الحيث

الَّذِي قَدْ كَوَّنَهُمْ فِيهِ حَتَّى يَثْبُتَ ذَلِكَ عَنْدهُمْ مِنْ قَبْلِ إِظْهَارِهِمُ بِالْظُّهُورِ الَّذِي أَظْهَرَ بِهِ الْبَابَ، ثُمَّ إِنَّ الْأَزْلَ أَمَدَ الْأَسْمِ بِإِيقَاعِ الْإِخْتِيَارِ لِلْبَابِ وَالظُّهُورِ لَهُ بِكَلِيَّةِ الْكُونِ الَّذِي كَوَّنَهُ لِدَاتِهِ وَأَنْحَلَهُ وَسَمَّاهُ سَمَاءً وَشَمْسًا، فَظَهَرَ لَهُ وَهُوَ فِي مَتَوَسِّطِ الْحَيْثُ مِنَ التَّكْوِينِ الَّذِي أَكَانَهُ [كَوَّنَهُ] فِيهِ بِذَاتِهِ الَّتِي أَدْنَاهُ بِهَا الْأَزْلُ عِنْدَ إِيقَاعِ اسْمِهِ عَلَيْهِ، فَأَجَلَّهْ وَعَظَّمَهُ وَهَمَّ بِهِ بِالسَّجُودِ، فَغَيَّبَ عَنْهُ وَجُودَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ يُشْرِكُ بِالْأَزْلِ بِالتَّعَبُّدِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَزْلَ مَا أَمَدَهُ بِعِلْمِهِ الَّذِي عَلَّمَهُ هُوَ مِنْ تَكْوِينَاتِهِ الَّتِي كَوَّنَهَا أَنَّهَا تَشْرِكُهُ مَعَهُ بِالْمَعْنَوِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْهَا وَإِنْ كَانَتْ مَكُونَاتُ قُدْرَتِهِ الَّتِي قَدَّرَهَا، فَلَمَّا غَيَّبَ ذَاتَهُ عَنِ كَوْنِ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ اسْمُهُ، وَبَابَهُ لَمَّا أَحْسَنَهُ بِإِبْدَاءِ السَّجُودِ وَأَنَّهُ أَكْبَرُ أَزْلَهُ عَنِ أَنْ يَحْدَهُ الْكُونُ بِذَاتِ الْأَزْلِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، أَمَدَهُ بِعِلْمِ غَيْبِهِ فِي تَكْوِينِهِ الَّذِي كَوَّنَهُ بِأَنْ مِنْ مَكُونَاتِ كَوْنِهِ مِنْ يَشْرِكُهُ بِأَزْلِهِ وَيَحُلُّهُ مَحَلَّهُ وَيُوجِدُهُ وَجُودَهُ.

وَقَدْ أَوْجَدَ ذَلِكَ بِالنَّطْقِ فِي مَقَامِ أَقَامَهُ قَبْلَ إِظْهَارِ النَّطْقِ بِهِ فِي مَقَامِ الْمِيمِ بِأَنَّهُ خَاطَبَ اسْمَهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِمَا نَطَقَ بِبَيَانِهِ وَكَشَفَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَنْ نَطْقِهِ: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^١ وَذَلِكَ حَيْثُ شَرَكُوهُ بِالْأَزْلِ وَهُوَ الْأَسْمُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ فَجَعَلُوهُ فِي وَجُودِهِمْ لَهُ بِوُجُودِ الْأَزْلِ.

فُكِّرْ مَرْيَمَ وَفَاطِمَةَ

وَكَذَلِكَ أَوْجَدُوا أُمَّهُ مَا أَوْجَدُوهُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ أَبْدَى الظُّهُورِ مِنْهَا، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ أَبْدَى ظُهُورِهَا مِنْهُ، فَتَمَّ قَالُوا: عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ.

وَفِي هَذَا قَالُوا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، وَسَمَّوْهَا ثُمَّ مَرْيَمَ، وَقَدْ سَمَّيَتْهَا هَذَا مَرْيَمَ الْكُبْرَى، أَيِ الَّتِي كَبُرَتْ ذَاتُهَا، وَفِي ذَلِكَ الْمَقَامِ قَصَّوْا عَلَى الْإِسْمِ، وَقَدْ أَظْهَرَ الْأَمُّ أَنَّهَا مَعْنَى وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَزْلِ الْغَايَةِ وَالْمَعْنَى، وَكَذَلِكَ قَصَّتْ طَائِفَةٌ: أَنَّ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ كَوْنٌ وَأَزْلٌ وَاحِدٌ، وَمَعْنَى وَاحِدٌ، فَكَانَ ذَلِكَ بَدْوً لِإِسْمِ أَنْ فِي تَكْوِينَاتِ مَا كَوَّنَتْ مِنْ يَتَّخِذُكَ إِلَهًا مَعْنَى وَأَنْتَ كَوَّنْتَ كَوْنٌ مِنْ أَثْبَتَ لَكَ أَنَّهُ بِهِذَا، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عِلْمُ تَكْوِينِكَ عَلَى مَا هُوَ مَكُونٌ إِذَا كَانَ التَّكْوِينُ مِنْكَ بِتَكْوِينِ مَكُونِكَ، فَأَبْدَا لَهُ ذَلِكَ مِنْ

اسمه حين أعظمه وأكبره وهم له بالسجود، فلما أبدى له وجود ذلك من من اسمه وبابه غيب عنه وجوده الذي أوجده ذاته بها، وهو ذات الدنوّ الذي أدناه الأزل فيه وهو من العظمة التي ألبسه إياها في الدنوّ حين قرنه مع نعت أوصاف موجود ذاته وهو العليّ العظيم.

فالعليّ الأزل، والعظيم الإسم الذي ألبسه حلّة العظمة في الدنوّ، فلما بدا بها لاسمه أعظمه، وكان ذلك من إرادة الأزل إيجاد الإسم وهو كائن، فلما وجد الإسم ذلك من علم الأزل بمكوناته التي كونها أبدى الإسم في وجوده الأول الذي أوجده ذاته من التكوين والظهور به، فثبت اسمه الذي هو بابه على أن الغاية أزله وهو مكون أزله، وغايته، فاختره بذلك على إعادته إلى مداخله وهمه بالسجود ثانية، فلم يجده بذلك، ولا حال عن كيان الثبات الذي ثبت فيه، فأمدّه الأزل بإبداء الظهور الخاص وهو ما أنحله عند الدنوّ من العظمة، فبدا لاسمه بتلك الجلالة التي أنحله إياها أزله في الدنوّ.

فلما بدا له ثبت ولم يهم بل عارضته مراودة الإرادة بالفعل في غيب سرّ الوهم، فعلم ذلك منه الأزل ولم يبين علمه للإسم، فأمدّ الأزل للإسم بعلم ما علمه، فغيب ذاته عن الوجود له خوفاً من أن يقيم له المراودة بالفعل في غيب سرّ الوهم، فكان ذلك من باب الإسم ومحله في ظهورين لا ثالث لهما.

ثم إن الإسم أبدى ظهوره للباب الذي هو اسمه في ظهور بعد ظهور يظهر له بتظهور الخاص مرة بالظهور الموجود به في تكوين كونه عند تكوين مكوناته في كلّ حيث فلا يتداخله شيء مما كان يتداخله في ذلكما الظهورين. بل يكون فيهما بحث واحد بالثبات والوجود لأنه اسم أزله وأنه هو كونه الذي كونه وكيانه من مكون كون كيان مكونه. فكانت مداومة تلك الظهورات ألف ألف ظهور، فلما أكمل ذلك له رده إلى حيث أضاف به من حيث والتكوين، فأطافه فيه كما أطافه أولاً وهي خمسمائة ألف كور، وجميع ما أطافه به وفيه لائذه به يريد رُشده إلى وجود ما وجد وحقيقة ما تحقّقه، وذلك كلّه يجري من الاسم إلى الباب بغير إيجاد النطق بل مادة منه يمدّه بها فيعلمها، فلم تزل به الكرات بروادف الأكوار حتّى كان له في ذلك من الكمال سبعمائة ألف ألف كور أبداه بالإطافة في حيث من بدو الكيان الذي كونه وهي السبع المتطابقة، فكان له في كلّ سماء منها ألف ألف كور.

فلما أكمل به ذلك أوقفه وظهر له ظهور وجود النطق له، فأوقفه ألف ألف كور قبله في حيث السماء التي باهى به إليها، ثم أهبطه إلى التي دونها فأوقفه مثل ذلك الموقف وأبدا ذاته له وأوقفه قبالة ألف ألف كور، فلما كمل له ذلك في حيث تلك السماء التي أهبط إليها أهبطه إلى التي دونها، فأوقفه مثل ذلك الموقف، وظهر له بذلك الظهور وأوجده ذلك الوجود من إرادته إبداء النطق له، وكذلك أجراه في سبعها إلى أن أكمل سبعة آلاف ألف كور يوجده فيها نداء وجود النطق من مكوثه، فلما أكمل له ذلك أعاده إلى حيث الأول من السماء الأولى فأوقفه، ثم تجلّى له بالظهور والوجود والعيان بالنورانية وكذلك الباب يكون النورانية، فناداه الله نور السماوات والأرض.

تفسير الله نور السموات والأرض

أراد بقوله السماوات: ذات بابه إذ قد أُنْضِجَ سمى وحيث فقل لنا نورك إذ كنت أنت السماوات. وقد صَحَّ عند أهل النُفَرِ بِمُحَمَّدٍ بْنِ جَنْبَانَ «كَرَّمَ سَمَاءَ سَلْسَلٍ» فلما قال له الله نور السماوات، وضع يده وصر من دون ذلك تعظيماً، إذ أوجده لذة الخطاب، وأجرى له مائة نطق فقل: هو يجد الإقرار والأرض وما بينهما ولم يكن أبدى تكوين أرض ولا حوت في الإيجاد، فكان ذلك النطق تصغيراً من سلمان لمحله، وحيثه. وحيثه في محله. وإنك أنت السماء إذ أنت نورها، فكانت الشهادة من الباب للإسم، كما كنت شهادة من الإسم للأزل.

ثم حبس عنه الخطاب فلم يبدِ إنيّه مخضبة نطق مائة ألف كور، فلما أكمل به ذلك أهبطه إلى السماء التي دونها وأوقفه في ذلك الموقف الذي كان أوقفه فيه مائة ألف كور، ثم بدا له بالظهور الذي أظهره له في المحل الأول، وأوجده معاودة الخطاب ولذة النطق فقال له: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ» فردّ بالنطق: «وَمَنْ فِي الْأَرْضِ».

فكانت إرادة الاسم إيجاد الباب بأن السجود لله وهو الأزل وكان النص منه بقوله: من في السموات إشارة منه إلى ذاته من بابه، فشهد الباب فصدق مراد الاسم وأبان عن من في الأرض، فقال: «ومن في الأرض»، فأزال الاسم وجوده عنه ولم يعاوده بخطاب مائة ألف كور، فلما أكمل به ذلك أهبط إلى التي دونها فكان له في كل سماء موقف مثل الموقف الأول، وخطاب مثل الخطاب الأول وإجابة مثل الإجابة وشهادة مثل الشهادة، وأمد مثل الأمد حتى أكمل به تلك السبع على كمال الوجود والعيان والمخاطبة، فلما أكمله بها أمد بإيجاد الأكوار ذاته وأبدى النطق لها وإيجادها ما هي طالبة وجوده من حقيقة مكوناتها، ومم تكوينها فملكه ما أنحله، وحكمه فيما كونه بإرادته فيه، فسمما عند ذلك وصح له عند سموه الاسم السماوي فطاف بالحيث والكون إطفاء مأمور بتبديده إرادته، فكان إذا مر بكون أوقفه موقفه الذي أوقفه فيه الاسم، وأحلّه المحل الذي أحله، وظهر له بالظهور الذي ظهر له حتى أتم فيهما مواقفه وظهورته. وكان ذلك بأمر الاسم له وتمليكه ذلك.

تمكين الاسم للباب (خبر النوروز)

ثم قال لي سيدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه: يا محمد بن جندب، هل علمت أنني دخلت في يوم نوروز على مولاي، فلما بصر بي قال لي: يا محمد بن نصير.

فقلت: لبيك يا مولاي.

فقال: إن لي ولياً ببيضاء الصين هلك منذ ألف عام. وهذا يوم نوروز فاذهب فأحيه.

فأردت أن أقول له: يا مولاي كيف أحييه أنا وإليك حياته ومماته، فأمسك علي معاودته، وخرجت وأنا مفكر كيف أصنع بأمره وقد قال لي ولي ببيضاء الصين. وهذا يوم نوروز فامض فأحيه، فأنا أقول ببيضاء الصين ويوم نوروز ويريد مولاي أن أحييه. حتى لقيني رجل آدم طوله كالنخلة السحوق عليه حلة خضراء

وعلى رأسه إكليلٌ منضدٌ بالأذريون يقدّ في جبهته فقال لي: يا محمد بن نصير، أما هذا يوم نوروز؟

فقلت: بلى.

فقال: فما لي لا أراك تهنّني فيه؟

فقلت له: إنّي دخلت على مولاي في هذا الوقت فأمرني بأمرٍ أنا به مشغولٌ عن حال تهنّتك هذه.

فقال: وما ذلك؟

فقلت له: أمرٌ أمرني به وحالٌ بعثني إليه لأتّجه إلى وجه الوصول إلى حيث أمرني.

فقال: أتقوله لي؟

فقلت له: لما بصرني قال: يا محمد بن نصير.

فقلت: لبيك يا مولاي.

فقال: إنّ لي ولياً ببيضاء الصّين هلك منذ ألف عام وهذا يوم نوروز فذهب فأحياه، فأردت أن أقول له: يا مولاي كيف أحياه؟ وليك حية وموتة، وأمسك عليّ معاودته، وقد خرجت لأتّجه إلى الوصول إلى نوع من أمرٍ به وقدمه إليّ وهذا العسكر^١، وبيضاء الصّين منه على مدى طويلٍ -مديدة- وهو يريد أن يحييه بهذا اليوم الذي هو يوم نوروز.

فقال لي: يا محمد بن نصير، ألسنت بيضاء ومفصص ضارب؟

فقلت: بلى.

فقال: كيف يسعك القعود عن أمره وما يريد.

فقلت له: إنّ ما يسعني القعود ولا قعدت. وإنّما أنا حائرٌ.

فقال: إنّي أقول لك قولاً لا بأس به.

^١ العسكر هي سامراء وإليها ينسب الأئمة الثلاثة الأواخر في المذهب الاثني عشري.

فقلت: قل.

فقال: إني سمعت منه خبراً إن قبلته فأنا آت به بوقت حينه فأجد حقيقته.

فقلت: وما هو؟

فقال: إني سمعت عنه أنه قال: من تكَلَّل في هذا اليوم بإكليل آذريون ثم سأل قضاء حاجته قضيت، ولا قصد أمراً إلا سهل له مقصده، وإني رجلٌ من (بلقاء الهند) إذا كان في كل يوم مثل هذا اليوم تكَلَّلْتُ بإكليل آذريون وقلت: أريد حيث مولاي من العسكر، فما يكون بأسرع وقتٍ حتَّى أصير بحضرته، فأجد به عهداً وأقضي وطراً وأرجع إلى بلقاء الهند.

فهل لك أن أدفعه إليك حتَّى تفعل كفعلي؟ وتمضي فيما أمرك به وتعود إليه؟

فقلت له: ذكررتي الخبر وإن كنت ما نسيته، فحصلته، فنزعه عن رأسه ودفعه إني، فتكَلَّلْتُ به ثم قلت: بيضاء الصَّين حيث وليّ مولاي، فما كانت إلا خطوات يسيرة حتَّى أشرفت على بيضاء الصَّين فرأيت فيها عجائب من صنوف خلق مولاي، ومرّت بي الخطوات إلى مغارةٍ في حيث الوادي يمدّ إلى البحر فدخلتها، فإذا أنا برجل مسجّى كأنه قد رقد لوقته، وإن ثيابه لحريراً أبيض حتَّى كأنه الوقت صنعه صانعه. فوقفت به طويلاً أنظر إليه وأقول كيف أحياه؟

فناداني الوليّ المسجّى: بالماء.

فذكرت صبّ الماء على الذين أحيوا به بمثل ذلك اليوم فعدلت إلى الوادي وخذت مرء كفي ماءً وأتيت فرششته عليه فاستوى جالساً، وقال: يا محمد بن نصير أبصأت بي عن حضرة مولاي بمعاودتك الفكرة حتَّى وفق لك مولاك بلقاء الهندي، فهذه باتّكثير إليّ.

فقلت له: أنه أمرني أن أحييك وأعود إليه.

فقال: أنت تعود فلا تزدد عليّ بأمد القرب من مولاي، فعمدت إلى الإكليل فدفعته له، فوضعه على رأسه وقال بملء صوته وهو عَجَلٌ: حضرة مولاي بالعسكر، ونهض مع قوّنه فما صار بباب المغارة حتَّى غاب عني فلم أدر إلى سماءٍ علا أم إلى أرضٍ ذهب، وبقيت بباب المغارة أطلبه بنظري وأخذ قوم من الهند

عجائب يخاطبني قوم أعاجم بالهند وأردّ عليهم بالعربيّة، فكنت أنا أفهم منهم بالهنديّة ويفهمون منّي بالعربيّة، وأنا مع ذلك أقول: ترى إنّ مولاي أحلّني هذا الموضع لحالٍ أرادها بي، فإني على ذلك حتّى دخل عليّ ذلك الولي، وعليه حلّة كنت رأيتها على مولاي بوقت دخولي عليه قد خلعها على ذلك الولي، وإذا ذلك الإكليل الأذريون على رأسه، فأقبل حتّى جلس بحيثه الذي كان مسجّى فيه، فأقبل عليّ، وقال: يا محمد بن نصير إنّ مولاي يبعثني في كلّ يوم مثل هذا فأحضره وأشاهده فيتحنّني ويحبّوني ويخلع عليّ ما يكون لابسّه، ثمّ إنّني أعود فأرقد رقدتي إلى وقته ويومه، فقد أذهب عني التعب والوصب ولذّة المطعم والمشرب، طعامي منه نظري إليه في هذا اليوم، وشربي محاورته إني ومخاطبته لي فهو غذائي إلى يوم مثله.

فخذ إكليلك عن رأسي والحق بالهنديّ فهو ينتظرك بحيث أوقفته فيه، فمددت يدي وأخذت الإكليل، وتوسّد بحيثه على هيئته التي عاينته بها حيث وافيته حتّى كأنّه ما زال عن كيانه ولا غاب عن عيني ولا خاطبني.

فقلت: يا مولاي لك الأمر تفعل ما تريد، ثمّ إنّني وضعت الإكليل على رأسي وقلت: عسكر مولاي وحيث الهندي، فما كانت إلّا خطوات يسيرة حتّى وفدت حيث الهنديّ.

فقال: يا محمد بن نصير أطلت.

فقلت له: إنّ كان كيّ وكيت، وأعدت عليه ما كان من نوني. فقال: يا ليتني كهو.

ثمّ قال: يا محمد بن نصير أنا في كلّ يوم مثل هذا أكون بالعسكر فألقني في هذا الموضع أقرب منك فيه.

فقلت له: أفعل وأخذت الإكليل عن رأسي فدفعته له فأخذ ووضعته على رأسه وجعل يمشي معي ويحدّثني إلى أن صرنا بالقرب من دار مولاي فودّعني وعانقني وقال: بلقاء الهند، فوالله ما أدري السّماء أخذته أم أرض مرّت به، فدخلت على مولاي وأنا أرعد ممّا عاينته وما بدا لي من قدرة إرادته بأوليائه، وتمكين أهل صفوته، فلمّا مثلت بين يديه خررت لوجهي ساداً لعظمته.

فقال: ارفع رأسك يا محمد بن نصير فرفعت رأسي وقلت له: يا سيدي أي حال سبق من محمد بن نصير حتى استوجب بها هذه المحنة؟

فقال: بإغفاله تعريف أولياء الله فضل هذا اليوم وأمره أنهم باستعماله وإيجاده فيه من الاجتماع والزيادة واتخاذ المنابت والزهر أكلة، وممازجة عبد النور، وصب الماء، والتخلق بالخلق، وغفران ما بينهم بعضهم لبعض، والتواهب والاستعطاف والتواصل، والفضل فيه للمبتديء والساعي إلى قضاء حق الله فيمن افترضه الله وإن كان قد قتله ألف قتلة، وقطع يده ألف قطعة، فإنه يكون له بذلك سرعة التخلص من المزاج، ووجود معرفة القبول، ويعجل به في دنياه ما يملكه في رقاب عالم من مخالفه، فيحكم فيهم بإرادته، ويستحق من مولاه الزيادة في بصيرته حتى لا يكون بينه وبين مولاه قيد الفتر والشبر لا بل الظفر يكتفه ويشمله ولا يحله محل الفاقة لإنفاقه في ذلك اليوم بذخره له على التضاعف المذكور بقوله: «فَيُضَاعَفُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً» والكثيرة عنده ما لا حد يقع عليه ولا وصف له، أليس يا محمد بن نصير قد قلت أنه من مرّ به يوم من هذه الأيام وعليه في قلبه على أحد من أهل الإقرار بوحانية الله شيء من الغيظ الذي نبيت عنه وأمرت بكظمه فقلت: «وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ»، فلا تحبّون يا محمد بن نصير أن تكونوا من المفلحين؟

فقلت: يا مولاي. هذا يوم أي شيء غيره؟

فقال: يوم غدیر خمّ ويوم المهرجان ويوم تسعة من شهر ربيع الأول وليلة الميلاد. هذه لا وسع فيها نعارف بي مقرّاً بأحديتي أن يتخلف عن قضاء حقّي بجميع من أقرّ لي بما هو لي من صغير وكبير، وإن هو لم ينزل فيهم صغيرهم مثل كبيرهم، وأجلهم مثل نبيهم محلاً واحداً ضاعفت له المحنة وانتقمت منه. وإن ساوى بينهم في حال ضاعفت له الجزاء وعجلت عليه الخلف، أليس قد قدّمت هذا في أوقات ولم يخالف ما أمرت به ويعدل عني، وأنا مرتقبّ بإمضاء ما أمرتهم به في هذا اليوم أعد لهم فيه واستعبد وأرتقب استزارتي، فإذا هم أعرضوا عن أمري وما قدّمت به فإنما يعرضون لإعراضي عنهم.

قم يا محمد بن نصير، فلو أنك جمعت من في العسكر في يومك هذا وأوعزت إليهم ما فيه ودخلت عليّ وقد أخذ منك عبد النور ما أخذ الفرج والترويح وعلى

رأسك إكليل الورد والزهر والأذريون فيه لما منحك مولاك ما منحك به أما علمت
أنما نمكّن القبول والمنزلة عندنا للذين اصطفيناهم واستخصصناهم بأن يرزقوا وأن
يحيوا ويميتوا بأمرنا، تبدي إرادتنا فيهم فتجري الأفعال منهم بمرادنا وأمرنا للأمر
لهم، وكذلك نمكّن لهم أن يعلوا في السموات وأن يأتوا المشرق والمغرب حيث
شاؤوا بحسب الإجابة لأمرنا والقبول منا، لا يذهب عنده لعامل عمله، ولا لأجير
أجره وذلك سابق لك بدي ولهم مزيد، وكون الحيث الذي كونه بإرادة أزله، وذلك
سابق.

فقم يا محمد بن نصير فأمر من بالعسكر من العارفين أن يوفوا الله بما أمرهم
له ورغبهم فيه، وحثهم عليه ومكّنهم في فعله، وخولهم ما حظره على غيرهم،
وأبسط لهم فيما قبضته عن أشكالهم.

قال محمد بن جندب: فما أتم لي سيدي أبو شعيب هذا الشرح الذي شرحه عن
مولاي منه الرحمة، وما وعد به عند الوفاء به وما توعد عليه عند الإعراض عنه
حتى كادت نفسي تخرج من بين جنبي، فقلت لسيدي أبي شعيب إني لأعرف
بالعسكر جماعة يسارعون إلى ما ذكرت، وجماعة يقعدون عنه.

فقال: من فعله فذلك مرزوق، ومن قعد عنه فذلك محروم لا بد من وقوع
المحنة كما وقعت بمحمد بن نصير.

فقلت: أشهد أنه كما تقول.

فقال: وما يحب الذي يأتي هذا الأمر الذي أمر به أن يكون بمحض يخله قريباً
يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يريد ويكون الأمر نه من مولاه، يفعل ذلك بأمره،
وإن أحب عاجلاً عجل له ما يريده وأضعاف ما يريده. عاجله وأجله، وإن من عدل
عن هذا فقد خسر الخسران المبين.

ثم إنه قال: يا محمد بن جندب خذ إليك شرح ما كنت بادئه إليك من تمكين
الإسم للباب.

فلما تمت توقيفاته وظهوره في الحيث الأول والكون وأوجدتهم أنه يأمر مكوته
له ظهوره فيهم ومطافه بهم في المواقف حسب ما أطافه الإسم وأوقفه واختبره لاندوا

عند ذلك به وجعلوه قبلتهم فحيث ما ذهب بهم ذهبوا، وحيث ما صمد بهم صمدوا، وأين ما أوردتهم وردوا، فكانوا بذلك أمد مراده من الأكوار وهم به لائذون.

فبدا لهم بالظهور الخاص الذي أنحله الاسم وظهر الاسم به فيهم وأوجدتهم ذاته بظهوره بما ظهر لهم به الباب، فلما أوقفهم وبدا لهم بالظهور بإيجاده لهم الخطاب وإيداء النطق منهم وهم بالتجوهر النوراني الخاص أبدا لهم الخطاب ببدو الإنفاء عن نفسه وكونه أنه الله الذي أوجدتهم ذاته بالظهور الذي قد ظهر لهم به لنلا نقولوا هو هو.

فقال: إني عبد الله فالتزم بالعبودية للإسم إذ كان مكوته وأن الله مراد التسمية به المعنى فرجع بذلك إلى تعبد له للأزل، فأمدّها مكوته بالنطق له حيث أبدى لها الإقرار له إن نطقت فقال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فكان ذلك تسليماً للتعبّد له والاستعانة على بلوغ المراد الذي هم يريدوه، فأوقفهم في ذلك حيث بحال النطق والإقرار والتعبّد والاستعانة على البلوغ إلى المراد، لم يخرج بهم عنه إلى سواد، ثم بدا الاسم بذاته للباب فالقى إليه مرادات إرادته في تكوينه، فوعاه حفظاً وأتقنه علماً وجعل يبيّنه للسؤال عما قد وعاه إليه وأودعه إياه من إرادته في تكوين ما قدره فكلماً أجاب عن السؤال أنحله في حيث أحله من قرب ذاته نحلة أوجدتها ذلك المكون حتى رتب له مراتب الأفلاك والبروج والمنازل والتقارب والتباعد، وحيث له من أحيات منكه تكوين من يختصه من صفو التكوين بها ويجري عليهم في سيره، ويحيطهم بضياء نورده ويسفر لهم عند حلوله، فلما أكمل لهم فيه ذلك من إرادته ظهر لهم الاسم بذاته وأظهر بابه بذاته وأمدّه بما أنحله وأظهر لهم ظهور الوجود والعيان والنطق، فكان يلقي إليهم ما ألقاه الإسم إليه ويؤدبهم بما أدبه الإسم به ألف ألف كور.

ثم بدت قدرة الإسم بظهوره لهم وإيجاده ذاته، فلما بدا ما أوجده الباب بالعيان أوجدتهم ما أوجده فقال: «اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» وأشار إليه أنه خالقي وخالقكم، ومكوّني ومكوّنكم عليّ هذا، فكانت الإشارة منه إلى الإسم أنه الخالق والمكوّن له

ولهم، وأنه الله ثم أبان بإشارة الحقيقة إلى التَّعَبَّد فقال: «فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»^١ فصار التَّعَبَّد للأزل، إذ هو الصراط المستقيم.

و كذلك أبان أنه هو الصراط فقال: «صراط الله» فاشبه الاسم والأزل صراطه وهو غايته والمعنى الذي إليه رجوع الغايات من الأكوان، فأمدّه بإيجاد الأكوان ذات الاسم وتعبّد الأزل، وإن الله اسم الأزل وإنه بابه لهم وأن لهم مؤثلاً يرجعون إليه وكوناً يكتون به ومن أجله كونوا ألف ألف كور، ثم إن الاسم ظهر لهم بذات ظهور الباب لهم فدعاهم إلى ذاته فأجابته بأجمعها غير خارجة عن حدّ الإجابة أن قالت: «غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» وأقرت أنه ربّ تكوينهم ومبدئ ذاتهم وإليه مصير ما يكونه به ممّا قد كونتهم له، وذلك من حيث دحاهم الباب على وجوده ما سهوا عن ذلك ولا ذهب عن وجودهم. فأمدّهم بذلك ألف ألف كور يظهر الاسم فيهم بذات بابه إذ أوجدهم ظهوره لهم به ويدعوهم إلى ذاته فيجيبون تلك الإجابة لا يخرج بهم عنه.

فلما أكمل ذلك الأمد من الأكوان غيَّب ظهوره بذات الباب، وأبدى ظهوره بذاته ودعاهم إلى تلك الدعوة، فكانت الإجابة بالدعوتين سواء لا فرق بينهما، فأمدّهم على ذلك في الدَّعَوَات المختلفة ألف ألف كور، فلما أكمل ذلك فيهم وتم مراده من تكوينه أمر الباب بتجربة ما كان أجراه في الحيث عند بدو الكون ثلّكين وأمدّه بالاختصاص كما اختصّه الاسم في تكوينه، فظهر لهم الباب وأمدّ كونهم فيئد مائة ألف كور تتلو كونهم، فأمدّه مكوّنه بإيجاد خاصّة تكوينه في البدء بعد كونه، فلما أوجدّه أمره باختباره مائة ألف كور، يظهر له فيوجوده في ظهوره الاقتدار ويوجدّه عليه في تكوينه، ثمّ يعدمه ذلك الاقتدار ويوجدّه العجز عن الاقتدار الذي اقتدره حتّى اختبره في الحالين فوجدّه لا يحول عن الثّنين والإجابة له فاستخصّه وأبداه بما أوجدّه إياه مكوّنه أن ينحله من حيث أنّه الذي أنحه إياه مكوّنه وسدّه به، فأبدى له إرادة المادّة من الاسم بإرادته فأبداه بتأييد الاقتدار على الذي مكّن بالاقتدار عليه وأتيح الإجابة في الحيث والعلوّ والسّموّ على جميع كور الذي هو مكوّن تكوينه، فأجاله الاسم بمادّة القدرة من إرادة الباب فيه، واختصّه ياد. وسرعة إجابته، وبيانه على الاختبار في الظهورات التي ظهرت له، وصحة مراد مكوّنه فيه إذ أوجد الباب أنه صفوة كون المكوّن بعد تكوينه، وأن علمه به كان سابقاً منه فيه باختصاصه له، وأنه

يَحْتَكَ الْأَخْتِصَاصُ الْمَحَلَّ الَّذِي قَدَّرَهُ لَهُ وَرَتَّبَهُ فِيهِ، فَأَطَافَهُ بِتِلْكَ الْمَكُونَاتِ مِائَةً
ثَلَاثِينَ كَوْنٍ لَا يَبْعَدُ عَنْ تَحْصِيلِ مَا جَالَهُ وَطَافَ بِهِ، وَتَنَاهَى بِهِ الْمَرَادَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا
كُنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَادِهِ عِلْمُ الْإِسْمِ مِنْهُ عِلْمٌ مَا أَكْنَهَ فِي غَيْبِهِ وَأَسْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا
تَنَاهَى عَنْ مَجَالِ الْمَطَافِ بَدَأَ بِغَيْبِ سِرِّهِ أَنْ حَيْثُ تَنَاهَى بِهِ الْمَجَالُ بِالْمَطَافِ هُوَ غَايَةُ
تَكْوِينِ الْمَكُونِ.

فَمَتَى عِلْمُ الْإِسْمِ مِنْهُ بِعِلْمِ الْأَزْلِ فِيهِ أَمْرُ الْأَزْلِ الْإِسْمَ بِإِرَادَتِهِ بِإِظْهَارِ أَحْيَاثِ
وَكَوْنِ تَكْوِينٍ يَقُولُ الْإِسْمَ لَهَا كَوْنِي كَمَا أَبْدَاهُ الْأَزْلُ بِبَدْوِهِ، لِإِيجَادِ وَقُوعِ اسْمِهِ عَلَيْهِ
بِحُدُودِهِ كَيْفَ كَانَ، كَذَلِكَ مَكْنَهُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ وَقُوعِ الْوَهْمِ مِنْ غَيْبِ سِرِّ الْجَائِلِ الْمَطَافِ
فِي تَكْوِينِ الْقَادِرِ، فَلَمَّا أَنْحَلَهُ ذَلِكَ أَمَدَهُ بِإِبْدَاءِ الْأَكْيَانِ وَالْأَحْيَاثِ بِإِرَادَتِهِ كَوْنِي
فِي سِرِّهِ تَمْرِيدَ الْأَزْلِ ذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَى تَكْوِينِ مَا أَرَادَهُ مَرِيدَهُ، وَقَدْ أَحْصَاهُ عِدْدًا
وَعَدَّه بِأَحْيَاثِهِ، وَكَوْنًا بِعِلْمِ مَبْدِيءِ الْإِرَادَةِ لَهُ وَعِلْمِهِ بِهِ فَقَالَ لَهَا كَوْنِي فَكَانَتْ
كَبَابٍ فِي أَحْيَاثِهَا وَأَمَادِهَا كَائِنَةً بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ، فَسَبَقَتْ إِلَى قَوْلِ كَوْنِي فَكَانَتْ، ثُمَّ أَمَدَ
بِأَزْلِ نَظِيرِ الْإِسْمِ بِهَا وَإِيجَادِهِ ذَاتَهُ إِيَّاهَا قَبْلَ ظَهْوَرِ الْأَزْلِ بِهَا فِي كَوْنِي إِيجَادِ
أَحْيَاثِهِ. فَذَهَبَ بِهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ كَوْنٍ مِنْ أَكْوَارٍ مَا قَبْلُهَا، وَبَقِيَ فِي هَذَا الْحَيْثِ
وَكَوْنٍ يَنْبَغِي عَنْ الْإِسْمِ فِي تَكْوِينِ مَكُونَاتِ حَيْثُ أَنْحَلَهُ وَمَلَكَهُ ذَلِكَ الْمَطَاقُ بِهِ
فِي مَحَلِّ الْحَيْثِ وَالْكَوْنِ حِينَ اسْتَخَصَّه الْبَابُ، بِحَيْثُ أَوْقَفَهُ فِيهِ مِنْ وَهْمِ غَيْبِ سِرِّهِ
فِي سِرِّهِ غَايَةُ الْحَيْثِ وَالْكَوْنِ. فَكَانَ الْبَابُ يَنْوِبُ بِالْحَيْثِ وَالْكَوْنِ يَوْجِدُ ظَهْوَرَهُ
بِأَزْلِ تَكْوِينِ الْحَيْثِ، وَكَذَلِكَ الْمُسْتَخَصَّصَ الَّذِي اسْتَخَصَّه وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَزِيلُهُ عَنْ
مَوْضِعِ وَقُوعِهِ فِي الْحَيْثِ إِلَى حَيْثُ غَيْرِهِ وَلَا يَبْدِي إِلَيْهِ مَرَادَ السَّيْرِ وَالْمَجَالِ إِذَا أُوجِدَ
عِنْدَ تَوْقِيفِهِ فِي حَيْثُ أَنَّ التَّوْقِيفَ لَهُ هُوَ مَكُونَتُهُ وَأَنَّ تَوْقِيفَهُ هُوَ لِأَمْرِهِ وَمَرَادِهِ فِيهِ.

فَكَرَّرَ بِنُوبِ فِي الْحَيْثِ وَالْكَوْنِ أَمَدَ السَّبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ كَوْنٍ الَّتِي هِيَ
مُسْرُوحَةٌ بِهَا. وَهِيَ الَّتِي بَدَأَ بِهَا الْإِسْمَ بِالظَّهْوَرِ فِي أَحْيَاثِهِ وَتَكْوِينَاتِهِ الَّتِي كَوْنُهَا
لَوْقَتِهَا بِبَدْءِ الْإِرَادَةِ بِكُونِي. فَكَانَتْ إِلَى كَوْنِهَا مَسْرَعَةٌ بِلَا تَوْقِيفٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِكَوْنِهِ فِي
تِلْكَ الْأَحْيَاثِ وَتَكْوِينَاتِهَا بِغَائِبٍ عَنْ هَذَا الْحَيْثِ الَّذِي فِيهِ الْبَابُ وَالْكَوْنِ، بَلْ كَانَ
الْحَيْثُ وَالْكَوْنُ مُحْجُوبَيْنِ عَنْ وَجُودِهِ كَمَا كَانَ فِي بَدْوِهِ لَهُ عِنْدَ إِرَادَتِهِ لِلْإِيجَادِ يَوْجِدُ
ذَاتَهُ لَكُونَهُ، بَلْ كَانَ الْبَابُ يَجِدُهُ وَلَا يَوْجِدُهُ الْأَحْيَاثِ الَّتِي حَيْثُهَا وَالْأَكْوَانِ الَّتِي كَوْنُهَا
لَأَنَّ مَكُونَتَهُ مَا أَوْجَدَهُ غَيْرَ تَكْوِينِ كَوْنِهِ وَحَيْثِهِ.

فلما أتم المدى الذي أمده وناجز الذي أجهه مرّ بسبعين ألف ألف كور من أكوار الأحيات في تضاعفها، وأوجد ذاته كمكونات كون إرادته فيها أبدى الظهور في الحيث والكون الذي أجله الباب. ونحاه لتضاف بها، والإجالة فيها. وملّكه مداومة ما أبداه من تكوينه بإيضاح الدعوة ويجد القدرة. وأبدى له ما اصطفاه واستخصه واختبره، فكان اختباره له وعنه له فرق عند من اختبره واصطفاه واستخصه لأن ذلك كان علم مكوته الذي كوته وأبدى. وعند الباب علم مضاف إليه من علم مكوته. فليس يعلم إلا ما أوجده علمه، ولا يرى إلا ما بلغه إيراكه.

فلما ظهر للإسم في الحيث وأوجد ذاته الكون أبدى إلى الباب علمه بما كان من وهم غيب سرّ المستخص الذي استخصه. واصطفاه واختبره وأعلمه أنه أوقفه في الحيث لعلمه منه ما علمه. وأن الأزل لما أوجدني ما علمته من علمه الذي علمته ولولا تعليمه إياي لا علمه لمشي بتكوين أحيات وأكوان بلا توقيف ولا توقيت بل بإرادته في التكوين كما لمشي بي حين أوجدني ذاتي بقوله لي في وجودي: كن، فكنت عند بدء كور مكوت كبير مثلاً بحيث قدر كوني، وكذلك أمدني بتلك الإرادة وأنحني إلى تلك الأحيات والأكوان بما أوجدني أن أبديت لها كوني، فكانت لكون إرادته وقدرته كبير مرده وكبير مرده مكوته كمنه. فلما أوجد الاسم الباب علم ذلك واتقاه إليه زاد في تعظيم مكوته وأعلم عن المستخص المصطفى المختبر بالمطاف به. وضرب ذلك منه وجود وخروج عن كمال الطاعة والانقياد.

فأوجده الاسم أنه ليس هو في ذلك بداخل في حال مخالفة، وإنما حدّه وقوع نفاذ الملك ومنتهاه، حيث بلغ به المطاف إلى تناهي الحيث والكون وإن ذلك كان كائناً منه بتكوين الأزل فيه لتكوين الأحيات والأكوان. ليبدى من تناهي القدرة التي أنحلها اسمه ما يبهز بها للكون الذي كوته على التوقيت والتوقيف، فلما أوجد الاسم ذلك للباب أطاف به واختبره بعلم ما أعمله القديم المكوّن له فوجده بحقيقة ذلك، فحبس عليه تعليم ما أعلمه مكوته من علمه بما وهمه من غيب سرّ ظنه لم يبدى له حتى يؤذن له فيه، واستشرف الباب إلى معاينة وجود ما عرفه الاسم من الأحيات والتكوين، فجعل يتربّع إنعام مولاه عليه بإيجاده ذلك الكون والحيث الذي قد نعت له بالأوصاف التي كوتها به، فأتم الاسم الباب على ذلك ألف ألف كور وأثبت

المصطفى المستخص المختبر بالحيث بمدى ذلك ما أبداه بسير ولا أجاله عن موقفه الذي هو فيه فأنحله ولاشاه حتى أخفاه في عيان الوجود، فصار يجد الألف في العيان فأنحله ذلك أن يكون عند تكوينه فيما يكونه فلما أبدى تكوين الأحرف أحله ذلك المحل وأقامه منها مقاماً سماه فيه الألف لذلك السابق منه في النورانية.

قال محمد بن جندب: ثم إن سيدي أبا شعيب محمد بن نصير قال: يا محمد بن جندب: ثم إن عبد الله بن غالب أقبل على من بحضرته للسؤال فقال لهم:

و كذلك جرى فيكم ومنكم ما جرى من المستخص المصطفى المختبر، وأحل ما أحله وعانى ما عاناه. بل أعظم وأعظم وما من محل حللتموه في جميع الظهورات إلا وهو بما تقدم منكم في النوراني والتكوين رتب لكم ذلك مع التكوين وأجل لكم إلى تناهي الحين وزن بوزن وحال بحال لم يسبق إليكم كون قبل حين تكوينه، ولم يتأخر عنكم كون عند تكوينه، رتبكم في إبداء تكوينكم في كل ظهور وجوده لذاته في تكوينه بألف ألف رتبة من إرادته يبدىكم فيها وينحلكم إياها سبقاً سبق به علمه وكوناً كون به إرادته بعلمه ولا يعلمونه ووروده حين يستحقونه أكمل لكم وأكمل بكم وأدام قدرته بحيث أدامكم فهل.

فيكم من عرف ما سلف فيه من تكوينات مكونه وتقديرات مقدره وما أبداه له وبه؟ عجز أهل الكون عن إدراك بلوغ علم تكوينهم، فأتى لهم بعلم تقدير قدرة مكوتهم وعلم إرادة أكمين ما أكمينه من إرادته إلى وقت حين مراده. فهو بذاته في حيث أكمينه فيه موجود كوجوده، وعند إبدائه الوجود والعيان وذلك كله في محله بتقدير غير زائل عن ذات تقدير مقدره يبدىء منه ما يبدئه ويعيد منه ما يعيده، فهو في ذلك كنهه بغير مدفوع إلى إيجاد مراد قبل حين إرادته في بدو تكويناته.

فإن وعينم ذلك علماً، وتيقنتموه فهماً؟

فقلت لجماعة: يا محمد بن جندب، فلا تخش مع ذلك فوات ما أجل ولا تقعد عن حلول ما عجز.

فقال: هو ذلك إذا سلمتم برضا مراده وإرادته في حال العاجل والأجل، ثم قال لي سيدي أبو شعيب محمد بن نصير: يا محمد بن جندب وكذلك جرى بك الكون في

بدء تكوينك كما جرى على أهل المخاطبة وأبداك بذاك وله كوتك في بدوك، فاعلم ذلك وعه كما علموه وو عوه وسلم له.

فقلت: سلمت لإرادة المريد ما أرادني له وكوتني به لأحلل فيه عليّ فعاد بي إلى كون ذلك الشرح.

فقال: يا محمد بن جندب، ثم عاد بهم عبد الله بن غالب إلى شرحه فقال لهم:

ثم إن الاسم أبدى إلى الباب إيجاد المصطفى المستخص المختبر ما أوجده من حاله الذي أوجده، فبدأ الباب بإظهاره على حاله ووقوفه في حيثه، فلما أوجده انعطف ساجداً فصار في انعطافه بعد اللام التي هي بعد الألف في تسمية الاسم الذي هو الله ألف لام، فمكث في انعطافه وحنوة السجود ألف ألف كور، وأمد القديم الذي هو مكون المراد إلى الباب مراعاة ذلك المراد المستخص المصطفى المختبر، فراعه في أمد تلك الألف ألف كور يحوطه ويدي له عظمة قادرة، وإنه لا تنهي لقدرته في وصف واصف عند وصف الواصفين، وأن عظمة الاسم مداومة بمادة الأزل له، فلما أكمل ذلك من مدى أجل التكوينات والأحيات بدأ الأزل لها بذات وجوده بالظهور باسمه، فأوجدهم الاسم أزله ومكوته وأن كل مكون موجود من مكوتات أزله ومكوته، إذ كان تكوينه بمرادته ومادته وقدرته، فأوجدهم الاسم ذات الأزل بظهوره فيهم باسمه في سبعة آلاف ألف أكرها الأزل بالظهور نهم، ثم بدأ الاسم بما بدأ الأزل به من كيانه وهو المهل المبدر المقمر، فرتب في تلك الأحيات والأكوان وجود ذلك على انفراده لا تبدو الشمس بظهورها فيها لأنه ما أمد بذلك ولا أذن له فثبت في الأحيات كلها والتكوين وجود الاسم وأوجد الاسم ظهور الأزل بعد وجودهم الاسم، فلما أكمله الأزل بمراده الذي أمد به الاسم أمد الاسم بمادة الباب بعلم ذلك وتسييره في الأحيات والكون، وأبداه الاسم بالحيث الذي فيه وقوف المستخص المصطفى المختبر، فظهر الاسم في الأحيات والأكوان كلها بذات الباب وشخص وجوده وهو الشمس فتناكر الوجود على الأحيات والتكوينات، فماتت غيوبها في وجود مكوتها بظهوره فيهم بما لم يبداه لهم، فلما علم من غيوبها بدا لها بظهوره بكونه وأوقف كون بابها بالحيث من مكوتاته التي مارت غيوبها فيه فعاينت وجود الحاليين من مكوتها، فأمدتها بعلمها أن الذي أبداه لهم وظهر فيهم بعد ظهوره

بذاته التي أوجدتهم عند تكوينه لهم أنه من تكوينه وأنه أراد إيجادهم ذاته ليعرفوه إذا بدا لهم وظهر فيهم.

ثم إن الاسم أثبت ذات بابه بالأحياء كلها وغيب ذاته عن الأحياء لأنه غيبها غيبة عدم الحيث، بل حجب الحيث والكون عن وجود عيانه، وأوجد لها وجود عيان الباب. وكان ذلك بغير تسيير ولا إطفاء ولا إجاله، فأمدّه في أمد الأحياء في كل حيث منها مائة ألف كورٍ بأكوار تلك الأحياء والكور، ثم أمدّه بالتسيير والإجاله في الأحياء، فسار في كل حيث وكون ألف ألف كور، بحيث وقوفه أولاً في الحيث.

فلما سار بإرادة القديم وجال في الأحياء والكون كلاً أعاد إلى حيث كان وقوفه فيه فأوقفه وهو عامٌ في جميع الأحياء موجودٌ قد أوجد في كل حيث وكون ذاته بالظهور للوجود ألف ألف كور، ثم أمدّه بالمعاودة للتسيير والإجاله، فسار وجال مثل الذي سار أولاً، وجال.

فقامت الأحياء بحيثها في ذات كونها شملها معرفة الأزل والاسم والباب بوجود انظهور فيها وراجع مراد الاسم إلى مراجعة الباب المستخص المصطفى المختبر، فعاد وهو بحيثه فأوجده أن مكوّنه ومكوّن حيثه ليس لأحيائه وكونه نهاية حدّ البلوغ وهم لا تحصيل تناهي غاية. وإن الحيث الذي هو فيه والكون الذي هو منه إنما هو في ذات أحيائه وتكوينات أكوّنه كهيئته يجول بها الحيث في ذهاب هبوبها يديرها بتخالف هبوبها لا بقرّ بها سكون ولا يحلّ بها محلاً، فزاد في ذلك عند ذات خشوعه وتسليم أمر مكوّن ذاته، فكان في ذلك من محلّ الخشوع والتسليم مائة ألف كور، فلما أكمل له ذلك من الإمادة أبدى له الاسم ذات قدرته وامتنانه عليه وقبوله.

فأمد الباب بإبدائه بالأحياء والأكوان التي يبدو فيها فسيّره بمسيره فناهى به تلك الأحياء وأوجده الأكوان وأبدى له جميع ما أوجده الإسم من ذات قدرته فصار في محلّ اصطفاؤه واختصاصه، وكان وجود ذلك تناهي اختباره فظهر له في الأحياء كلها الإسم فدعاه بذاته إلى ذلك المعنى الذي دعاه الباب إليه وأظهر له ذاته حتّى أوجده حقيقة ذاته. فأجاب بأخلص إجابة، وقبل بأكمل قبولٍ وأقرّ به بالتسمية باسم بابه وأنحله أن أبداه بذكره ووجود ما أنحله في النطق الذي نطق به وجمع بين

اسمه ونعته الذي نعته به واسم بابه ونعته، فقال: «السَّمَاءُ وَالطَّارِقُ» فَالسَّمَاءُ تَسْمَى بِهَا بَابُهُ وَجَعَلَهَا نَعْتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» فَسَمَى بِالنَّجْمِ الْمُسْتَخَصَّ الْمُسْتَطَفَى الْمُخْتَبَرِ وَقَدْ هُ مِنْ بَابِهِ قَدْ دَأ، فَسَمَاهُ بِالنَّجْمِ الثَّاقِبِ حِينَ ثَقَبَهُ جَمِيعَ أَحْيَائِهِ وَأَكْوَانِهِ.

فصار في منزلته من الباب والاسم بمنزلة الباب من الاسم والمعنى وذلك أنه ما أنحل الأزل الباب منزلة ولا رتبة برتبة إلا وقدم وجود ذلك إلى الاسم، فإذا وجد ذلك الاسم أنحله النجم الثاقب منزلة كهاتيك المنزلة، ولا رتبة رتبة إلا رتبة مثلها حين أقامه الاسم المقام الذي أقام الأزل الباب فيها بأمره ويشير إليه ويمدّه بجميع إرادته كما أمّد الأزل للباب بجميع إرادته حتى أبانه ورتبه أنه الواسطة بين الأزل والإسم وأنه صاحب الوحي، إنه كان الاسم إذا أتى بشيء من نطقه وإرادة أزلّه يقول: هذا جبريل أتاني به عن ربّي، وإذا سئل عن كامن من السؤال يقول: حتى يجيئني به جبريل من عند ربّي.

خبر تأليه قوم لسلمان

ثم قال لي: يا محمد بن جندب، وهل علمت أن سلمان اتخذ قوم إليها وأشاروا إليه بالمعنوية وعدلوا عن الإسم والأزل وجعلوه الغاية؟
فقلت: يا سيدي قد سمعت به ولم أعين أنه، ولا ثبوت مقتيد.

فقال: إني أعرفك ذلك يا محمد بن جندب: إن سيد محمد استخص سلمان في قدمه كما استخص الأزل الإسم في أزلّه، فلما جعل الأزل أمر الذات والتكوين والإرادة والحدوث إلى الإسم، كَوْنٌ وَأَبْدَى، وَعَدٌّ وَأَصِيرٌ، وَغَيْبٌ وَشَهِدٌ وَلَمْ يَغِبْ، وَطَلَبٌ وَغَلَبٌ، وَقَدَرٌ وَاقْتَدَرٌ، حَتَّى صَارَ ذَاتُ لَمْ تَكْ كُنْ وَصَمَدُ التَّفَكِيرِ إِلَى صَحَّةِ الرَّبُوبِيَّةِ لَهُ وَفِيهِ، وَأُنْحَلَ الَّذِي أَنْحَلَهُ أَزْلُهُ لِبَابِهِ فَجَعَلَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَبْدَائِهِ مُرَادٌ مَا يَرِيدُهُ الْإِسْمُ، فَإِذَا أَبْدَاهُ لَهُ أَمْرُهُ بِفَعْلٍ مُرَادُهُ لَا أَنْ الْإِسْمُ كَانَ عِلْمَ ذَلِكَ غَائِبًا عَنْهُ وَلَا أَنَّهُ عَلَّمَهُ مِنْهُ.

بل علّمه بمراحده من قبل ورود الإرادة إليه، ولكن أراد بذلك الفرق بين المنزلتين منزلة الإسم ومنزلة الباب، وذلك أن الإسم يبدي إرادة الأزل بما يريد على

ذات سمه. فيريد بذلك الورود إرادة الأزل، فيبيدي الإرادة وهو غير مبدي الإرادة
بني أزله يظلب الإذن له في تكوين المراد، فكان ذلك بحدّ الاختراع والباب يبيدي
رذته لاسم فيأذن له فيه بما قد مكّنه فيه من الاقتدار على تكوينه، فكان الفرق بين
نصرتين هذا الوصف وأمدّه بإيجاده لذاته لأنّه كونه، وأنّه قد أمدّه بتدبير الكون. كما
من الأزل الاسم بتكوين الكون، فهو موجود في جميع معانيه النورانية إلى حيث
تتأهّى به الترتيب من التكوين إلى محلّ النطق والإقرار والشخص، فمن ذلك أول
تكوين مراتبه التي أنحلّه وسمّاه بها وأظهر تكوينها سماء ثمّ شمساً، ثمّ ماءً، ثمّ
أظهره للنطق فسمّاه «جبريل» وكلّ هذه عند العالم موجودة الكيان والحيث والبقاء لا
عدم فيها، وكذلك أمدّه الاسم بوجوده في ظهور البشرية بكون غير مفقود عند أهل
التحقيق.

فلما أوجد السيّد محمد عند ظهوره وظهور أزله في سلمان ما أوجد ظاهراً
وباطناً رغب العالم إليه وفيه من باطن ما أوجده أنّه قال: جبريل أتاني بالنبوة من
عند الله وهو نزل عليّ بوحيه، وهو كان يأتيني بأمره، إذا أمرني ونهيه إذا نهاني،
وهو كان ينصرني وينصر من ينصرني على عدوّي، وهو كان يتحفني بما يتحفني
به ربّي، وكان من إشارته إليه ظاهراً أن قال: سلمان منّا أهل البيت، وقال: سلمان
مأزج الحقّ ومازجه الحقّ فهو لا يحول، وقال: إنّ لسلمان من الله منزلة لم ينلها
مكّ مقرب ولا نبيّ مرسل، فقال أهل الحيرة: دخل تحت هذا القول من محمد جبريل
وميكائيل إذ كانا هما المقربين من الملائكة، ودخل آدم ونوح وإبراهيم ومحمد إذ كانوا
أنبياء مرسلين، وقال: إنّ سلمان ليغضب لغضب الله، وإنّ الله ليغضب لغضب
سلمان. وقال: لولا سلمان لما نجبت الفرس، وقال سيّد العرب: أنا وسيّد الفرس
سلمان. ففتوا عند هذا القول من السيّد محمد: إنّ محمّداً أفصح لكم عن قول الله في
كتابه حين قال: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» وقال: «كتاب
فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون» وقال: «لولا فصّلت آياته أعجميّ وعربيّ»
ومحمد عربيّ ونيس بأعجمي فقد أوجدنا أنّه سيد العرب، وأنّه نبيّها والمبعوث إليها،
وقال: «سلمان سيّد الفرس من أنزله منزلته فإنّه النبيّ إلى الفرس» ثمّ قال في

الملك: «إن سلمان شهد حوارِي عيسى بن مريم حتى لو أني قلت لكم إنه قد سلك حيث سلك ذو القرنين ومر في الظلمات ووقف على ياجوج وماجوج وبلغ مطلع الشمس ومغربها واختراقها لقلت حقاً وإنه عمر أعمار قرون كثيرة كل ذلك يطلب مبعثي» فقال قوم وهم أهل الإفك والحيرة: إنما أراد السيد محمد بقوله: «كل ذلك يطلب مبعثي أي يريد ينبئني ويبعثني، وإنني لما بعثت جاءني فآمن بي ونصرني» فلما أكمل له السيد محمد هذه الأوصاف والنعوت أشاروا إليه بالمعنوية وجعلوا محمداً دونه بالمنزلة، واحتجوا بقول أمير المؤمنين يوم السقيفة وقد دخل عليه سلمان وتكلم بما تكلم به بالفارسية، فقال له لما دخل عليه: ما تقول يا سلمان؟

فقال له: أكون كما كان محمد، ألين لهم وأسالمهم وأغض عنهم. فقال: أفعل يا سلمان، وبذلك عهد إلي محمد فقالوا: إن محمداً قال لأمر المؤمنين ما قاله له سلمان، فلما سأل أمير المؤمنين سلمان قال له: ما تقول يا سلمان؟

فقال: أكون كما كان محمد ألين لهم وأسالمهم وأغض عنهم، كان ذلك من سلمان أكون كما كان محمد أي كما وفقت محمداً وقدمت إليه وأمرته، وكان قول أمير المؤمنين له بذلك عهداً إلى محمد أن يقول: أمرك وتوفيقك. ومثل هذا كثير يا محمد بن جندب.

وعندهم أن محمداً قضى بالموت، وأن علياً اغتيل فقتل ووجد ذلك وعين وأن سلمان كان جالساً على بساطه وبين يديه زاذان وشاذان وهما جبريل وميكائيل فقال لهما: إني أريد أن أرقى إلى السماء، فما تقولان لمن سألت عني؟

فقال زاذان: أقول إنك في بعض أسفارك، وإنك تعود بعد وقت، فقال: رأياً أصبته. وقال شاذان: بل أبدي لهم أنك قد مللت دخولهم عليك، وإنك قد أهلتني لهم فأكون مقيماً ذلك فيهم أجري أمورهم على بدوك فيهم حتى يسكنوا إلى أمري ويرضوا عدلي ويرغبوا عنك فيتناسوك.

فقال: وذلك رأياً أصبته، فخلفهما بما عهد إليهما، ورقى به البساط وزاذان وشاذان ينظران إليه حتى انفتحت له السماء ودخل فيها وخرجا إلى من سأل عنه بما قالاه له فثبت الأمر لشاذان وكان زاذان عوناً على ذلك، ولم يطلبوا منهما لسلمان خبراً بعد ذلك، وقد قالت طائفة منهم إن سلمان ظهر يوم البصرة، فكفى

على ما كفاه ولو ظهر لهم بصفين لما تطاولت به المدّة ولا حكم عليه أهل نصرته ولكنّه جعل ذلك في عقب الذين خرجوا عن أمره، وقعدوا عن نصرته وسألوا التحكيم عليه، فلما كان يوم النهروان ظهر فكفاه ما كفاه يوم البصرة وأوجده من حيث كان إذ أخرجه محمّد في غزواته إلى مبادرة أعدائه بقوله له: يا عليّ امض فهذا جبريل عن يمينك ومعك يردّ عنك كيد عدوك، وقال: وقد أجمعهم معاشر أهل التّوحيد على أنّ سلمان هو جبريل، نعم.

و قولهم: يا محمد بن جندب هو الكفر عينه وأين هم عن قول محمّد يوم قال: «هذا جبريل ينادي في عنان السّماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ» وذلك في تفسير الباطن الذي بطن عن الوجود إنّ قول جبريل لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ أيّ أنّه لا إله إلّا عليّ وحده جلّت قدرته، وقول سلمان لمر يوم وجده بوادي التّسنيم وهو خبر الصّتم.

خبر الصّتم

قول سلمان لدّلام يوم وجده بوادي التّسنيم وتحتّه ناقة له حمراء وعليها عيبة فيها صنم من نحاس وهو يريد أن يقصد موضعاً في الوادي يخلو فيه بالصّتم لحال كان قد أضمرها.

فقال له سلمان: إليّ يا دلام؟

فقال له: إنّني أريد ركب بني فلان (وفد من الشّام) ولي فيه تجارة.

فقال له سلمان: يا دلام، إنّ ربّك معك يعلم أين مقصدك وما تريده في نفسك، فسّر دلام وظنّ أنّه يعني الصّتم أنّه معه وأنّ الصّتم يعلم أين يريد وأيّ شيء في نفسه ممّا يريد أن يسأل عنه.

فقال له: يا أبا عبد الله أسرك إلهك كما أسررتني الآن علمت أنّك معنا على ما نحن عليه، فأين إلهك أنت يا أبا عبد الله؟

فقال له سلمان: ها هو أمامي وأمامك يراني ويراك ويسمع مني ومنك، فمدّ دلام عينيه أمامه، فإذا هو بأمرير المؤمنين راكباً على فرسه وبيده ذو الفقار، فأرعد عن الناقة وسقط على الأرض لوجهه ميئاً لا تحرك فيه.

فقال أمير المؤمنين: يا سلمان إنك تحاوره ويحاورك وأنت تقول: إنّ إلهك معك يعلم مقصدك ويطلع على سرّك فظنّ أنّك تشير إلى صنمه الذي معه الذي هو إلهه وأنك قد عظّمته حين قلت له يعلم مقصدك ويطلع على سرّك فقال لك: سررتني يا أبا عبد الله حيث علمت أنّك معنا على هذا الأمر، فأين إلهك؟ أراد بأنك معه على كفره، أي فأين صنمك أنت يا أبا عبد الله؟

فقال سلمان: يا سيدي أومعه صنمٌ يعبده؟

فقال: نعم يا سلمان، هلمّ العيبة، فأثاه بها.

فقال: حلّها، وأخرجه، فحلّها وأخرج الصنم النحاسي.

فقال: يا سلمان أراد أن يمضي به إلى موضع كذا وكذا ويسأله عن كذا وكذا.

فعرّفه أمير المؤمنين بما كان مضمرّاً دلام له من السّؤال. ثمّ قال له:

خذ الصنم وخلّه بحيثه، فأخذ سلمان الصنم وترك دلام لوجهه يخور، فلمّا كان بعد مدّة طالت عبر بوادي التّسنيم ركب فرأوه مكبّاً لوجهه يخور، فعدّلوا إليه والناقة واقفة، فلمّا رأوه قالوا: هذا دلام فرفعوه عن الأرض وقالوا له: ما شأنك؟

ففتح عينيه وجعل يجيلهما فيهم فقالوا له: ما شأنك وما ذهبت؟

فقال لهم: هل رأيتم في الوادي أحداً؟

قالوا: لا.

قال: فهل لقيكم في طريقكم أحدٌ استخبركم و استخبرتموه؟

فقالوا لا.

فقال: إنّي لما انحدرت إلى الوادي وتبصّنته ذعرت الناقة فرميتني عن كورها فأوهنتني، فوطّوا له الناقة ورفعوه على كورها وجعل يسير معهم وهو ذاهلُ العقل طائر اللبّ إلى أن دخل المدينة وأتى إلى منزله فنزل وقال لخادمتة هلمّي العيبة،

فأنته بها ففتحها وطلب الصتم فلم يجده، فغشي عليه، واركبته نفصة ورعدة فقال: لا يدخل عليّ أحد ما دمت بحالي هذه، فمكث بها شهراً فطال ذلك على جماعة من أصحابه، فأتوه ودخلوا عليه وسألوه عن حاله فقال مثل القول الذي قاله للركب حين سألوه عن حاله فقال مثل القول الذي قاله للركب حين سألوه عن حاله عند معاينتهم له بالوادي.

وكان ذلك في خلافة حبر عليه وقال له: لتصدقني عن حالك وما الذي دهاك؟

فقال له: قد اجتهدت أن لا أبدي ذلك لأحد، ولست كغيرك، وأخذ يقص عليه قصته بالوادي وما جرى بينه وبين سلمان وما خاطبه سلمان به، وما ظنه سلمان بنفسه، وظهور أمير المؤمنين له على فرس وذو الفقار بيده. وأنه لما رآه صعق لوجهه عن الناقة فلم يدر بما كان بعد ذلك حتى مر به الركب فأيقظوه من سكرته وأنه سألهم عن من رأوه في الوادي، وهل عاينوا في طريقهم أحداً فذكروا أنهم ما رأوا لأحد أثراً، وإنما بدت لهم الناقة وهو ملقى على وجه الأرض بين يديها.

فقال له حبر: ويحك يا دلام ما عهدتك بهذا الوصف من العجز وقلة الحزم وإني لأعرفك أنك ثاقب الرأي مشيد الحكمة يستدل بك إلى موارد الأمور ومصادرها، فأين ذهب رأيك بك حتى أبيت إلى سلمان ما أبيت به بسرعة المحاورة. وإنك لتعلم كعلمي أن علي بن أبي طالب يعلم منا ما نسرّه وما نعلنه ونجمع عليه ونعرفه في سرّ أنفسنا دون إظهاره بأفواهنا، فيجنّ علمه بنا حيث أجنّا، ونغدو فيغدوا بغدونا، وأنه وإن أمهل، وأنظر كما أبداه به في مخاطبته بالوحي، فهو لكمال استحكام الشقوة فينا وتضاعف العذاب علينا، وقد علمت أن علياً لا يخفى على جميع خواصه شيء من علمه بما يجري في هذا الخلق. وقد أبان أنه بهم يهلكنا ويهلك الخلق كما بعث بمن بعثه على مدائن قوم لوط فجعل عاليها سافلها، وكما بعث به على فرعون حين أدركه الغرق، وقد هم أن يبدي له بالإقرار فألقمه طينة خبال وأهلكه بها، وكثير مثل ذلك حواه به وقد علمت من هو المخصوص بما عرفتك وهو صاحبك في الوادي والمخاطب لك، وإنما بعثه عليّ عليك حيث علم منك ما علمه ولو أمره فيك بأمرٍ لأمضاه ولكنه أتى بما أمره به ثم ظهر هو لك فأوجدك بذلك أن

سلمان إنما أشار بقوله عند مخاطبتك إن ربك معك يعلم أين مقصدك ويطلع على سرّك إلى عليّ بن أبي طالب.

فقال له دلام: يا حبتّر إن أعظم ما عليّ في هذا الأمر أن الصنم قد فقد من العيبة. ولا أدري أين ذهب به وأظنّ أن الركب أخذوه من العيبة، وأخاف أن يحضروه في مسجد رسول الله ويقولوا هذا أصبناه في عيبة دلام.

فقال له حبتّر: طوباك يا دلام إن كان الأمر على ما ذكرت وذلك أنه إن كان ما تقول وجاؤوا به كذبوهم الناس وقتلوهم بقولهم فيك وقالوا إن ذلك منهم حسدٌ لك، وإنما أخاف عليك يا دلام ما هو أعظم من هذا، لأنّي أعلم أن الركب ما كانوا بالذين يفتشون عيبك بعد أن عرفوك لعظم خطرِك عندهم، ومنزلتِك منّي ومن رسول الله.

فقال له دلام: فما الذي تخافه عليّ مما هو أعظم من هذا؟

فقال حبتّر: إنّي أخاف أن يكون عليّ قد أمر سلمان أن يأخذه وأن يكون عنده، وأخاف أن يأمره بإظهاره في محافل قريش والمهاجرين والأنصار، وليس يمكن إن كان ذلك على ما ذكرته لك أن ينتزعه من يده ولا يغالبه عليه أحدٌ بل نخاف أن يكون بفعلنا ما هو أعظم، فهل الصنم معروفٌ يعرفه أحدٌ من المهاجرين؟

فقال له دلام: نبتّهني والله يا حبتّر حتّى كأنّي كنت راقداً عن خطابك مذ ذكّرت الوقت، إي والله معروفٌ تعرفه قريش بأسرها، وذلك أنه كان صنمٌ خطّاب، وهو خلفه عليّ وأوصاني بعبادته وعرفني أنه إله من سلف من آيائه، وإنّه في وجوده فيهم خمسمائة عام.

فقال له حبتّر: قطعت ظهري فيك يا بن الخطّاب.

فقال له دلام: يا حبتّر، قد عنت ما تقدّم لي فيك في مقامٍ بعد مقامٍ من يدٍ بذلت مهجتي دونك، وأهلك لك كبيرةً حمت عنك، فإن كنت يوماً مجازياً على إحداهن فأجمعهن كلّهنّ وجاز عليهنّ بتخيصي من هذه الورطة العظمى والنّازلة الكبرى.

فقال له حبتّر: طب نفساً، فإنّي لا أدع بذل جهدي في سرّ أمرِك، ولو سلمت هذا لطالبه، فجراه دلام خيراً وقام إلى رأسه فقبله، ونهض حبتّر، وأتبعه دلام يشيعه

بنفسه وهو في جهده إلى أن خرج إلى شارع الدار والليل هاديء فأتى إلى منزله، فمد يسطجع على فراشه بل جلس عليه يجيل فكره كيف تكون حيلته فيما قد وعد به دلام حتى أسفر الفجر فأذن مؤذنٌ مسجد رسول الله، فقام حبتّر فتأهب للصلاة وارتنى بردائه واحتذى حتى دخل المسجد وجلس بموضع جلوسه من المحراب فما استقر به الجلوس حتى دخل داخل إلى المسجد.

فقال حبتّر: من الداخل؟

قال: أنا سلمان يا حبتّر، أرقك البارحة دلام بمحادثتك ما دمت عنده، فلما صرت إلى منزلك استدّ أرقك وفكرك، فلم ترقد في فراشك وقد غدوت مستقيماً.

فقال له: يا سلمان قد كان ذلك، فمن أين لك علمه؟

فقال له: إنني رأيتكما، فعلم حبتّر أن سلمان قد شاهد جميع ما كانا فيه من الخطاب، وأنه لا يمكنه جحد ذلك، فقال: كان ما ذكرت.

فقال سلمان: اعلم أنه قد أمرني أن أنصب الصنم بباب المسجد عند دخول المهاجرين والأنصار إلى الصلاة مقابل مدخل الناس، وإنه قد تقدّم إلى الصنم أن ينطق ويخبر الجميع بما أوداه إليه، فلما سمع حبتّر ذلك من سلمان غشي عليه في المحراب ومدّ يده فعلق بسلمان وجعل يضرب برجله وهو يقول:

يا سلمان بحق صاحب هذه الروضة إلا أجبتني إلى ما أسألك.

فقال له: ما تقول وما تسأل؟

فقال: تمضي إلى مولاك وتسأله إقالتي من هذا الأمر الذي قد تلبسته بغير حق، وأن يعود بفضله عليّ كما لم يزل يعود به في كلّ مرة بعد أخرى، فقد علمت أنه يعلم أنني لم أطلع من أمر دلام على شيء مما أطلعك عليه عليّ بن أبي طالب؟

فقال له سلمان: يا حبتّر أنظر أين يذهب قولك هذا.

فقال له حبتّر: لم أقل إنني لم أعلم أن ما له صنم عنده هو منعكف عليه، وإنما قلت لك إنه يعلم أنه ما أطلعني دلام على خروجه إلى وادي التسنيم بالصنم ولا ما كان مراده بذلك حتى عاد بما عاد عليه فلما دخلت عليه عرفني بما كان منه.

فقال: الآن قلت حقاً، اعلم يا أبا بكر أنه يعلم منك مثل الذي يعلمه ومن دلام، وقد أوعز إليّ بأن أجمع بين صنمه وصنمك الذي هو في ربعتك التي دفنتها في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا تحت وسادة مرقدك. فإن أتيت أنت به وإلا مضيت أنا وأتيت به، فسقط عندها حبتري بيحث بيده ورجله وقال: يا أبا عبد الله سألتك بحقه إلا أمهلت عليّ.

فقال له: قد أمهلت وذلك عن أمره فما تشاء؟

فقال: سألتك بحقه هل أوعز إليك غير ذلك بشيء؟

قال: نعم إنه أمرني أن أنصبها بباب المسجد عند دخول المهاجرين والأنصار للصلاة، وأبدى إليّ أنه ينطقها بلسان عربي مبين، يبينان للناس ما ينطقان به، وذلك أنه يبدأ بصنم دلام فيقول: معاشر المهاجرين والأنصار أنا فلان بن فلان، من بلد كذا وكذا أرسخني الله في هذا النعت الذي أنا به معروف وأن الجاهلية من عديّ صنعتني إلهاً عبدتني من دون الله، وإني لم أزل معظماً عندهم عقباً بعد عقب إلى أن صرت إلى الخطّاب، وإنه عند هلاكه أوصى ابنه دلام أن يكون على ما كان عليه من تعظيمي والتعبد لي، فما هل إله غيري، وإنه ما خرج إلى سفر إلا وكنت معه فيه كي أحوطه في سفره وأنصره على عدوّه، وما قدّمت له نفسه أمراً إلا وكنت معه للمشاورة فيما يريد أن يأتيه، فكنت أجد لي من يمنعني على أن أبين له أنه قد ضلّ فيّ وأنه غير مصيب فيما قد أقام عليه من عبادتي فامتنع عن ذلك من موضع كنت أجد ما أجد من النهي له، وإن الله جلّ وعزّ قد أبدى ما كان يخفيه عني يدي سلمان الفارسي ويسكت، ثم ينطق الصنم الذي هو لك مثل ذلك حرفاً حرفاً.

فقال له حبتري: يا سلمان، فقم بنا إليه حتى أسأله.

فقال له: إنه أمرني أن لا أجيبك إلى هذا السؤال إذ أنت سألت عنه.

فقال له حبتري: فقم بنا إلى دلام حتى أعرفه أنا وتعرفه أنت وأستخرج لك الصنم من حيث ذكرته.

فقال له سلمان: أما المضيّ إلى دلام فإنّي أجيبك إليه، وأنّ استخراجك للصّتم من حيث هو فيه فقد استخرجه من هو أعلم بالموضع منك، فقمّ فيها مع سلمان منذ يوم وادي التّسنيم، فحار حبتّر من قول سلمان وظنّ أنّه هزلّ منه.

فقال: وأين هما يا أبا عبد الله؟

فأخرجهما من ردائه، فلمّا أبداهما خرّوا لوجهه يلطم على رأسه وهو يقول: يا لها من فضيحة ما أعظمها وداهية ما أكبرها لا كاشف لها إلّا منزلها، يا أبا عبد الله من أين لعبد الله بن عثمان الخلاص من هذه الفادحة، وكان وقت إقامة الصّلاة.

فخشي حبتّر من مجيء النّاس للصّلاة وأن يأتي سلمان بما أمر به، فقام مسرعاً وقال: قم يا أبا عبد الله إلى حيث أجبت إليه، فقام سلمان وجعل حبتّر يسعى ويكبو لوجهه حتّى سقط من المسجد إلى أن وصل إلى دار دلام في سبعة عشر موضعاً، وكلّما سقط يقول: يا سلمان ارفق بي، وإنّ بين سلمان وبينه خطوات كثيرة حتّى أتى الباب فطرقه، فقليل له: من بالباب؟

فقال: أنا سلمان وحبتّر معي، فلمّا سمع دلام بذكر سلمان من قبل أن يسمع بذكر أبي بكر غشي عليه كوقت سقط عن النّاقة بوادي التّسنيم، فخرجت الخادمة إليه، فقالت: إنّّه موعوك والسّاعة رقد. وما فيه موضع للدّخول عليه، فقال لها حبتّر: ويلك قولني له هذا حبتّر بالباب، وقد دهى بما ذهبت به وما عنده أعظم ممّا عندك وأجلّ.

فدخلت إليه الخادمة فعرفته، فتجلّد للجلوس وأننّ لهما، فلمّا دخلا قام قائماً إلى سلمان، فقبله بين عينيه ويده وقال له: الحمد لله الذي كانت لك المنّة والنّعمة، فقد يكون وما يكون هذا الكرم إلّا في الفرس. يا أبا عبد الله إنّني لذاكر ما كان منّي إليك بوادي التّسنيم من المداعبة، وذلك أنّي كنت ثملاً من خمرة أخذتها لعلّة تعرض لي وخرجت إلى الوادي لنلّا تتّم على حالها، فزادت عليّ فداعتك بشيء ما أعقله الآن، فقد عفوت إذ قدرت وسترت إذ علمت، فالمنّة لله ولك، فاجمع بذلك يا أبا عبد الله جميل الأمور بموادعة عبد الله بن عثمان ومنك عليه كما مننت عليّ. فلن يضيع جميل صنيعك في شيخي المهاجرين والأنصار وأنا أعدو إلى مولاي ومولاك أمير المؤمنين فأبدي له شكري إياك بما يحسن موقعه عندك. وقد أمرت عبد الله بن

عثمان أن يقضي لك في كل يوم عشر حوائج لا يردك بواحدة منها، ولو أومأت إلى إزالته عن هذا الأمر وأن يحمل إليك في كل شهر عشرة آلاف درهم تصرفها في أصحاب علي ليتوفر عطاؤك عليك.

و أنا فقد ملكتك الحائط الذي لي بالغرق وما يليه من بسط الأرض وأحمل من عطائي إليك في كل شهر ألف درهم تكون لبعض مفترضاتك.

ثم قال للخادمة: هلمي العيبة، فأنته بعبية مملوءة برداً تخمياً وحلاً عدنية، فدفعت إليه عشر برود وثلاث حلل وكيساً فيه خمسة آلاف درهم، وقال: يا أبا عبد الله قد جعلتك وسيلتي إلى صاحبك المقداد بن الأسود وأبي ذر الغفاري في قبول هذا مني، وهي جائزة لهما مني في كل حول، ومن عبد الله بن عثمان مثلها.

ثم إنه التفت إلى أبي بكر فقال: ألا فعلت هذا أنت وأرسلت إلى أن أبعث إليك بما تريد.

فم فابعث إلى أبي عبد الله بمثل ما أبدأته به وإلى المقداد وأبي ذر بمثل ذلك.

قال محمد بن جندب: قال سيدي أبو شعيب محمد بن نصير: فبقي حبتراً لا يرد جواباً ولا يورد كلاماً، وظن أنه قد كان بين سلمان وبين دلام موافقة لذلك الخطاب الذي خاطبه به، فخرج حبتراً مبادراً إلى داره فحمل ما أمر به دلام لوقته وقام سلمان ليخرج، فقام دلام لقيامه وخرج بخروجه وأمر بحمل ما كان بحضرته إلى دار سلمان وأتيا حتى دخلا المسجد وأقبل حبتراً حتى أقيمت الصلاة وصلى بالناس، ثم أقبل على دلام وقال: يا أبا حفص: هل كان بينك وبين سلمان بما بدأته به مراسلة قبل دخوله عليك؟

فقال: ويحك يا أبا بكر هذه الأشياء فرض، فمن افترضها ظفر بها، وإلا افترضته ولولا ما أبديته به لكان حول لك فيما أتيت فيه رأياً عطباً ولكني جمعت الحزم كله وأبديت الرأي في وقت دخوله لأنني أعددت له ذلك، ولقد كنت أشد خوفاً منك وأعظم جزعاً.

فقال له حبتراً لا تظن ذلك يا دلام، لو سمعت من سلمان ما سمعت أو خرج إليك بما أراده لاعتراك الطيش حتى لا تحصل على شيء من عقلك أنه قال كبت

وكيت وأراد أن يفعل كذا وكذا ولو أتم هذا يا دلام لكانت الفضيحة العظمى والذاهية الكبرى.

فقال له دلام: أفلم أكفيك ذلك؟

فقال: بلى ما برام مرام مكايذك ولا مصادر ك ومواردك.

فقال له: واعلم يا حبتّر، لو لم يأمره عليّ بن أبي طالب بما بدأته به لما قبله مني ولكان منه ما عرفك أنّه يريد أن يفعله، فسله تجد ما أقول لك حقاً.

فقام حبتّر حتّى وافى منزل سلمان وقد حمل معه ما قدّمه إليه دلام، فأذن له فدخل عليه وجلس فقال له: يا حبتّر: إنّ في دلام خللاً وشيطنةً وتداهي وفرعنةً ليست فيك، أما رأيت ما بدرني به وأبداه إليّ من مدهانتة وحيله وزخرف كلامه وعمله حتّى أوهمك أنّي له جئت ولذلك طلبت وعليه عقدت.

فقال له حبتّر: ما ظننت إلّا ما وصفت، ولقد سألته عن ذلك فقال: ما كان ذلك إلّا بادرة بدرت سلمان بها، وقد قال قولاً ثانياً، قال لي: اعلم يا حبتّر لو لم يتقدّم إليه عليّ بن أبي طالب بما كان مني إليه لما قبله مني سلمان ولا أمضاه ولكان منه جميع ما أشرحه لك.

فقال سلمان: صدق والله يا حبتّر ما كان شيء جرى بيني وبينك إلّا عرفنيّه ولا شيء جرى من دلام إلّا أخبرنيّه وأمرني بأخذه منك ومنه وإنّي لا أعيد على دلام شيئاً ممّا كان مني إليه ومنه إليّ بوادي التّسنيم وامتنلت ما أمرني به، إنّ قال لي: يا سلمان إنّني لو فعلت ما كشفته لك من نصب الصّنمين بباب المسجد ونطقهما بما ينطقان به وأضعافه لما قالوا إلّا إنّ هذا من سحر عبد المطّلب، ولكانوا عليّ دون أن يكونوا معي وذلك من حيث كوّنوا به وجبلوا عليه لأنهم وحزبهم كما ذكرهم الله عزّ وجلّ فقال: «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» فقتّم إليّ بجميع ما ذكرته وأضعافه، ولكن اعلم يا حبتّر أنّ هذا كلّه يجري بإرادته ومراده بإتمام الحجّة عليك وعلى صاحبك ومن بايعكم، فلا تغترّ بذلك من إمهاله، فلو أذن فيك بإذنه وفي جميع من في الأرض لذهب بهم سلمان ولكانوا كشيء لم يكن.

ثُمَّ إِنَّ سُلَمَانَ أَمَالَ الْجِدَارَ الَّذِي كَانَ حَبْتَرٌ جَالِسًا تَحْتَهُ حَتَّى لَحِقَ رَأْسُهُ الْعَالِي إِلَى الْأَرْضِ، فَصَارَ عُلُوُّهُ مَعَ أُسَاسِهِ وَحَبْتَرٌ تَحْتَهُ، فَوُثِبَ لِيَقُومَ فَوْطِيءٌ عَلَى ذَيْلِهِ، فَلَمْ يَطُقْ خُلَاصَهُ.

فصاح: يا سلمان سقط الجدار عليّ.

فقال له سلمان: لو سقط أو أذن له بالسقوط لكنت قد ذهبت حيث يذهب أو أن ذهباك.

ثُمَّ إِنَّ الْجِدَارَ عَادَ إِلَى حَالِهِ، وَزَالَ عَنِ ذَيْلِ أَبِي بَكْرٍ.

فقال: يا سلمان أي شيء كان هذا الذي رأيته؟

فقال: إنه أمرني أن أبدية لك وأوجدك إياه، وأعلمك أنه متى أعدت شيئاً مما أبديته إليك مما أبداه إليّ أمير المؤمنين أmaal عليك الجدار الذي تكون جالساً إليه، ولو يكون الجدار من أمامك أو عن يمينك أو شمالك أmaal عليك حتى تهلك به، نعم ولو أن بينك وبين الجدار فرسخاً أmaal حتى يلطمه عليك، وقد نصحت لك والسلام.

فقام حبتَرٌ وخرج من عند سلمان وأتى منزله فوافاه دلام فاستأذن عليه فقال: إني خارج إليك، وخرج إليه.

فقال له دلام: يا حبتَرُ: ما هذه الحال التي ظهرت لي منك في هذا اليوم؟

فقال: وما هي؟

فقال: إني ما عهدتك تحشميني، ولا طرقت بابك في وقتٍ من الأوقات، فلم تأذن لي، وما احتشمت دخولي عليك، وفي هذا اليوم أوقفتني حتى خرجت.

فقال له ما ذلك إلا لخبر، إني أحببت أن أخلو أنا وأنت بالبقيع للمحادثة وبث ما نجاه.

فقال له دلام: لأستمع هذا منك ونفسي ليست بالراكنة إليه ولكن كما ذكرت، وجعلا بمشيان حتى خرجا إلى البقيع وجلسا في فيحاء البقيع.

فقال له: كيف أبديتنا في هذا الموضع لا يوارينا عن أحد من الناس شيء؟

فقال: هو أوقع بقلبي من أن نتواري بموضع نفاعاً فيه من حيث لا نعلم ويظن بنا من يفاجئنا أنا في حال نسرّها ولا نبدّيها.

فقال له دلام: وهذا أيضاً تقوله ونست أثق منك بصدقه، أعد عليّ ما بدا منك إلى سلمان وما كان من سلمان إليك.

فقال له: يا دلام، ما قال ولا قلت وكما دخلت خرجت، فلا تعد ذلك سؤالا.

فقال له دلام: والله يا حبتّر إنّي لأعلمك قطع ركبك عنك وأدعك بحسرتك لأنك ما أتيت قط بخير ولا ذللت إليه ولا عرفت حيث وجه مسلكه، فيالها ندامة حلّت بدلام فيما قدّمك إليه وأهلك له ووئب فلم يجلس مع أبي بكر ووافى منزله، فأقام شهراً لا يحضر مسجد الرسول للصلاة مع أبي بكر حتّى جميع حبتّر إليه جمعاً واستعانه لهم فرجع إليه وهو مضمرّ غيظه عليه وأقام حبتّر حولاً كاملاً لا يجلس إلى جدار ولا يرافقه إذا كان في جمع من أصحاب رسول الله إلا حيث يكون في منزله، وفي خلوة من جلس يجلس معه، وكان إذا حضر في مجتمع قد أخذوا بذكر عليّ وسلمان نهض وتركهم يخوضون فيه كلّ ذلك حذاراً من أن يبدر منه بادرة كلمة فيحلّ به ما توعدّه به سلمان وأوجده عيان ذلك.

قال محمد بن جندب: ثمّ إن سيدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: وإن سلمان لما كان من دلام وأبي بكر جمع جميع ذلك وأتى به إلى أمير المؤمنين، فلما بصر به قال له: يا سلمان وفقت وفقك الله وسددك، اصرف ما أفاء الله به على المؤمنين، ففرقه سلمان بالقسط وكان كذلك يجري في جميع ما كان يحمله إليه حبتّر ودلام وما يرتفع من غلة الحائط والبسط الذي ملّكه إياه دلام، لا يفضل نفسه على أحد من المؤمنين بحبة واحدة، كلّ ذلك بتوفيق مولاه واستخصاصه إياه، ثمّ قال لي:

يا محمد بن جندب، لو شاء محمد بن نصير لقال لك إنّه قد حضر ذلك وشهده وعاينه وأمضاه وقسم منه قسمه، وأصرف إليك منه، غير أنّه لم يوجدك من أين كان آتاه حتّى الساعة، وإنّ بالعسكر جميع من وصل إليك.

قال محمد بن جندب: فقلت: يا سيدي، وأنا أشهد بذلك وأسلمه إليك ولو أتيت بأضعافه، ثمّ قال:

يا محمد بن جندب، فقلت: يا سيدي وأنا أشهد لك بذلك وأسلمه إليك ولو أتيت من منازل الباب عند الأزل في هذا الظهور، وله ما هو أكثر وأكثر عنده، فكيف تدرك منزلة الباب عند الأزل في النورانية وهي أجل وأعلى وأرفع وأعظم؟

فقلت: يا سيدي: أنت بالمنزلة عليم، وبتكوينهم خبير.

فقال: يا محمد بن جندب، كذلك منزلة المستخص المصطفى المختبر الذي هو النجم الثاقب الذي قدّمه الإسم من الباب واحتذاه من ذاته وأنحله منه المنازل التي أنحل الأزل الباب، وكان يقدمه الإسم إلى الباب فيه كتقدمة الأزل إلى الإسم في الباب، فأظهر الإسم للنجم على قدره وقدره أن قدر بقدرته كما أوجد الأزل الإسم أن يظهر الباب على قدر الأزل وقدره أن قدر بقدرته، واستخصه الإسم كاستخص الأزل للباب بظهوره بحيثه ويديء إليه بأمره.

إظهار محمد بن أبي زينب الكشف

فمن ذلك يا محمد بن جندب ما رواه الناقلون عن أبي الخطاب محمد بن أبي زينب في مقام الجيم، وقد ظهر محمد الأكبر بمحمد بن أبي زينب والأزل الغاية بالجيم وأمدّه الأزل بإظهار الدعوة والكشف.

فقال إسماعيل بن أبي الطيّب، فقال له لبيك.

فقال: قم يا مقداد مقام سلمان في هذا اليوم، وأعلن ما أمر به مولاك ولا تكتمه ولا تستر منه شيئاً، فإنني معك بحيث كنت، وهذا أبو نرّ الكاتب الصادق يصدق قولك ويبيدي إنذارك إلى أهل صفوة الله وأحبائه، قم يا عبيدي، فقام أبو محمد العبدى حتى وضع يده بيد إسماعيل بن أبي الطيب، فقاما بين يدي محمد بن أبي زينب، وقال له: قد أمرت ولك الأمر، ونحن نمضي أمرك، فإن أمر الله حتم وأنت الله الذي لك الأمر والمشينة.

فقال: إذا علوت مأذنة الكوفة وأعلنت فأعلنوا بما أعلن، فلما كان أذان الفجر علا السيّد محمد بن أبي زينب المأذنة وكان ذلك منه كما كان يعلو بمكة جبل أبي قبيس فينادي بأهل مكة إلى توحيد الأزل ويصرّح باسمه ولا يخفيه، وكما علا يوم

غير حدّ وجهه بما جهر به وفيه وأقامه للعيان وأشار بإصبعيه، فلما رقي مأذنة جميع الكوفة فنادى برفيع صوته حتّى بلغ به في شرق الأرض وغربها وسهلها وحسب أرضها وسمائها حتّى أعمّ بصوته جميع خلّاق الله من الملائكة الأعلى وهم ملائكة المقرّبون ومن الثقلين الجن والإنس، ووعى ذلك الحيتان في قعر الأبحر سمعة ونطير في الأوكار والهوام والدّبيب والوحش في الغياض والآكام والآجام فنادى: وعادة كاذن واحدة وكانت الدعوة: معاشر الخلّاق من الملائكة المقرّبين والجن والإنس والجن والهوام والدّبيب وكلّ ذي روح ناطق وحسّ، أنا محمد بن عبد الله رسول الله إليكم أولاً وآخرأً ظاهراً وباطناً أبلغكم رسالة ربكم وأمرهم بكم. لا إن ربكم وخالقكم ظاهر بينكم حال بين أظهركم يمشي في أسواقكم وبحر في فلككم ويجلس في محافلكم يشافهمكم خطاباً ويعيد إلى سؤلكم جواباً لا حدّ يزيده عن مشاهدتكم ولا حيث يكنه عن ملاحظتكم أمرني فقلت، وأرسلني فقلت. لا فقصوده، فهو جعفر بن محمد، هو ربكم الأزل والسابق قبل قدم الأول، وهو عبدك عزّ صاحب وأمل كلّ راغب، ألا وهو عليّ بن أبي طالب، وأمل كلّ راغب، لا وهو عليّ بن أبي طالب، فلما نادى محمد بن أبي زينب بهذا النداء وجهر به، حمر سعد بن أبي الطيب وأبو محمد العبدى يديهما في يدي بعض وجعلا يجران صق رسول الله، حتّى لم يدعأ في الكوفة قبيلة إلاّ وناديا فيها كذلك، وإنّ صريخاً خرج مع صوت محمد ويبلغا حيث بلغ، فضجّت الكوفة وارتجّت وخرج -- جرعير بن مأذنة الجامع يطلبون المنادي، فلم يروا بها أحداً، وإنّ الصّوت جرح سعد بن عليّ خنّه، وكذلك صوتا إسماعيل بن أبي الطيب وأبي محمد العبدى يسمع في قعر الكوفة، فيسمع في هذه القبيلة، فيطلب الصّوت أهلها فلا يجدون فيها أحداً، فيسمع في القبيلة الأخرى، فكان كذلك إلى أن بزغت الشّمس، وإنّ انصوت انتهى في سامع أبي جعفر الدّوانيقي وهو بمأذنة بغداد في حضرته التي كان اتخذها في مدينة وهو في فراشه فارتاع لذلك وجلس وضجّت المدينة بجميع من فيها وخرج تجوّري والخدم من المقاصير يهرعون إليه، وقالوا: قد قامت القيامة؟ فقال: لا عندني بذلك.

فما زال جميع أهل مملكته يدخلون ويقولون: يا سيّدنا ما هذه الداهية؟ فقال: يقع لي أنها من دواهي هذه الحجازي الذي بالكوفة، قد استغوى أهلها وصار يدعى

فيهم إمام الشيعة وهو من قوم هم أصل السحر والكهانة والتمويه والحيلة، فإن كان الأمر قد وقع لي بصحة الحقيقة فإني أرسل إليه أحضره بحضرتي وأسأله عن هذا السحر الذي أظهره في هذه الليلة، فإن أصدقني حبسته بحيث لا ينفعه سحره، وإن هو لم يصدقني قتلته واتبعت بقتله جميع من قد جعله إمامه.

فلما أصبح وجه إليه بالخيال والرجال إلى الكوفة حتى أحضره بحضرته.

فلما دخل عليه قام إليه إلى باب إيوانه وعانقه وقبل بين عينيه ورفع فجلسه في موضعه وجلس من دونه، وقال له: يا ابن العم لم أزل مشتاقاً إليك وإنما أنفذت إليك لشوقي، وقد بلغني أن شيعتك ومواليك قد أرجفوا بي أنني أريد بك حالاً، وأنا أسألك أن تعود إلى الكوفة، وقام قائماً فخلع لما كان عليه من لباس وجعله عليه، وقد كان المولى قال لهم - وقد خرج عن الكوفة وهو بالدساكر - وشيعته ومواليه حوله وقد تداخلهم كل على قدر مرتبته في معرفته، فقال لهم: لا ترتاعوا فإني أمضي وأدخل عليه فيقوم لي ويستقبلني ويجلسني في موضعه من سريره ويعتذر لي ويقول: إنه تشوقني فأرسل إليّ وإنه يخلع عليّ ما عليه من لباس، وفيما يخلع عليّ مبطنة مصممة موردة مبطنة بمصمت أبيض طرازي الظهارة أحمر وطرازي البطانة أسود، فطابت بذلك قلوب الشيعة والموالي.

ثم إنه أمر له بعشر تخوت من أفاخر مصمت خراسان وراختجة ومثلها من دق مصر، وثلاثمائة ألف درهم، وما يحمل ذلك عليه، وظهر يركبه من عدده التي هي له، وأذن له بالخروج من يومه ولم يلبثه فخرج وورد الكوفة في اليوم العاشر من خروجه منها إلى أن عاد إليها، فجاؤوا يهنؤونه.

فقال رجل من كبراء الشيعة، ووجوه أهل الكوفة، يقال له وهب بن سليمان السكوتي: إني قد سمعت من جعفر بن محمد كلاماً يوم ودّعناه إلى الدساكر حصلته عليه، وإني أريد أن أتبين ذلك، فأتى حتى دخل والمجلس حافلاً غاصاً بشيعته ومواليه، فجعل يتخطى الناس حتى جلس إلى جانب مصلاه الذي هو جالس عليه وسلم وهناه بقدمه وبما أنعم الله عليه من السلامة من الطاغية، فردّ عليه وكانت المبطنة عليه وعليها من فوقها ثوب قد غطاها، فجعل وهب بن سليمان يجيل نظره في ثيابه، فعلم ما في نفسه، فدعا بالخادم وقال له: هلم فخذ هذا الثوب عني، فقد

تأذى به وهب بن سليمان، فأتى الخادم وأخذ الثوب من فوق المبطنة عندما نزعه وظهرت المبطنة فتأملها فوجدها بصفة ما ذكر، إلا أن الباطنة ليس يعاين منها ما يعاين من الظهارة، فدعا بالخادم إليه وقال: خذ المبطنة عني وائتني بغيرها، فنزعها، فلما أن أخذها الخادم، قال له وهب بن سليمان: هلمها، فدفعها الخادم إليه، فقبلها بحضرة من في المجلس من الجمع، وجعل يقلب البطانة مرة والظهارة أخرى حتى اكتفى من النظر إليها ودفعها للخادم، وقال له: صدقت يا سيدي، قد وجدت ما وصفته كما ذكرته.

فقال له: وكذلك علمت أنا منك ما أسررته فأبديته أنا لك حتى عاينته.

و كان من محمد بن أبي زينب أقاصيصُ أظهرها وأبداها بأمر مولاه مع عيسى بن موسى الهاشمي، ثم إن مولاه قال له: أجد أنك مغلوب ومقتول كما كان منك في السالف حين قلت: « فدعا ربُّه أنِّي مغلوبٌ فانتصر، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض غيونا فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر » فأظهر محمد بن أبي زينب ما أمره وكان ما قدمه إليه وورد بعد ذلك على أثر قدومه الكوفة أتكتب إليه أن يخرج إلى الحجاز، وكان إسماعيل بن أبي الطيب يدعى بالكوفة بالمقداد وأبو محمد العبدى بأبي الذرّ مذ وقت سماها محمد بن أبي زينب وقال في ذلك الوقت الذي كان منه ما شرحته لك، قد كنت أدعى بابن أبي كبشة وأنا الآن أدعى بابن أبي زينب.

يا محمد، ومن اختصاص الاسم للنجم الثاقب وهو المقداد وإنّ عمار بن ياسر دوى وعنه جاء الخبر أنه قال: دخلت على السيّد الأكبر والاسم الأعظم محمد وإذا عنده المقداد وهو يحدثه وأراه يضحك إليه في حديثه.

فقلت: ما رأيت رسول الله مولاي فهل مثل هذا بأحد، وإنّي لمتعجب من ذلك، حتى قال: أدن يا مقداد، فدنا منه، فمدّ يده فكشف عن رأس المقداد، وكانت له وفرة تنزل على كتفيه، فجعل مولاي محمد يفتح شعره بيده، وأراه كأنه يصفّها على منكبيه، فعجبت لذلك أكثر من عجبى أولاً.

فقال لي: يا عمار، أنا الله وأنا نور السموات والسموات سلمان وأنا نوره، وإني قددت المقداد من نوري.

فأنا أضحك إليه لأنه نوري، والمشيمة بيدي لأنه نوري، وأحادثه لأنه نوري، أنظر إليه وتبينته، فنظرت إليه وتبينته فوجدته في عيان سلمان، فقلت: هذا سلمان وأنت تقول لي إنه المقداد.

فقال: يا عمار من سلمان قددته ولا خير فيما لا يشبه ما قد منه، إن سلمان يظهر بالمقداد عند إرادته كما أظهر أنا به عند إرادتي، نعم وإن أردت أن أظهر لمن قسمته من المقداد عند رضائه به إن قسمت منه ظهرت، ألا وإني أبدي إرادتي إلى المقداد كما يبديء الأزل إرادته إلى سلمان وأظهر له كما يظهر له وأحادثه كما يحادثه، وأسر إليه كما يسر إليه كل ذلك بإرادة الأزل فيه واختصاصه له، ولولا اختصاصه لما استخصه كل ذلك يا عمار مادة مورودة وقدرة موجودة مني فيه، أعرفه ولا تذهب عنه.

فقال عمار: ما رأيت المقداد بعد ذلك اليوم إلا بصورة سلمان التي أوجدنيها مولاي، ما حال عن عيان، ولا تغير في كيان شهادته عنده فأوجدني به حالة بعده.

ثم قال لي: يا محمد بن جندب إن سلمان ما غاب عن إعادة ما شرحته لك من قصة عمار ولا غيرها وإن قلت لك إن الناطق منه خارج إليك هل كنت قائلاً ذلك من محمد بن نصير أنه هو الناطق لك بالشرح، وإنه نطق سلمان؟

فقلت: يا سيدي قد عرفتك من حيث عرفتني إياك، ووجدتك من حيث أوجدتني ذاتك، فلا تردني إلى الشك فيما أنعمت.

فقال: لا يا محمد بن جندب، ثبت لك الاختصاص فتق من مولك ببيانك فيما استخصك به وزد من حمده وشكره. ثم قال لي: يا محمد بن جندب، وقد أوضحت لك منزلة الاسم من الأزل، ومنزلة الباب منه بعده. وكذا ثبت لك منزلة الباب من الاسم، ومنزلة النجم الثاقب وهو المقداد منه. وأن كل محل أكمله الأزل للباب مثله أكمل الاسم للمقداد الذي قد من الباب، وأنه قد أتى في الأحياء بمراد الاسم وأظهره على جميع مكونات الأحياء وعوالمها من حيث هو اسم للمكان وأوجده إذ لم يجدها بعد تكوين الاسم وبعد إيجاد إياه في غيره، وإنه أوجده إياها عن إرادة

مكوته واستخصاصه إياه بوجودها وأن جميع مكونات المكون لم يجد شيئاً من وجوده ولا حل في شيء مما حل فيه فعلاً محله بذلك، ثم إن الأزل أبدى إرادة الاسم له واختصاصه بأن أوجده المعنوية وظهر له بذات الاسم حتى عرفه حق معرفته، وأنحله رتبة العلو والسمو من محل الأزلية، فأمدّه بإيجاد ذاته يمر في الكون فهو في الكون كله يمر بالأحياء والأكوان ويوجد ذاته لها بوجود التجوهر وإبداء الدعوة التي دعا إليها وعرف الظهور الذي أظهر له، وعيان ما عاين فسمت إليه جميع المكونات فطلبت حيثه فأبداه الاسم بإظهار النطق، فنطق على لسان سلمان وهو الباب الموجود بهذا الاسم في ظهورات البشرية، فلم يزل بدوام ذلك مائة ألف كور لا يجاوز به الرتبة عن هذا المحل والحيث والنحلة.

ثم بدا له الباب بمراد الاسم فاختره هل يتناهى ما أنحله الاسم، عدلاً عن البابية فوجده عند ظهوره له بأكمل طاعة، وأسرع إنقياد، وأوفر إقراراً، إنه محل شرفه، ومعدن نوره، وقسيم ذاته، فلما أوجده الباب بهذه المنزلة عظمه ورفع درجته وأبداه بحيث بدا وأحلّه بحيث أحلّ وسيّره معه حيث سار فكان بحيث حيث كان يجده كزّ مكون مع الثبب إذا وجدوا الباب لا يعدمونه وصارت مادة المنزلة فيه جارية وإرنته منه بادية، وهو يا محمد بن جندب النجم الذي يظهر بظهور الشمس ويرى في الأفق مقابل عين الشمس، فأراد الأزل أن يعلم الاسم حقيقة علمه بالنجم، وأنه علم منه ما لم يعلموه حين اختبر الاسم بالتوقف في الحيث حتى كوّن من أجل غيبته وهي غايته، وإن ذلك عند تناهي غاية كون المكون فأوقفه الاسم بإرادة الأزل ومادة علمه به منه إليه، حتى حيث الأحياء وكون الأكوان التي شرحتها لك، فلما كونها الاسم بإرادة الأزل وظهر فيها لأكوان ما كوّن بإرادة الأزل، ثم أزاله الأزل عن وجود الظهور بذاته، وظهر هو بما كان الاسم ظاهراً به، في جميع الحيث والكون والعوالم التي كونت، فأوجد الأزل ظهوره باسمه الذي كونهم وظهر فيهم أمد ما أمدّه من موارده، ثم أزال الأزل عنهم وجود ما أوجدهم وأمدّ الاسم بمادة الظهور في تلك الأحياء والأكوان، فظهر الباب بذاته التي كوّن بها من حيث لم يجدها حيث ولا كون قبل ذلك الظهور فأبهرهم بظهوره لما عاينوه ما لم يجدوه قبل ذلك ولا عرفوا تكوينه، فرتبه فيهم مرتبته في الحيث الأول والكون الأول وأمدّهم بوجود ذاته فوجدوه حقيقة، ثم أزاله الاسم وظهر به فيهم لاختبار لهم هل يفرقون بين ظهوره

وظهور بابه، إذ أوجدهم ظهوره بظهور بابه بحال واحدة في الوجود، فثبتوا على الوجود الأول أنه هو المبدئي لكل كون، وأنه لما أبدى ما أراد وإن كان المراد الذي أظهر من مكونات تكوينه، فلما صح لهم بالاختبار ثبت الحقيقة عندهم أبدى الباب بذاته التي أوجدها في الظهورين في محل واحد وحيث واحد، فثبتوا على وجودهم ما أوجدوا أولاً وآخرًا أنه واحد في الإرادة وأنه يبدي ما يريد عند إرادته لأنه مالك القدرة القادرة على القدر المقدورة المقنطرة، فلما ثبت ذلك لهم عند الأزل، وأثبت الاسم عند الباب في مدى ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور، أمداً الاسم بالدنوت من النجم وإظهاره له علّة التوقيف في الحيث الذي وقف فيه، وإنها من حيث وهم غيبه الذي أوجده سره من تناهي حيث كون المكون، فدنا منه وأبدى إليه فأحلّه وأحلّه المحل الذي كسسته التسمية بالألف عند تكوين ذات الحروف ووقوع الأسماء عليها، فلما تناهى في أمداً ذلك وأتمه أمداً الاسم الباب أن يبدي له الذهاب في تلك الأحيات والأكوان، فمرّ فيها فحارت عند وجودها وعيانها ورجع وعلا وله الاستقالة من علم ما علمه الاسم من وهم غيب سره أمده المدة التي أمدها فيها، ثم سيره حتى أوجده جميع مكونات أكوانها وكيان أحيائها وأبدى له النطق فنطق فيها على نطق الباب حين نطق الاسم، فأوجد المكون الذي هو مكون تلك المكونات جميع أكوانه ومكوناته محلّه ومنزلته وحيث رتبته من مكونه كما أوجد ذلك منه والحيث الأول والكون الأول، وحين ظهر له الباب ليختبره باختصاص الاسم له وعظم منزلته منه وعظم محلّه عنده وما قد أحلّه وأحلّه زال عن تعظيم البانية فوجده له عند ظهوره أمداً تعظيماً وأسرع إنقياداً وأكمل إقبالا، فرتبه منه المنزلة التي أبتيتها من حونه معه حيث حل وظهوره حيث ظهر، وأبان الأزل ما أبداه مما كان ذات إيانه بالنطق فقال: «والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى».

وكان هذا من الأزل إشارة وإعظاماً للإسم والباب، إن النجم الذي ذهب في جميع الأحيات والأكوان ما ضلّ كما ظننتم به ولا غوى في كون شيء من مكونات المكون، وإن علمي به فوق علمكم، فكان علم الأزل به العلم الحقيقي، وأراد بصاحبكم أنه ثالث اثنين في التكوين والظهور، ولم يكن في وقت هذا الخطاب مكون غير الاسم والباب والنجم صاحب الباب والاسم وقد أبانه باسمه الذي أثبت له في

شرح كتاب انجواهر حين أبان عن الإسم والباب والنجم فقال: «إنَّ السَّمْعَ والسَّمْعَ هو الاسم والبصر، فالْبَصَرُ هو الباب والفؤاد، فالْفؤاد هو المقداد وهو النجم»، فأبانه باسمه الموجود في كتابه فقال: «ما كذب الفؤاد ما رأى» أراد أنه ما شكَّ في جميع ما عاينه من الأحياء والأكوان، فكانت هذه المنزلة من الأزل ما زاد بها عند الاسم والباب، فاصطفاه واستخصه فبدت إرادة الإسم فيه للباب أنه أشدَّ اصطفاءً له واستخصاصاً، فسلمَّ ذلك إلى إرادة مكوته، فلم يكن يبدي الإسم إلى الباب بداءة أمر وإرادة كونٍ إلّا وأمر الإسم للباب أن يبديه إليه كما أبداه هو إليه، ثمَّ يبديه الإسم إليه بعد إبداء الباب ذلك له فكانت المادّة ثابتةً من الإسم والباب وكذلك كان إذا أمَدَّ الأزل إلى الاسم بمادّة أمره أن يمدَّ الباب بها، ثمَّ يبديها الأزل للباب، فكانت المادّة إليه من الأزل والاسم وكذلك من الاسم والباب للمقداد إيجاد المنزلة العالية، فكان على تداوم ذلك في الأحياء والأكوان سبعة آلاف ألف كورٍ من أكوار الأحياء والأكيان المكوّنة بعد الحيث والكون الأول لا يوجد في جميع ذاتها بذات مكوّنٍ ولا ظهور كيانٍ غير الإسم والباب والنجم.

فالاسم ظهوره فيها بالمهل المقمر المبرر والباب بالشمس والمستخص المختبر بالنجم، لا يوجد في حيثٍ ما ولا كونٍ ما غير ظهوره هذه الثلاث، وهي بكونها في كون واحدٍ وفي جميع الأكوان والأحياء موجودةً بذلك الكون لأنها لا تزول من حيثٍ إلى حيثٍ ولا من كونٍ إلى كونٍ بل هي عامّةٌ شاملةٌ محبوكَةٌ محدقةٌ بالأحياء والأكوان لا يدرك وصف تكوين كون ظهورها ولا حيثٍ تنتهي حدّ وجودها ما دامت فيه بدوام إدامة القدرة فيها، ثمَّ أمَدَّ الأزل الإسم ببثّ الكون الأول في جميع الأحياء فأبدى لها الاسم بمادّة الأزل في الأحياء وأحلّها بالأكوان والعوالم الخورانية وجمع الحيث بالأحياء فأدّمها أديماً واحداً ودكّها دكّاً واحداً ومدّها مدّاً واحداً، فصارت من حيثٍ كانت تأتي المادّة إليها بإعادة المطاف والسير في الحيث والكون ثنائيةً وإيجاد ما أوجدت للكون وإظهار ما أظهرت، فأبدت المطاف والسير نائيةً حتّى سيزت ما أطافت وسارت أولاً توجد ما أوجدت وتظهر ما أظهرت به وكوّنته. فكانت كذلك وعلى ذلك في المطاف والسير خمسين ألف كورٍ، ثمَّ عاودت إلى موقفيها من الحيث فوقفت فيه مثل الوقوف الأول وهو خمسون ألف كورٍ، فلمّا أكمل لها ذلك من الأجل أنت المادّة من حيثها إلى الثمانية وعشرين

بالمعاودة إلى المطاف والسير، فأبدته الثمانية والعشرون إليها فطافت وسارت في الكون والحيث حتى كمل لها في ذلك ثمانية وعشرون مطافاً وثمانية وعشرون موقفاً، كل مكافٍ خمسون ألف كور، وكل وقفة خمسون ألف كور، فتم ذلك ألفي ألف كور، وثمان مائة ألف كور بحسب ما طافت الثمانية وعشرون ووقفت في عدد أشخاص ترتبها في السبق.

فلما أن كمل ذلك لها من إرادة المكون وعمرت الحيث والكون بالمطاف والسير والإيجاد لذاتها وتجوهرها حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين، وأبدى الثمانية وعشرين بذاتها في الوجود والتجوهر فبدت في الحيث والكون وأوجدت كمال الصفا والاصطفاء والاختصاص الذي خصت به وأكمل لها فوجدت من تكوين ظهور الثمانية وعشرين ما هو أكمل ضياء وأعظم تجوهرها واختصاصاً وصفاءً من المحل المخلص الذي طاف بها ألفي ألف كور، وثمان مائة ألف كور، فكان ذلك من الثمانية وعشرين خمسين ألف كور، فلما أتم ذلك حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين وأبدى ظهور الاثني عشر بذاتها في كونها وتجوهرها ووجود ذات صفائها واصطفائها واختصاصها فبدت بذلك وأظهرت من ضياء نورها وعلو سناها وتناهي كمالها ما ذهبت بإيجاد ما أوجدت الثمانية وعشرون، فصارت هذه أسنى وأعلى وأرفع منها في الحيث عند الكون، فكان ذلك من إبداء وجودها وظهورها ففي الحيث والكون خمسين ألف كور، ثم حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين وأبدى الظهور الثلاثة بذاتها في الكون، والتجوهر، والضياء، والنور، والاصطفاء، والصفاء، والاختصاص، فطافت الثلاثة في الحيث والكون. توجد ذات محنها في السناء والنور والرفعة في محل الاصطفاء والاختصاص والصفاء، فأبدت وأوجدت في ظهورها ما أحضت به عندها ما تقدم من قبلها فأعظم الكون محل الثلاثة في منزلة الاصطفاء والصفاء.

فكانت على ذلك خمسين ألف كور، ثم حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين وأبدى ظهور النجمين العظيمين في كمال ذاتهما في الضياء والنور والتجوهر والاصطفاء والصفاء والاختصاص، فأبدت في الحيث والكون من عظم المنزلة الرفيعة والرتبة المنيعة التي لا يسمو إليها سام ممن تقدم ظهوره ووجوده في الكون والحيث، فتناهت بذلك في المنزلة عند الكون وحلت منها في تناهي محل التعظيم،

فكانت بذلك الإيجاد والظهور في الحيث والكون خمسين ألف كور، ثم حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين، فأبدى ظهور الباب بذات كونه وتناهي تجوهره وضياء نوره على جميع الأنوار المتقدمة في ظهورها وإيجادها لذاتها، فصار يوجد ذلك بإظهاره في محل الكل ومعدنه وبهائه، فذهب في الحيث والكون في السير والمطاف مدى ما يريده من ذاته ويعيد ما يخفيه من وجوده، فكان كذلك خمسين ألف كور، ثم حجبها المكون بإرادة ذاته في التكوين وبدائه في ظهوره، فأوجد فيه ومنه قدرة كون المكونات كلها واقتداره عليها، وذهب في حد تكوينها سرعة السير حتى أوقفها عن إدراكه ووجوده فأثبتت المكونات التي في الحيث عند إيجادها ما أوجد أنه مكون كل كائن كون من قبل وجود ظهوره وأنه به تكون الكون عند إرادته للتكوين، فثبت لها ذلك من رتبة الإجابة والقبول، فلما رتب لها ذلك من مراد المكون احتجب عن وجوده بذلك الظهور الذي ظهر به، وبدأت إرادة الأزل لظهور ذات القديم في الحيث والكون وإيجاد القدرة المقتدرة، فظهرت إرادة الأزل بالمحل الذي أحله القديم وهو المهل المقمر المبدى. فظهر وذهب بظهوره وجود كل بدو ظهور ظهر واشتمل بقدرة الوجود على كون كل موجود وجد، فثبت للكون الذي في الحيث حد التسليم به عية كل عية بدت لها بظهور وجود، وأن ذلك الوجود والنور والضياء وتجوهر محل نوره وضياءه وتجوهره، فثبت لها بذلك حد التسليم والاختصاص والقبول أن استخصتها المكون بإرادة الأزل فيها، فأنحلها تلك المنزلة في التسمية عند تجوهرها إذ أحلها التجوهر، فلما أكمل لها وفيها ذلك خمسين ألف كور، حجب ذات وجوده بالإسم وأبداه به وأبدى الباب بذاته وأبدى النجمين بكونهما وذاتهما وأبدى الثلاثة بذاتها في التجوهر والكون. وكذلك الإثني عشر بذاتها في كونها وتجوهرها وضياءها ونورها وكذلك الثمانية وعشرون بذاتها في التجوهر والكون والنور والضياء، فأكمل ظهور هذه الموجودات بالرتب والدرج والمنازل وأكملها في الحيث وأبداه للكون بإبداء ظهور المحل المخلص بذاته في كونه وتجوهره والمنزلة التي أنحلها وصفاه واستخصه واصطفاه بها فظهر في الحيث للكون وأبدى ذاته للكون وأوجدتها أنه تابع غير متبوع وأن اقتدائه بالثمانية وعشرين. كما أوجدت الثمانية وعشرون أنها مقتدية متبعة الإثني عشر، فطافت الأشخاص بالسير في الدرج والمراتب والمنازل التي رتبت فيه كل يتبع سببه في الصفاء والاختصاص، فكان لها ذلك المطاف في الاجتماع بظهور القديم المكون في ذات إرادته في وجود الكون

خاصية الذات وإيجاد رتب الاصطفاء والصفاء والاختصاص بعود الظهور بعد الظهور، فكانت جميع الموجودات تابعة للباب الذي هو الشمس في مسيره ومطافه ودرجه وترتيبه الذي رتبته المكون القديم، ولم يكن في جميع من يدانيه ويقرب منه أو يحل محله بل يحل هو بحيثها ومراتبها ودرجها، فجاوز قدر الإدراك بعلو الرتبة فيه، وكان هو في السير تداوم الحيث والاجتهاد في الحيث والكون ليدرك محل القديم الذي هو مكون جميع المكونات، فلا يجاوز في اجتهاده وحنه وسرعته أكمله من حيث هو به وفيه مسيره، فبين الكون بمنزلة القديم إدراك ذلك المتبوع لدى موجودات جمع اتبعه له ولأيده به ومقتبسه منه تابع لما لا يدركه ولا يدانيه ولا يقاربه ولا يحل حيث حله، فلما أكمل لها ذلك كله في أمد خمسين ألف كور حجب الموجودات كلها عن وجود ذاتها في الحيث والكون وأثبت في الحيث والكون وجود المحل المخلص الذي كان بدو مبتدأها في وجودها، وهو أنارها وأبدى تجوهره بذات الاختصاص والاصطفاء والصفاء، فدنّت من المحل الذي قد بدا بوجود الاصطفاء والاختصاص، فأقامت في موقف الدنوّ منها خمسين ألف كور، فلم يجد عندها تراجعاً عن حيث يثبت عليه من وجودها الذي أوجدها المكون القديم في ظهوره في جميع ذات الظهور والوجود.

فلما اختبرت المخلصة للمحل بذلك من الأمد رتبها في محلها ومنزنتها بحيثها من الحيث والكون، فأبدت الصفاء إرادة المريد فيها وكونه الذي كونه في استخصه وقبلته وأسرعت إليه بغير معاودة من المخلصة، فتجوهرت عند قبونها بالتجوهر الذي المخلصة متجوهره به، وأنحلتها عند ذلك لتكون لاسم الذي ستحقته وهو رتبة المستخص، فصار المحل بجمعه في التسمية المختصين، كما صاروا تبعاً للمخلصين، فذهب بها التجوهر عند وقوع الاسم في محل نسب وهو اسم الذي أنحله القديم للباب، فصار اسمه ومحلّه محل هو فيه وحل معه فيه هن مراتبه ودرجه التي رتبها ودرجها في الاصطفاء والاختصاص والصفاء، فوفقت في ذلك المحل خمسين ألف كور، ثم أبدت إرادة تكون بمراد فيهم إلى انبأ أن يبدي فيها الإرادة بالمادة من سبب إلى سبب، بحسب ما جرت رتب في الذي صفا واصطفى، واستخص فامتدت المواد من سبب إلى سبب حتى نمت بها المخلصين، فأبدوا بذلك إلى المختص وكان ذلك إبداء المطاف ونسير في نحيث والكون الذي كان محلها

قبل الاصطفاء والاختصاص، فذهبت فيه بإذن المراد منها فيما أمرت به فصارت في الحيث وطافت خمسين ألف كورٍ حتّى عادت إلى حيث كان بدو مطافها وسيرها، فوقفت به بإذنه المرتبة المخلصة إذ ليس يجد معها في المحل ما يعظمه غيرها، فوقفت مقابلة لها خمسين ألف كورٍ.

ثم إن المعاودة بدت للمريد المكون إلى سببه وأمدّه حبه إلى الأسباب سبباً بعد سبب في مراجعة السير والمطاف في الحيث والكون، فأبدت ذلك وعادت حيث السير والمطاف خمسين ألف كورٍ حتّى عاودت حيث كان بدوها في المطاف والسير، وهي في كل ذلك في مطافها في الحيث والكون تهدي تجوهر اختصاصها وصفانها وضيانها ومحلّها الذي حلت بوجود الإجابة والقبول والمسارة، فلما عاودت إلى حيث كان بدو السير والمطاف وقفت مقابلة المرتبة المخلصة تعظمها في محل وجودها خمسين ألف كورٍ، وتداوم بها السير والمطاف والوقوف كل مطاف وسير خمسون ألف كورٍ وكل موقف خمسون ألف كورٍ فكان أمد ذلك ثلاثة آلاف ألف كور وخمسمائة ألف كور مطافاً وسيراً وثلاثة آلاف ألف كور وخمسمائة ألف كور ووقوفاً، فصارت الجميع لها في المطاف والوقوف سبعة آلاف ألف كور لما أن صارت هي اترتبة السابعة من الوجود والكون والظهور والتجوهر، وذلك أن أولها رتبة كون ذات المكون، وهو القديم، ثم كونه الذي كونه، وهو كون الباب، ثم كون الأيتام. ثم كون النقباء، ثم كون النجباء، ثم كون المختصين، ثم كون المخلصين.

و ذلك أنه ما وقع في الأكوار والنورانية التي تقدّم شرحها في التسمية إلا عليها، وذلك أن أول وجود الاسم وبدوه حتّى وقعت ببذود ووجوده التسمية على كل مكون، ثم سمّي الباب غير وجود التسمية وجرت التسمية في رتب الاصطفاء والاختصاص في هذه المنزلة السابعة، التي هي محل المختصين، وعليهم وقع هذا الاسم، وهذه كانت تناهي ما صفا من الكون النوراني.

الامتحان

ثم بدت رتبة الامتحان، وهي أول رتب التعظيم في التكاوين النورانية حتى رتب من رتب منها في النورانية بسرعة الإجابة بعد وقفات امتحان وكرراً، ووقف من وقف عن الإجابة فاستحق لإبداءه في نشأة أخرى.

و أنا يا محمد بن جندب أبدي لك من شرح ذلك وعظمه وشدة اختباريه وتداوم المحنة به في أكوار نورانية، وبعدها في أكوار جوهريّة ما يصغر جميع ما شرحته لك من الأكوار النورانية عندك، فإن المعاناة الآن وقعت عند خلاص الصفوة واختصاص الخيرة، وذلك أن الكون الذي بقي بالحيث الذي صفا منه أهل هذه المراتب والدرج والتسمية والتجوهر كان جميعه برتبة الامتحان على رتب شتى ومنازل متدانية ومتباعدة، كما كانت رتب من صفا من الكون المختار، كل فعلت به الرتبة إلى حيث أوجدها فيه المكون في بدو التكوين، لم تسبق منها واحدة الأخرى، ولم يجاوز حد توقيته وأجلها من التعب والنصب في السير والمطاف، ووجود التجوهر بعض لبعض بحسب ما استوجبت من تكوين المكون.

فإذا كانت يا محمد بن جندب هذه وهي في رتبة بدو ذاتها وكونها صفوة مختارة مصطفىة مستحصّة غاية ما شرحته لك، وداومت ما أبديته إليك في تطاول الأكوار النورانية، وتداومت ما أبديته إليك في تطاول الأكوار الجوهريّة، وتداومت ما أبديته إليك في تطاول الأكوار السيرية، وترتبت به فهي على حالها إلى أن تبدو زيادة نمكون في يكون ثان إذ كانت فيها، فكيف تكون منزلة أهل رتبة الامتحان في سرية التي هي به مكتونة له، مقدرة مع ما أنه يا محمد بن جندب قد عبت رتبة المستحصين في مطافها وسيرها وظهورها وإيجادها لذاتها وكونها وتجوهرها في حيث كون الامتحان ما يعظم وصفه عليك إذا وصفته وشرحه إن شرحته. وتعد أن كل ما ألزمه برتبة الكون في التكوين، وما من أحد دعا أحد في وجود هذه الحقيقة إلا ومن ثم كان ترتيب ذلك فيه، فهو معجل ومؤجل إلى حين وقوع توقيت للمبدي والمبدا إليه، لا بد لكل منقاد إلى وجود هذه الحقيقة إلا ومن ثم كان ترتيب ذلك فيه، فهو معجل

ومؤجل، إلى حين وقوع التوقيت للمبدي والمبدا إليه، لا بد لكل منقاد إلى هذا الوجود من قائد يقوده، وهاد يهديه، وذلك القائد والهادي قد رتب في بدو التكوين.

وكذلك جرت الرتبة من المرتب في بدو التكوين في الأكوار النورانية، وعليها أجرى وجود أهل مراتب النورانية في الأكوار النورانية، وعليها أجرى وجود أهل مراتب النورانية، ويوجد مراتب ما بعدهم من رتب الممتحنين، وما تجري عليهم به قدرة المكون في إرادة التصفية، وما يمتحنهم به بإبداء الظهورات والوجود حتى يتأهل بهم أن يصفو منهم شخص واحد في كل مائة ألف كور، وذلك يرد إلى عودة تصفية ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة، يكون في كل رد مائة ألف كور حتى يحل بعد ذلك المحل وجود التجوهر بغير مطاف في الحيث والمحل والسير، بل تكون مرتبة المبتدا فيه بالعيان والوجود، إلى أن يبدي القديم إرادة الأزل بالظهور وإبداء الممازجة بكون الغضب الذي أخفاه في هذا المدد والأمد عن الوجود والحسن والحين والظهور، فإذا أبدى فيه وأظهره وأوجده بدا له حزبه الذي كان في بدو كونه في إرادة البدا وانحازت إليها، فكانت لذلك في الحيث والكون واقفة لا يدانيها شيء من الظهورات النورانية ولا يلزم بها لأنها كانت غير مشاكلة لها ولا مجانسة. وذلك أنه ما ظهر لها شخص الغضب إلا في درجة الامتحان، فإن المكون أبداه لحزبه وأوجده لبقية الكون في الحيث.

فنظرت بقية الكون الذي صفا عامة كونه، واصطفى واستخص إلى انقياد حرف الغضب إليه عند ظهوره واتباعها لمحلّه الذي قد أحله في الحيث، وذلك أن حزبه لما بدا بوجوده الذي وجدوه في بدو كون مبدي إرادته إيجاده مع الرحمة عرفوه ولم يشيروا إليه، ولم يثبتوا للكون الذي هم به مجانسته ومشاكلته، وجوهرته، وكان حزبه جمّاً غفيراً وكوناً عظيماً، وكذلك وصفهم بالكثرة في الذمّ وحمد القلة، فوصفهم به فأبدت بقية الكون الذي رتب برتبة الامتحان ملاحظة الحزب وما أعظمته من ظهور الغضب في الحيث ووجوده، فأعقبها ذلك الأبد الذي أبداه من الملاحظة أن منحها بالممازجة وأعمّها بدوام الكرّ في إرادة المكون للقدرة، وكان ذلك تقدمة التكوين كائناً بعلم المكون بذات الترتيب، فخلصا ما صفا من الكون ممّن اصطفى واختص من السبعة التي سميتها لك أنها تجوهرت بقبول بدو ذاتها في كون مكوناتها، فالمراتب السبع بلا ممازجة غير النورانية التي هي ذاتها وكونها وهي به

في كل حين وأوانٍ وحين ضيورٍ وكشفٍ وإن بدت بكون البشرية والوجود بذات الجسمية، فإن ذلك إيجاد الكون الذي هو بالبشرية والجسمية.

كون البشرية والجسمية

فوجده من ذاته ذلك الوجود، فيجد حال ما هو به مكوّن في جميع معاينة تكوين ما يجد، وقد أبداه به وإليه يعيده وفيه يرده، فقد ثبت عنده أن الأكوان والوجود غير البشرية والجسمية.

ثم قال لي: يا محمد بن جندب، فلما أبدى ذات الغضب في الحيث والكون وانحاز إليه حزبه أفرده عن بقية الكون بذاته وحزبه قبل الممازجة ليبدى ظهور المستخصّ في الحيث والكون الممتحنين بالإيجاد والظهور والتجهر لإقامة الحجة وإثبات العدل كما أبدى ظهور المخلصين للمستخصّين، فكان له وقفة وهي التي تسمى عند هذا العالم الفترة.

فيقولون: إن بين كل مقام إلى مقام فترة، ثم يجدونها فيقولون: هي أربعمئة سنة، فكانت الوقفة أربعمئة ألف كور من تلك الأكوار أوقف فيها المستخصّين بعد أمد السّير والمطاف والوقوف الأوّل الذي أمدها به من إرادة التقدير بموجب الأسب. فرتّب المستخصّون في ذلك الموقف أربعمئة ألف كور لا تبدي إلى نسب شيء هي متبعة له حال سؤال ولا تألم للوقوف، ولا تسأله منه وهي مع ذلك معظمة تمخّصين إذ كانت المنزلة المخلصة هي سببها في وجوده بجوهره، وهي حثّ ذلك محلّ وأنحلتها تلك النحلة بإرادة المريد المكوّن لها.

فلما أكمل لها الوقوف والكون أندي هو بحث الامتحان منفرد بذاته في حيث لا هو مداوم للغضب وحزبه، ولا هو مرتقب لظهور موجودات ما كن يضيرها في نحوها إلى حيث تنأى بها المطاف والسّير عليها وبها من وجود تلك ترتّب شيء صيرت بالاصطفاء والاختصاص والصقاء، ولم يكن منها شيء في بدء ما أبدى به غير الملاحظة للحزب حين انحازت إلى الغضب ووقفت هي في حيث، فكان حثّ على ثلاثة أصناف من الكون:

➤ فوجده محلّ المستخصّين ووقوفهم فيه لا يدانيه شيء من الكون.

➤ و الثانية محلّ رتبة الامتحان ووقوفها على هفوة الفترة.

➤ و الثالثة محلّ الغضب وحزبه.

فاسمهمه الجميع بذلك بعد أن رتبها في الحيث هذا الترتيب، وبعد وقوف المستخصّين أربعمائة ألف كور، ثم أمدّت الإرادة من الأزل إلى اسمه إبداء مراده، فأوجده ذلك، فعلمه فأبداه الاسم وأمدّه إلى الباب، وأمره أن يأمر كل سبب أن يمدّ تابعه بما قد أمدّه به حتّى تناهى إلى المستخصّين، فأبدت الإرادة على الترتيب السابق حتّى تناهت إلى المخلصين فأوجدت إن الإرادة منها وفيها حالة وإنها تبعث في السّير والمطاف في الحيث، ما سادت أولاً وطافت على الكون، ولم تكن أوجدت محلّ الغضب وحزبه في الحيث، فوقفت بعلم ذلك المراد الذي علمته من المرید لا تبدي السّير ولا المطاف حتّى يوقع لها الإذن، فكانت كذلك مائة ألف كور، فأبدت المخلصة للمختصة الإذن بالسّير والمطاف، فسارت في الحيث على الكون الذي هو برتبة الامتحان خمسين ألف كور.

فلما تناهى بها المطاف والسّير في الحيث إلى نهاية الكون الذي هو برتبة كون الامتحان، بدا لها محلّ الغضب وحزبه في الحيث، فأنكرت ما عاينت من ذاته ووجدته مكوثاً بغير كون ما أطافت به وسارت فيه، فوقفت عن المطاف به والسّير عليه خمسين ألف كور قبالة الذي هو برتبة الامتحان لا يجاوزه ولا يخرج عنه ولا يمرّ في الحيث إلى غيره عند تناكرها معاينة ذلك الموجود الذي أوجدته ولم تعهده قبل ذلك في الحيث، فلما أتمّ بها الوقوف خمسين ألف كور عاودت في السّير راجعة إلى أن حلّت المحلّ الذي بدت منه بالسّير والمطاف، فصارت بإزاء حيث التكوين، فوقفت بموضعها الذي منه سارت وجعلت تلوذ بالمختصّين وتبدي إليها ما عاينته في الحيث من ظهور الكون الذي تتاكرته، فلا تعرف المخلصة المختصة بشيء من اعتراف ما وجدت ولا ظهرت على وجوده ولا عاينت حيثه ولا كونه، فوقفت المختصة في ذلك الموقف خمسين ألف كور، ثم بدت تلك الإرادة على ذلك الترتيب، فأبدت المخلصة إلى المختصة بمعاودة السّير والمطاف، فسارت في الحيث وطافت في الكون الذي طافت به خمسين ألف كور حتّى انتهت إلى ذلك المحلّ الذي بدا لها

فيه محلّ حيث الغضب وحزبه، فوقفت وجعلت تحصل وجود ما طافت به وسارت فيه من الحيث والكون الذي قد حلّه، فلم تجد فيه ما زاد ضياؤه ولا ظهر نوره في المطاف الأول والسير والعود عليه في الرجوع والمطاف الثاني والسير، ووجدته بحاله فأنكرت ذلك من حال رتبة محلّ فراجعت المطاف والسير راجعة إلى الحيث الذي كان محلّ وقوفها فيه في بدو السير.

التجوم السّيّارة

و من ثمّ يا محمد بن جندب ترى النجوم السّيّارة الجائلة في محلّ العلوي تمرّ مشرقة وتعود مغربة، وتمرّ مغربة وتعود مشرقة، من حيث طافت وسارت المختصة على الممتحنة في ذهابها ورجوعها مشرقة ومغربة، فوقفت في ذلك المحلّ بحال الوقوف الأول والثاني خمسين ألف كور، وتداوم ذلك بها مائة مطاف ومائة رجوع، وكان مدى المطاف خمسة آلاف ألف كور، ومثل ذلك مبدا الرجوع، ومثله وقوفها في المحلّ الذي كان بدو المطاف والسير منه، وكلّ ذلك لا تجد المختصة في الكون الذي تسير فيه وتطوف به صفاء يراد بل هي بكونها في حيثها، فأكلها السير والمطاف بذلك الكون على الترتيب في المادّة إلى المخلصة.

فسارت وطافت في الكون الذي هو رتبة الامتحان في حيث خمسين ألف كور مثلما أمدّ مطاف المختصة إلى أن تنهت به السير ونقصت إلى حيث أنّي هو محلّ الغضب وحزبه، فعاينت المختصة ما أبدته المختصة من أوصاف ذلك الكون والحيث الذي هو محلّ الغضب وحزبه، فوقفت المخلصة عن السير فيه بحيث وقفت المختصة خمسين ألف كور، ثمّ إنّها راجعت السير والمطاف بالرجوع على الكون الذي سارت فيه، وطافت به، فرجعت إلى حيثها في مدى خمسين ألف كور، وهي في سيرها ومطافها في الكون الذي هو برتبة الامتحان تبدي ذاتها ومحلّ ضيائها، فصفا نورها وتجوهرها على ما تقدّم له السير فيها والمطاف بها، فلما وقفت بالمحلّ الذي كان بدو سيرها منه وقفت فيه خمسين ألف كور، ثمّ عاودت بالسير والمطاف ثانية، فطافت وسارت في الحيث على الكون يبدي ما أبدته أولاً خمسين ألف كور حتّى تنهت بها المطاف إلى ذلك المحلّ الذي وقفت به أولاً عند

معينة محل الغضب وحزبه والحيث الذي هي حالة فيه، فوقفت بحيث وقوفها خمسين ألف كور، ثم عاودت في المطاف راجعة إلى حيث كان بدو وقوفها فيه ومنه، وسارت فوقفت فيه خمسين ألف كور وتداوم بها ذلك السير والمطاف والوقوف خمسين مطافا وخمسين وقوفا في آخر الكون والحيث الذي فيه محل رتبة الامتحان وخمسين وقوفا في محل الوقوف الأول الذي هو بدو سيرها، فكان المطاف للمخلصة ألفي ألف كور وخمسمائة ألف كور، والوقوف في آخر الحيث والكون ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور. وقدمها في وقوفها حيث محلها للوقوف الذي هي مرتبة به حتى تبدو بها مادة إرادة المريد في الإذن في السير والمطاف ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور.

وكن جميع ذلك من أمد اجتهاد المخلصين في مداومة أبد الاصطفاء واختصاص والصفاء، والتجوهر للممتحنة سبعة آلاف ألف كور وخمسمائة ألف كور، وكانت بكونها الذي هي فيه من أول مطاف طيف بها وسير سير بها لم يزد عليه ولا بدت بضياء نور في ذلك كله، فلما أكمل لها ذلك من مطاف المخلصين أوقفها المريد لكون ذاتها فوقفت المخلصة بحيث محلها من المحل العلوي وأبدت الإرادة من مراد الكون إلى الباب، فأبدى المادة إلى السبب الذي هو ماد بسببه إلى الأسباب أن يوجد كل سبب تابعه، حتى تناهى إلى رتبة النجباء.

رتبة النجباء

و هم الثمانية وعشرون، فبدا الموجود يجري على تنزيل التتريب في الكون حتى تناهت إلى رتبة النجباء فأمدت وبدت بوجود السير والطاف بالحيث والكون، فوقفت الثمانية وعشرون مرتبة الإذن بالسير خمسين ألف كور، فلما أتم لها ذلك المدى أذن لها، فكانت الإذن من الإثني عشر التي هي رتبة النجباء.

رتبة النقباء

فسارت في الحيث على الكون خمسين ألف كور بوجود ذات الاصطفاء والاختصاص والصفاء، والتجهر إلى أن تنهى بها المطاف والسير إلى حيث كان موقف المختصة والمخلصة عند وجود حيث الغضب وحزبه وكونه، فعينت النجباء ذلك الكون والحيث، فوقفت عن السير فيه والمطاف به خمسين ألف كور، ثم عاودت الرجوع في السير والمطاف في الحيث والكون إلى أن أعادتها تلك إلى حيث محل وقوفها في محل العلوي ومنه كان مبدأ سيرها، فوقفت بحيتها ذلك خمسين ألف كور، ثم عاودتها مادة الإرادة بالسير والمطاف ثانية، فسارت وطافت في الحيث والكون بوجود ذلك الوجود وبظهور ذلك الظهور خمسين ألف كور، حتى تنهى بها السير والمطاف إلى ذلك المحل، فوقفت فيه خمسين ألف كور، وعادت الرجوع إلى حيث محلها الذي هي مرتبة به ومنه كان مبدأ سيرها ومطافها، فوقفت خمسين ألف كور وتداوم بها ذلك من السير والمطاف والوقوف في المحلين خمس مطافات.

وكان مدى تلك من مطافها ووقوفها في المحلين سبعمائة ألف كور، وخمسين ألف كور، في كل ذلك لا يزيد ضياء نور رتبة الممتحنة على بدو وجود كونها في الحيث في التكوين، فوقفت الثمانية وعشرون وهي رتبة النجباء بحيتها من المحل الذي هي مرتبة به وكائنة فيه، وبدأت الإرادة من المرید إلى المكون بمادة إرادته، فأمدتها القديم إلى الباب وأوجده إبدائها إلى السبب الذي هو مادة المراد منه، وإبداء كل سبب إلى تابعه، فكانت المادة مرادها بالإرادة إلى الاثنى عشر الذين هم النقباء، فثبتت المادة فيها أنها ترد للسير والمطاف بالحيث والكون الذي طاف بها المخلصة والمختصة والممتحنة، فوقفت في محلها بعد إيجادها ما أوجدت خمسين ألف كور ترتقب الإذن فلما أكمل لها أذن لها بالسير، وكان الإذن لها من الثلاثة. فسارت وطافت في الحيث والكون على ترتيب النجباء ومطافهم ووقوفهم في حيث متناهي الكون عند ظهور حيث محل الغضب وحزبه، والمراجعة منه إلى محل حيتها والوقوف فيه، فكان ذلك بمدى ما جرى عليه سير النجباء بالسير والنصب والوقوف، فكان مبلغ ذلك سبعمائة ألف كور وخمسين ألف كور، يوجت حسب

الاصطفاء والاختصاص والصفاء والتجهر والضيء والنور والرفعة في سمو المنزل، فكانت في جميع ذلك بحال واحدة لا يزيد ضياؤها ولا نورها ولا يحول عن كيان تكوينها، فلما أكمل ذلك فيها من الإرادة وقفت إرادة المريد المكون بالمادة إلى بابه بإبداء المراد في الكون إلى السبب الذي هو مادة إرادته، فأمد الباب إلى النجمين، فأبدى النجمين بمادة الإرادة إلى الثلاثة، فثبتت المادة فيها أنها ترد للسير والمطاف في الحيز والكون، فوقفت في محلها بعد إيجادها ما أوجدت خمسين ألف كور، ترتقب الإذن، فلما أكمل لها ذلك أذن لها بالسير، وكان الإذن من النجمين، فسارت وطافت في الحيز والكون حتى تناهى بها المطاف إلى حيث الوقوف الذي وقفت فيه سائر الظهورات بالسير والمطاف، فلما تناهى بهم المطاف إلى ذلك المحل ووجدوا حيث كون الغضب وحزبه وكونه وقفت فيه خمسين ألف كور.

ثم عاودت الرجوع في الحيز على الكون تبدي ما أبدت بمسيرها من محل الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضيء والنور والتجهر، إلى أن عاد بها الرجوع إلى حيثها الذي بدت فيه سير ومطاف، فوقفت فيه خمسين ألف كور، ثم تداوم بها سير والمطاف والوقوف في الحيزين من المحل أربع مطافات وأربع وقفات، في كل محل، فكان مدى الأمد بسير الثلاثة بالحيز والكون والوقوف ستمائة ألف كور، فلما تناهى بها مراد المريد إلى حيث وقوفها أوقفها فيه وبدت إرادة المريد المكون بالمادة إلى بابه، فأبدع المراد في الكون إلى السبب الذي هو مادة إرادته، فأمد الباب إلى النجم الأول وهو اليتيم الأكبر لليتيم الأصغر وهو النجم الثاني، فظهرا بظهور واحد وذلك لاقترابهما عند التكوين وقفا بحيثهما خمسين ألف كور، يرتقبان إذن الباب لهما بالسير، فلما أمده القديم بإرادة الإذن أذن لهما فسارا في الحيز والكون وطافا به وفيه حتى تناهى بهما المطاف إلى حيث الوقوف الذي وقف به سائر الظهورات بالسير والمطاف، فلما تناهى لهما المطاف إلى ذلك المحل ووجدا حيث كون الغضب وحزبه وكونه وقفا فيه خمسين ألف كور.

ثم عادا بالرجوع في الحيز على الكون يبديان ما أبديا في مسيرهما من محل الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضيء والنور والتجهر إلى أن عاد بهما الرجوع إلى حيثهما الذي بديا منه للسير والمطاف، فوقفا فيه خمسين ألف كور، ثم تداوم بهما السير والمطاف والوقوف في الحيزين من المحل ثلاثة مطافات وثلاث

وقفات في كل محل مدى. فكان مدى التمام في السير في حيث وتكون والوقوف أربعمائة ألف كور، وخمسين ألف كور، فلما هي بين كور إلى حيث وقوفهما الذي وقفاً فيه وبدت إرادة القديم تكون - إرادة الأزل إلى الباب بمادة وجود ظهوره في حيث والكون.

فظهر بذاته وهي جوهرة الشمس المنيرة ووقف بحيث من المحل خمسين ألف كور ثم أذن له القديم بالسير والمطاف في حيث والكون، فسار وطاف خمسين ألف كور، إلى أن تنهى به المطاف والسير إلى المحل الذي فيه وجود ذات الغضب وكونه وحزبه. فوجد وثبته وعرفه، فأمد القديم بوجود علمه أن المحنة واقعة بمن في حيث من الكون، وأنه غاية الاصطفاء والاختصاص والصفاء وأعرض عنه. وأقبل على الكون الذي برتبة الامتحان، فجعل يدي لها ذات الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر، فلم يبد منها باد بقبول ذلك ولا إجابة، فعاد الرجوع إلى حيث ووقف في محله خمسين ألف كور.

ثم عاود السير والمطاف ثانية يدي ذلك ويظهره ويدعو إليه إلى حيث وقوفه الأول من حيث والكون، ثم أعاد بالرجوع إلى حيث، فكان له في المطاف والسير مطافان، وفي كل محل ووقوف وقفان، فكان مدى أمد ذلك ثلاثمائة ألف كور، فلما تنهى به ذلك المدا أوقف في محله بذات إرادة القديم المكون بإبداء الظهور والسير والمطاف في حيث والكون، فبدأ بذات بابه التي ظهر بها في حيث والكون، فسار فيه وطاف خمسين ألف كور، وعاد فيه مثل ذلك، يوجد في ذلك الكون المرتب برتبة الامتحان ذاته بوجود الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر.

فلم يبد بدوام ذلك من جميع الكون لدى حيث باد بقبول ما أبدى فيه وظهر له ودعا إليه، فكان ذلك من القديم ذهاباً وسيراً ومطافاً وعوداً بلا موقف. فكان بين الأمد مائة ألف كور، ثم إن القديم بدت فيه وله إرادة الأزل بإيجاد الظهور. فظهر بوجود الأزل بذات القديم التي هي محله وكونه، فأوجد الظهور بالمهز المبدر المقمر، وظهر بظهوره جميع مكونات قدرة المكون، فأبدى في حيث وتكون وجود الكل برتبة الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر. حتى أثار حيث والكون وأضاء وأتقد وأعمه بكمال وجود أشخاص المراتب والخرج.

فكان ذلك من إرادة الأزل في إبداء ذلك وكونه في الحيث والكون خمسين ألف كورٍ فلَمَّا أتمَّ ذلك الأمد حجب جميع تلك الظهورات الموجودات باحتجابه، وأخلى الحيث والكون من وجود شيءٍ منها، فإذا هي على حال كونها بذاتها لم ينر منها نيرٌ ولم يحيث فيها محيٌثٌ.

فأمَّدها القديم بحال التوقيف في الحيث والامتحان، وأعدمها وجود ما أوجدها وظهور ما أظهره فيها وأوقفها بإزاء ذلك الكون الذي أبدت الملاحظة له في وقت ظهوره كون الغضب فيهم وتحزبهم إليه، فكان حيث الغضب محلّه وكونه وحزبه ينادي لهم يجدونه بالعيان، لم يقع لهم وجود معرفة اختباره واختبار كونه، ولم يقع وجود معرفة ذلك إليهم إلا عند الامتزاز، فلَمَّا وقعت الممازجة عرف كل ذات ذاته، فظهر الندم ودامت الحسرة، وهو قولهم في ذلك الوقت عند انكشاف المزاج لهم ما قاله مخبراً عنهم: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»، وذلك أَنَّ الغضب وحزبه ليس يكون منه اعتراف بهذه الآية بكون ذاته، لا يدخل في تفريطٍ وإنما يدخل في التفريط من تأخر، فلَمَّا دخل إليه وصار إليه بعد تفريطه والغضب وحزبه، فما يدخل إلى هذا ولا يصير إليه، وإنما هذه القول هو من قول رتبة الامتحان عند وجود المزاج وكشف ما مازجته من غير شكلها، فتقول: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله. من إبداء ظهوره وظهوراته في قدمه في حيث النور والكون النوراني، فيقع بها الاعتراف بما سلف عند هذا القول، وكذلك كان وقع برتبة الامتحان هذا القول عند الاعتراف بصفاء ما ظهر لها في تكرار الظهور في السير والمطاف.

فأدامها القديم في كونها بحيثها بحال اعدامها ما كان أوجدها من ذاته وذات اختصاصه ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ لا يطوف بها طائفٌ ولا يسير فيها سائرٌ ولا يضيء له نورٌ بجوهرٍ ولا يعاين إلا حيث الغضب وكونه ومحلّه.

فلَمَّا أتمَّ لها ذلك الأمد والمدا أبدى الإرادة من الأزل إلى الكون بإبداء مراده إعادة ما كان أبداه أولاً بإطافة المراتب في الكون والحيث لإعادة إيجاد الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر حالاً بحالٍ كما كان أبدى ذلك بالمطاف والسير الأول.

فأبدى القديم إلى الباب وأكد عليه بالمادة أن يؤكد مثل ما أكد القديم إليه وإلى سببه الذي منه تبدو مادته، فظهر الباب في جميع المراتب بحيثها بذاته وألقى هو التأكيد إليها بالاجتهاد بإمضاء المراد الي أبداه المكوّن، فلاذت جميع المراتب به وسمعت الأمر منه ثم اتبعت اليتيمين، فظهرت في المراتب كلها كظهور الباب وأعادت تأكيد الباب بالإرادة المقدّمة من إرادة القديم وإلزام الاجتهاد، ثم ظهرت الثلاثة، فأوجدت ذلك الإثني عشر والثمانية وعشرين دون المخلصين والمختصين، وأكدت على المرتبتين بإلزام التأكيد إلى المراتب التي يمدّها بالسّير.

ثم أظهرت الاتباع للثمانية وعشرين النجباء والمخلصين دون مرتبة المختصين، فأبدت إليها التأكيد فيما أمرت به والاجتهاد وظهرت الثمانية وعشرون النجباء والمخلصين والمختصين، فأبدت إليها التأكيد فيما أمرت به من إرادة القديم في الكون والاجتهاد، ثم أبدت المخلصة للمختصة مثل ذلك بالتأكيد، فلما رأت سائر المراتب انبعاث القديم وشدة إلزام الاجتهاد، همت أن تبعث أنفسها كلها لوقت واحد ليكون ذلك من فعلها رضا القديم وامثال أمره وقبول طاعته، واحتسبها عن ذلك وأعدّها لها ما قدّمته من المراد لرضاه فردّها في الضياء والنور والصفاء واختصاص الاصطفاء والنور والتجوهر سبعين ضعفا ممّا كانت به وعليه واستوجبت هذه الزيادة بالاجتهاد بقبول أمر المريد والتزام الجهاد للكون الذي هو برتبة المحنة حتى يصفو ويتخلص، فكانت مفضلة بذلك كما أوجد في النطق، فقال: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى».

فكان تفضيل الجهاد الذي جاهدت بالمطاف الأول والسّير الأول الذي سارت في الكون والحيث مكتسبة تلك المنزلة من الزيادة وعاد ما أراد أن يكون محله وكونه في الكون الممتحن إليها، وصارت هي حتى أحقّ المداومة للقبول والطاعة والأجابة، فلما أكمل فيها ولها تلك الزيادة وهي سبعون ضعفاً ممّا كانت به وجوداً تشعشع في المحل الذي هي فيه ووجود ذلك يا محمد بن جندب أنك تجد في حين من الأحيان إذا أنت أحببت النظر إلى السماء عند هدوء الليل ترى ضياء نور والتماعاً وتشعشعاً وسراجاً وتوقداً لم تكن عهدتها بمثله حتى تظنّ بذلك أنه قد تزايد فيها نجومٌ غيرها كثيرة، فتعجب لذلك وتستحسنه وتطيل الفكر فيه، ثم يـ... عليك حيناً وحيناً لا تجدها بذلك الوصف، وذلك إذا ظهرت في ذلك حيناً...

نَتِي أَنَحْلَهَا الْقَدِيم فِي بَدُو اجْتِهَادَهَا بِالْجَهَاد لَذَات رَتَبَةِ الْامْتِحَان بِالتَّخْلَص وَالْاصْطِفَاء وَالْاِخْتِصَاص.

فَإِذَا ظَهَرَتْ بِذَلِكَ الزَّائِدَ الَّذِي أَنَحَلَتْ كَانَتْ بِوصف ما وصفت لك منها، فَلَمَّا بَدَأَ ذَلِكَ التَّشَعُّشُ فِي الْحَيْثُ فِي الْكُونِ بَعْدَ تَدَاوُمِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ ذُعِرَتْ لَهُ وَارْتَاعَتْ لِضِيَائِهِ، وَلَمْ تَجِدْ أَيْنَ مَحَلَّهُ، وَمِنْ أَيْنَ كَوْنِهِ، فَجَعَلَتْ تَلْتَمِسُهُ بِوَهْمِ الْعَقْلِ الَّذِي وَجَدَتْهُ بِهِ، فَأَبْدَى ذَلِكَ التَّشَعُّشُ فِي الْحَيْثُ وَالْمَحَلِّ بِحَالِهِ بَادِيًا لِلْكُونِ لَا يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ وَلَا يَحُولُ عَنْ كَيَانِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ وَهِيَ مَدَاوِمَةُ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْفِكْرِ فِيهِ، وَالطَّلَبِ لَوْجُودِهِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهَا ذَلِكَ أَعَادَ التَّشَعُّشُ وَالضِّيَاءُ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُ إِلَى مَحَلِّ رَتَبَتِهِ حَتَّى كَسَبَتْهُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ وَالذَّرَجَةُ وَبَلِبَسَهُ إِعْدَامُ ذَلِكَ الْكُونِ الْمَوْجُودِ الَّذِي أَوْجَدَهُ، فَطَالَ مِنْهَا الْفِكْرُ فِي بَدُوهِ بِغَيْرِ وَجُودٍ وَأَعْدَمَهَا إِيَّاهُ بِغَيْرِ وَجُودٍ الْعَدَمِ، فَكَانَتْ بِذَلِكَ مِنَ الْحَالِ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ، ثُمَّ بَدَتْ إِرَادَةُ الْقَدِيمِ إِلَى الْبَابِ بِإِمْضَاءٍ مَا أَكَّدَهُ، فَأَمَدَّتْ الْمَوَادَّ إِلَى الْأَسْبَابِ بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى انْتَهَتْ الْمَادَّةُ إِلَى الْمُخْتَصَّةِ، فَأَبْدَتْ ذَاتَهَا وَوَقَفَتْ لِلْإِذْنِ، فَكَانَ وَقُوفُهَا فِي حَيْثُ لِلْإِذْنِ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ، ثُمَّ أُنْزِلَ لَهَا بِالْمَطَافِ وَالسَّيْرِ فِي الْحَيْثُ وَالْكُونِ، فَطَافَتْ وَسَارَتْ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ حَتَّى تَنَاهَى بِهَا الْمَطَافُ إِلَى الْمَوْقِفِ الَّذِي وَقَفَتْ عِنْدَ مَعَايِنَةِ حَيْثُ الْغَضَبِ وَكَوْنِهِ وَحَزْبِهِ.

فَلَمَّا بَدَأَ لَهَا ذَلِكَ الْمَحَلَّ سَارَعَتْ الرَّجُوعَ وَلَمْ تَقِفْ، فَكَانَ بِرَجُوعِهَا مَدَاوِمَةُ الْجَهَادِ بِالْاجْتِهَادِ وَالْإِيجَادِ لَذَاتِ الْاصْطِفَاءِ وَالْاِخْتِصَاصِ وَالضِّيَاءِ وَالنُّورِ وَالنَّجْوَى، فَلَا حِظَّ الرَّتَبَةِ الْمَمْتَحِنَةِ لِلْمُخْتَصَّةِ بِسُرْعَةِ رَجُوعِهَا بِغَيْرِ وَقُوفٍ وَقَفَتْ بِالْحَيْثُ الَّذِي وَقَفَتْ فِيهِ بِالْمَطَافِ الْأَوَّلِ، وَالسَّيْرِ الْأَوَّلِ، فَعَجِبَتْ لِتِلْكَ السَّرْعَةِ بِالرَّجُوعِ، فَمَدَّ إِلَيْهَا وَجُودًا فَهُوَ فِي الضِّيَاءِ الَّذِي كَوْنَهَا بِهِ مَكُونٌ أَنْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا أَشْرَاكُهَا لِلْحَيْثُ الَّذِي فِيهِ الْغَضَبُ وَكَوْنُهُ وَحَزْبُهُ، فَزَادَ فِي ضِيَائِهَا بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِثْلَ انْحِرَافِ الضِّيَاءِ مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ، فَارْتَبَ ذَلِكَ الضِّيَاءُ فِيهَا وَعَادَتْ الْمُخْتَصَّةُ إِلَى حَيْثُ كَانَ مَحَلَّ وَقُوفِهَا فِي بَدُو السَّيْرِ وَالْمَطَافِ، فَوَقَفَتْ فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ.

ثُمَّ عَاوَدَتْهَا الْمَادَّةُ بِالْمَرَاجَعَةِ لِلسَّيْرِ وَالْمَطَافِ، فَارْجَعَتْ ذَلِكَ بِالْإِرَادَةِ مِنْهَا لَهُ لِلْإِذْنِ لَهَا فِيهِ، فَكَانَتْ عَلَى ذَلِكَ سَبْعَ مَطَافَاتٍ كُلِّ مَطَافٍ خَمْسُونَ أَلْفَ كَوْرٍ، وَسَبْعَ مَرَاجِعَاتٍ، كُلِّ مَرَاجَعَةٍ خَمْسُونَ أَلْفَ كَوْرٍ وَخَمْسُونَ وَقْفَةً، فِي مَحَلِّ وَقُوفِهَا الْأَوَّلِ،

كلّ وقفة خمسون ألف كور، وفي كلّ ذلك تسارع الرجوع إذا وصلت إلى حيث محلّ الغضب وكونه، وحزبه.

فلم تجد المستخصّة من تأديب الله وهذا أقلّ رتب المزاج وما فوقه في الشرح من المزاج أعظم وأكبر، وأجلّ في رتب شتى يكون في البشر، فإذا كان خلص لمن شرحت لك ذلك المقدار في تداوم ذلك الكرّ من العالم النوراني، فكيف يخلص للبشريّ ضياء نور من ترادف الظلم والعتم والقتم والسدم هلك من لم يتنبّه لما شرحته لك من كتاب الأكوار.

فلما بدا لها ذلك الضياء من إيجاد القديم عاودها بالكرّ والمطاف في رتب أهل الدرج والمراتب، فأكرّها وأكرّ فيها وسيراه وأطافها على ترتيب هذا العدد والأكوار في أهل كلّ رتبة ودرجة سبعين كراً يوجد فيها في كلّ استكمال كراً عند وجود ظهور مثل الذي أوجده أولاً حتّى أكمل لها سبعين ضياء من ذلك الضياء الذي مقداره مثل انخفاف الضوء من سمّ الخياط، وكان ذلك في محلّ الوجود كدارة الظفر، فكانت بذلك المقدار من الضياء والنور ناظرة لكون القدرة في الحيث والكون، وهو يا محمد بن جندب البؤبؤ الذي في وسط الحديقة، به يعاين الخلائق الملكوت من السماء وما حلّها من مراتبها وبه يحلّ إلينا جميع ما يقع عليه ومعانيّهم عليه تعويل المذاهب والتّداني والتّباعد والحذر والإقدام والقبض والبسط والتّحصيل والتّفصيل والجمع والتّفرقة في جميع الأكوان الكائنات.

لا يعرف أحد شيئاً ولا يحصله إلاّ به، وهو في كونه ملتبس بسواد يحويه ويعمه وهو المزاج الظلميّ بحاله وبذهاب البؤبؤ وبعده يقع بها عدم كلّ موجود ومعين، فأوجد ذلك القديم في البشريّة وجعله دليلاً يستدلّ به أهل الوجود إذا وجدوا شرح ذلك وكشفه، وأمّا من لم يكشف له ذلك ولا وقف على شرح كتاب الأكوار فلا يعرف شيئاً منه ولا يعقله ولا يعمله.

و كثير يا محمد بن جندب ممّن يشرح له هذا الشرح، فلا يدري معانيه، ولا يعرف ذات الإرادة به، فلما رتب لها ذلك وأوجده فيها، وكان ذلك ثبات عدم الغضب وكونه وحزبه في جميع الكرّ، فلما تناهت السبعون وكمل فيها ذلك الظفر من الضياء وأبداه القديم للرتبة التي أبداها بمراده أن يكون ذاتها في ظهور البشر بؤبؤ العين،

أبدى الغضب بحيثه الذي كان فيه، وكونه وحزبه، وأظهره وأوجده وأبدى كون الامتحان بحال ما أوجد فيها من ذلك الضياء، وحجب ذاته وأكوان رتبة من الكون النوراني، فلما بدت رتبة الامتحان وأبدى لها الحيث وفيه الغضب وحزبه وكونه أبدت الملاحظة نحوه بخفي المراد من المعاينة.

فذهب بذلك الضياء عنها حتى لم يوجد فيها منه شيء وصارت بحاله قبل الإطافة بها والستير والجهد لها والاجتهاد فيها، فكانوا كما أبان بالقول: «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» فأوقفها في ذلك الموقف على تلك الحال لا يعاين غير حيث الغضب وكونه، وحزبه مائة ألف كور، فلما أكمل لها ذلك بدت الإرادة بإيجاد الظهور والمطاف والستير، فأمدت إلى مبدي إرادته وهو الباب بتجديد ما سلف من ظهوره وظهور أهل مرتبة الكون والحيث، فأبدى ذلك وجرت الرتبة من المبدي المرید المكون بما جرت في مبدأ إرادته بالمطاف، فطافت المختصة أمدها ثم طافت المخلصة أمدها ثم طافت الممتحنة أمدها، ثم طافت النقباء أمدهم، ثم طافت الأيتام أمدهم، وطاف الباب وقرنه بمطاف الأيتام أمدهم، فلما أكمل لها ذلك أمدها بالأكوار برتبة المطاف الأول الذي مضى نوره أبدى ظهور ذاته وبابه على نهج ما أبداه في ذات بدو إرادة المطاف والستير والإيجاد والاجتهاد والجهد، فطاف بالكون الباب بقدم ظهوره وبوجود ذات كون قدرته في كون رتبة الممتحنة، حتى تناهى إلى مدى أجل الترتيب من محل الغضب وكونه وحزبه وحيثه، فلما بدا للحيث ذهب بالغضب وكونه وحزبه حتى اضمحل.

ثم بدا الكون محنة الوجود فأوجدها عدم ما كان موجوداً في الحيث وكانت أبدت إليه ملاحظة العيان، وأبدى ذاته بذات وجود تكوين البدو، فأوجدها كل كون كانت حلته وكل مطاف طافت فيه، وطاف بها فذهلت عند ذلك وحارت، فلاذت ترجد عقد الاستغفار، فأوجدها في وقتها ما أعدمها وزادها من الضياء مثله، فتضاعف لها النور، فصارت ضعفين وجعلها عند وجود الظهور بالبشرية وأنشأ لها البؤبؤين الذين في العينين، وجعل الرتبة في التكوين أنه لا يبدي كون من يحل في البشرية إلا بعينين، واعلم أنه يحتج أهل الجهل على أهل الوجود بجهلهم عند هذا البيان والشرح بأن يقولوا: إنا نجد كل مكون من هوام ووحش وطير وغيرهم من البهائم والنعم أنها تولد بذلك الوصف بعينين.

والحجة عليهم باحتجاجهم على أهل الوجود وذلك أن كل هذه الأوصاف بالبشرية بدت وإليها تعود بعد كونها في تلك الموجودات، وأمّا من بدا في البشرية بظهور فرد عين فإن ذلك مذموم ونعته في كتاب الحمد والذم الكبير^١ الذي هو خزنة السرّ الأعظم الذي من وصل إلى معرفته ووجوده أكمل ما يريد من مكتوم سرّ الله وهو من سنح الرجال الذي قال فيه حين أبان فقال: «وإنّ الأعور وإن ربكم ليس بأعور»، فاعقل هذا واطلبه من كتاب الحمد والذم الكبير الذي خزن الله سرّه الأعظم فيه.

فجعل ذلك الضعفين من الضيآء والنور في العينين ثابتة للوجود عند الظهور بالبشرية، فثبت لها ذلك باقٍ لها وفيها غير معدوم ولا مفقود وثبت في الحيث والكون لها، فكانت في الحيث الذي هي به ثابتة في ذلك الضيآء موجودة تجد ذاتها وتعرف ما فصلت به مائة ألف كور لا تجد في حيثها غير كونها ولا بحيث الغضب وكونه وحزبه شيئاً من كيانه، فلما أتم لها ذلك الأمد وتناهى بها المراد من القديم أبدت إرادته الغضب في كونه وحزبه في حيثه الذي كان يحلّه، فلما أبدى فيه وظهر وبان بذاته لكون الامتحان أعرض الكون عنه فرقاً، وفرقة أعرضت بذاتها وفرقة أعرضت بذاتها وعيانها وفرقة أعرضت بعيانها، وفرقة أعرضت بعيانها ووجودها وذاتها، وفرقة أعرضت بمرادها وودّها وذاتها وفرقة أعرضت بعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، وفرقة أعرضت بحسّها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، وفرقة أعرضت بسرّها وحسّها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، فكانت على سبع درج بالتفرّق، وكانت الأخيرة من الفرق أعلى رتبة وأقرب إلى التخليص والصفاء فكوتها في سبع أحياء لم تختلط فرقة بأخرى وهي جمع محدقة في الحيث الذي هي فيه بالحيث الذي يحنه منه محلّ إعراضه، فمن حيث بدا يفرق رتبته الممتحنة بوصف ما شرحته أبدت إرادة القديم بإبداء كل فرقة منها في البشرية بآدم وكون وظهور ووجود، فأدامها سبعة آدم، وهي كون واحد وإنما كساها ذلك التفرّق على الرتب.

فلما أحلّها في الحيث والعلم سبعة أحياء متفرقة بعضها عن بعض أمدها فيه مدى إرادته وهي سبع مائة ألف كور لكل فرقة منها مائة ألف كور، وأثبت لها

^١ لم يصلنا هذا الكتاب ولملّه هو بعينه كتاب السبعين الذي يحتوي على الوصف المحمود والوصف المذموم.

حيز - غضب وكونه وحزبه الذي من أجله نزلت هذه المنزلة وحلت هذا المحل : عظم بها المحنة، فكانت تجده وتحقه كل فرقة برتبة الإعراض الذي أعرضت به عنه. فلما أكمل لها ذلك المدى أبدى إرادة المطاف والظهور والسير والجهد والاجتهاد والإيجاد، فأبدى المراد إلى الباب بتقدمة إرادته إلى الأسباب التي هي مادة الإرادة، فأبدى كل سبب مادته إلى من دونه حتى تناهت المادة إلى المختصة وأذن لها بالمطاف والسير فطافت وسارت فوجدت الكون فرقاً في أحياء متفرقة في حيث بعدما كانت بكون واحد في حيث واحد، فوقفت عن المطاف والسير لأنها طلبت علم الابتداء بأي الفرق يكون بدو مطافها، فأوجدتها قصد أشدها ضياء وأظهرها نوراً وأقربها من تجوهر الجواهر الذي هي به إذ هي بعيدة في الكون عن حلول التجوهر، ثم بمن بعده يدانيه حتى يكون آخر المطاف والسير والجهد لأقلها ضياء نوراً.

وكذلك رتب يا محمد بن جندب في ظهور البشرية وإظهار الدعوة وإبداء النذارة كما رتبها في العالم العلوي النوراني في بدو الكون والتكوين، فقال عند إبانة ذلك: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» من الإجابة لك والقبول منك، فالزم ذلك من وقع عليه الإلزام في النورانية.

فبدت المختصة عند ذلك الأمر والوجود بالمطاف بالفرقة المضبوطة التي أعرضت سيرها وحسها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، فبدت ذات الصفاء والاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجوهر فيها، فكانت إليها سامية ولها واعية ومرّت كذلك في جميع الفرق حتى تناهت إلى الفرقة السابعة، فلم يكن فيها وجوداً هو أوجد من وجود الفرقة الأولى بقبول ما أوجدت به من الرتب المصطفاة وكل فرقة تعلو دون الأخرى إلى تناهي القلة في الفرقة الأخيرة للوجود، فكان مدى مطاف المختصة في تلك الأحياء والفرق سبعمائة ألف كور في كل فرقة مائة ألف كور.

حتى أعادها المطاف إلى حيثها من محل وقوفها في درج الترتيب، فثبت فيه وبدا لها الإنز، فطافت مثل ذلك، وأبدت مثل ما أبدت ثلاثة مطافات في الفرق كل مطاف منها سبعمائة ألف كور، ثم وقفت المختصة عن المطاف والسير والجهد والاجتهاد والإيجاد وبدت الإرادة من المرید بمادة الأسباب إلى المخلصة، وأذن لها

بالمطاف والسير والجهد والاجتهاد والإيجاد، فمرت بالسير والجهد والاجتهاد والإيجاد، فمرت بالسير والمطاف فبدا لها تفرق الكون في الحيث، فوقفت كوقوف المختصة تطلب الإذن في الابتداء بالمطاف بأي الفرق يكون بدوها فأوجدت ما أوجدته المختصة، فبدت بحيث كان بدو المختصة في مطافها وسيرها، فأوجدت وجاهدت واجتهدت وأظهرت محل الصفاء والاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجهر، فسمت نحوها الفرقة التي سمت نحو المختصة وداومت ملاحظتها والاستماع منها وسرت على الفرق، فكانت كل فرقة أدنى من صاحبها في الرتبة حتى أنت على آخر الفرق.

فكان مدى مطافها وسيرها في الفرق والأحيات مدى المختصة وهي ثلاثة مطافات، وكل مطاف سبعمئة ألف كور بلا أمد وقوف إلا مداومة في السير والمطاف، فتم لها بذلك ألف ألف كور ومئة ألف كور، ثم وقفت المخلصة وبدت إرادة المرید بإبداء مراده إلى الأسباب، وأمد كل سبب إلى من دونه حتى تناهت المادة إلى رتبة النجباء فبدا لها الإذن بالمطاف والسير والجهد والاجتهاد والإيجاد بذلك المحل من الصفاء والاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجهر، فبدت للمطاف والسير، فلما بدت ما عاينت المخلصة والمختصة، فوقفت عن السير للإذن لها بالابتداء، فبدا لها ما بدا للمخلصة والمختصة، فسارت وطافت وبدت بما كان بدو المخلصة والمختصة من الفرق، فأوجدت ذلك الوجود ومرت في فرقة بعد فرقة، فلم يكن في الفرق ممن سما وأقبل وصفا إلى الموجود الذي أوجدته النجباء غير الفرقة الأولى وكل علا في رتبته في التعلل إلى آخر الفرق، فلما أكمل لها المطاف والسير كما أكمله للمخلصة والمختصة وهي ثلاث مطافات كل مطاف سبعمئة ألف كور بلا وقوف إلى مداومة السير والمطاف والاجتهاد والإيجاد كمل لها حين أذن لها ألف ألف كور ومئة ألف كور، فلما تم لها ذلك الأمد أوقفها وأبدى المادة إلى مبدي إرادته بإبداء ما أمده به إلى الأسباب فأمد كل سبب إلى من هو دونه حتى تناهت المادة إلى النقباء وأذن لها بالمطاف والسير في الحيث والكون وإبداء الإيجاد والجهد والاجتهاد لمحل الصفاء والاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجهر.

فبدت للسير والمطاف، فعاينت بفرق الكون في الحيث، فوقفت كوقوف من تقدم حتى أذن لها بالابتداء كما أذن لمن سبق ووجدت ذلك فطافت بالفرقة التي طافت بها النجباء والمخلصون والمختصون، فكانت إليها ساميةً وعليها مقبلة، ومنها واعيةً تطلب في كل مطاف يطوف بها ويسير فيها ما هو الموجود الذي أوجده حين أضعف لها النور والضياء، فمرت النقباء على الفرق ممر من تقدم في المطاف والسير والإيجاد والاجتهاد والجهد، توجد محل الصفاء والاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجهر، فكل فرقة كانت دون الأخرى في وجود ذلك حتى أتت على آخر الفرق، فكان ذلك مدى أمد من تقدم من المطاف والسير مثل بمثل ألفي ألف كور ومائة ألف كور، ثم وقفت بحيث محلها.

إراءة الظهور

و بدت إرادة المريد بالإرادة إلى الباب بالظهور بذاته وأيتامه الخمسة فبدا بالأذن وبدت الخمسة بذاتها بظهوره، فلما بدا وبدت للحيث والكون وبدا له تفرق الكون في الحيث أمد بالتبيين فتبين لها القريب من الضياء والنور، فبدا به وطاف بها وطافت الخمسة بمطافه، فأوجد وأوجدت وجود ما سبق إليها فتلهقت على الدنور من المطاف بها والكون بحيثه والقرب من ذاته مقرب بذلك من محل الصفاء، ومرت الباب، ومرت الخمسة بممره بالسير والمطاف في الفرق، فلم يكن فيها من ساوى واحدة للأخرى في الوجود إلا كل وجوده على قدر ترتيبه في الإعراض عن الغضب وكونه وحزبه، فكان مدى مطاف الباب والأيتام سبعمائة ألف كور على ترتيب مريد الإرادة في الكون، وكان ذلك مطافاً واحداً لا غير وهو سبعمائة ألف كور، فلما تناهى ذلك الأمد من الباب والأيتام وبدت إرادة القديم بالظهور في الحيث والمطاف والسير الذي أطاف به سائر ذوي المراتب والدرج، فبدا وجوده وظهوره بذاته بالمهل المبدر المقمر وأظهر بابه بذاته فمرت في الحيث والفرق المطاف بها : به بقدمه في المطاف والسير يُبدي ذات وجوده وقدرته ومحل عظمته وتنهيه : غايته.

فسمت الفرقة التي قد خصتها بالقبول والضيء نحو القبول والإجابة. وبت
تخضوع والإنابة، فلما بدا القديم بظهوره ووجوده بعد إيجاب الباب ما أوجده من
ذاته خرت هفوة لعظمته وذهبت في ذات حيثها ذهاب الريح بمواده فيهم واصطفائه
نهم وتصفيته إياه حتى كانت في حيث من الفرقة التي كانت مدانية لها مائة ألف
كور، فكانت بذلك الذهاب عن الفرق ولبسها بضيء نور الإجابة، فغشيها عن وجود
الفرق لها وذهب في حيث والفرق، فأعظمته الفرقة الثانية تعظيم طاعة، فلما تناهى
الظهور إلى محل حيث الذي أنحله الغضب وكونه وحزبه ذهب به في حيث
وأدحضه إباحض عدم الوجود، وكان مدى الظهور مائة ألف كور وذلك بوجود
الفرقة المستحصنة بالصفاء، فلما أتم الأمد حجب الوجود وأعاد الغضب إلى حيثه
عند احتجاب الوجود، فظهر الغضب وكونه وحزبه في حيث.

وكذلك يا محمد بن جندب نفوا ظهور الضد عند الغيبة وتمكينه وسلطانه
وحزبه وكونه ويضمحل عند وجود الظهور، فلما ظهر الغضب بالحيث وحزبه
وكونه وأوقف الفرق بحيثها في التفرق وأبرز عنها الفرقة المختصة المصطفاة في
الحيث في مدى مائة ألف كور من الفرق التي كانت مقاربتها وحالة معها بحيث
كانت حالة ثابتة أمد لها الوقوف في ذلك مائة ألف كور.

ثم عاودها عند تكامل ذلك بالمطاف والسير بمراتب أهل الدرج، فكان مطاف
كل أهل درجة خمسين ألف كور، حتى طافت بها المختصة والمخلصة والممتحنة
والنقاء والأيتام والباب، ثم أبدى إرادته للظهور، فظهر ببابه الذي أبانه وأوجده
الظهور به، فأطاف ذلك بها وهي على الانفراد والحيث الذي هي فيه لا يلم بها فرقة
من الفرق ولا أطاف بالفرق شيء من أهل المراتب والدرج، ولا كان المطاف إلا
على هذه الفرقة المصطفاة للصفاء، ووقفت باقي الفرق بإزاء حيث الغضب وكونه
وحزبه لا يبدو لها ظهور موجود ولا عيانه، فكان المدد في الأمد خمسة مطافات كل
مطاف مائة ألف كور، يرجع أهل كل رتبة مرتبة في مطافها إلى محل درجتها،
فتقف فيه وتعود الأخرى حتى تتم المطاف والسير، ثم تعود أولاً فاولاً.

فلما أكمل لها المدى والأمد وهو خمسمائة ألف كور أدنى منها المختصة
فوقفت معها بحيثها ومحلها، فأوجد بها ذاتها في الصفاء والتجوهر عياناً ووجوداً.
فذهبت بالمحل العلوي وهو السماء وهو محل الشمس الذي هو محل الباب ونعته.

فلما ذهب بالمحل العلوي تجوهرت بجوهرية المختصة، وصارت بذاتها في المحل
تجد ما تجد، فكمل هذا الصفاء لهذه الفرقة من السبع فرق من كون الممتحنة بعد هذا
المدى والأمد من تطاول الأكوار ومعاودة الظهورات والمطافات والسير والإيجاد
والجهد والاجتهاد من سائر رتب أصحاب الدرج والمراتب وظهور القديم بإرادة
الأزل، وهذه الفرقة لا تداخلها الممازجة ولا يسكنها غشاء الظلمة.

فأنظر يا محمد بن جندب واحص مبلغ ذلك واجمله عدّاً وأيقنه كمالاً، فإذا
كمل لك مبلغ ذلك عدّاً فاعلم أنه يؤول الامتحان بهذه الفرق التي لا تحصى عدّها أن
يصفو منها شخص واحد في كل أمد مثل هذا الأمد الذي صفت به هذه الفرقة هدى
وهم أهل رتبة الامتحان، فكيف يكون حال من رتبته الاعتراف والاقرار إذا دخل
عليه الأعراض بالشبه وتذهب به الأهواء مذهبها ويتبع كل ناعق ويصبو إلى كل
داع ويخوض مع كل خائض ويسلك في كل وعبر ويقتدي بكل ضال ويسمع فيعدل،
ويؤمر فيترك، يضيّع فرصته ويحفظ عرضه.

خبر عالم الإقرار

يا محمد بن جندب دقت بهم المحنة حتى لا يعرفوا أحدها إلا بالإسم، وبعد
إليك من شرح المحنة ما هو أكثر وأجل وأعظم يصغر جميع ما سلف من الشرح
عند بلوغك إليه حتى لا تقوم لك به قائمة ولا تثبت لك به عزيمة، ويظن أن ليس
بعد نهايته نهاية ولو أبدي لك اختيار العالم في بدو كون البشرية، وتناهي حلول
الظهور فيهم ولهم بعقب ذلك لذهب عنك عظم ما أعظمته وهول ما أكبرته ولوجدت
أن يوماً من أيام الأكوان البشرية التي عاناه أهلها أعظم وأهول وأجل وأكبر وأشدّ
وأصعب، لأن هذا أشرح معاناة وحلول أدوات ونزول درجات من نزل منها درجة
أجهل في إصعادها خمسين ألف فوز والفوز ألف فوز من أكوار البشرية.

فكيف يكون حال من يكون على درجة حتى يحطّ عنها إلى محل يحتاج أن
يرقى منه حتى يعود إلى حيثه الذي كان فيه في هذا المدى من الأمد وإن ذلك لكائن
ما هو أخفى من دبيب النملة، وكذا قال إن الكفر بالله أخفى من دبيب النملة السوداء
عنى المسح الأسود في الليلة المظلمة الدماء المعتمّة، وربما كان بكلمة أو توهم أو

شكاً أو شبهة أو بترك فريضة مفترضة فرض فيها، فبذلك يكون أشد امتحان في الرتبة والكر في تكوين أكوان البشرية ومعاناة ذوات الجسمية وترتيب نقلها إذ هي عند الله أشد وأوجب لإلزامه إياها في إبداء ذاتها بالنطق وإيجاد البشرية في ذات وجوده والمحل الذي وصفه بها ونعته بذاتها وأوجده بأوصافها فقال: «إِنَّ أَنْتَ إِنَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا»^١ ثم قالوا: «وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ»^٢ وقالوا: «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» وأوصاف كثيرة وصفوه بها ونسبوه إلى أن لا يفضل عليهم وكل ذلك من أوجد وأوكد حجة في تكامل القدرة في محنة التمازج في بدو ظهور البشرية وكشف ما كان من قبل النورانية، وكرهم فيها بتضاعف ورودهم، وتداول حلولهم بحسب مآزجهم للظلمة التي كونها الغضب ومداومتها فيه إلى حين أوإن الصقاء من الكدر والتخلص من الظلمة والمفارقة للمزاج ومجانسة الكون الأول بالرجوع إليه.

فعند ذلك يصير في درجة الصقاء من المزاج ويؤول من بعد الصقاء إلى درجة الاصطفاء ومنها إلى درجة الضياء، ثم فيها إلى درجة النور، فعند كمال ذلك لها وفيها يصير إلى التجوهر، فإذا تجوهرت صارت في المحل العلوي جائلة مع أشكالها في درج الترتيب الذي رتبها في الوصف فقال: اللّٰحِقُونَ والمُسَبِّحُونَ، والروحانيون والكروبيون والمستمعون، والمقدسون والسّٰنِحُونَ.

فهذه الدرج في درج السبع فرق التي تفرقت في رتبة الامتحان، وكلما صفت منها فرقة نزلت درجة من هذه الدرج وصارت محلّه ووصفت به وحلته حتى تخلص إلى بدو الكون الأول من كيان المكون في بدو التكوين، ويرجع بدو كون الغضب إلى كونه الأول وحزبه لا مآزجة فيها بشيء من مرتبة الامتحان الذين هذه أوصافهم ومراتبهم عند إرادة عودة الموجود والكشف وإيجادهم الكون الأول وإعادتهم إلى بدو البشرية التي هي تنامي مرتبة الامتحان.

^١ جاءت الآية في القرآن في سورة الشعراء آية ١٨٦.

^٢ الآية هنا وردت في القرآن بذكر لوط وأما ربط هذه الآية بالآيات السابقة ينبع من العقيدة العلوية التي تدل بأن الأنبياء كلهم هم شخص واحد تعذت أسماؤه وهو شخص الحجاب.

الفرقة الثانية من فرق الامتحان

قال محمد بن جندب: ثم إن سيدي أبا شعيب محمد بن نصير صلعم عاد إلى شرح الفرقة الثانية من فرق الامتحان فقال: وقد أنحلها من النور في المطاف والسير وإعادة كَر أصحاب المراتب والدرج النورانية مثلما أنحل الفرقة النورانية الأولى التي خلصت وصفت وأضاءت وأنارت وتجوهرت، فلما أنحلها ذلك النور أطاف بها الفرقة الأولى التي كانت معها في محلها من الحيث وتكوينها في التكوين، فمرت عليها الطائفة بها وسائر عليها توجدها ذات كونها الذي قد كونت عند القبول والإجابة، فكانت كذلك في المطاف والسير خمسين ألف كور قبل مطاف المختصين والمخلصين، ثم طاف بها المختصون مثل ذلك، ثم المخلصون، فطاف هذه الثلاث مائة ألف كور وخمسين ألف كور، ثم أبدى إرادة الظهور للباب، فظهر الباب وأظهر بظهوره الثلاث مراتب الأخرى وهي رتبة الأيتام ورتبة النقباء ورتبة النجباء، فكانت هؤلاء الثلاث مراتب ظاهرة بظهور الباب في المطاف والسير والإيجاد والجهد والاجتهاد ووجود ذات الصفاء والاصطفاء والضياء والنور والتجهر، فطاف وطافت المراتب بمطافه خمسين ألف كور، ثم عادت المراتب إلى محلها بعودة الباب إلى محله، ثم بدت إرادة القديم بالظهور، فظهر بذات كونه للظهور وهو المهل المقمر المبدر، وأظهر الباب بظهوره بكونه الذي هو الكون الذي ظهر به في ظهوره الأول مع الأيتام والنقباء والنجباء.

فكان الباب يمر في المطاف والسير على سائر الفرق بوجود ذات القدر من القديم، وكانت الفرق بحيثها في الكون، فكان إيجاده لها أنه هو المكون القديم ويبدى بالإشارة إليه، فكانت في ذلك المطاف والسير بها معرضة عن الوجود، وحيث الغضب وكونه، وحزبه موجود لها عيانه، فإذا تنهاى المطاف والسير للباب والقديم بدت قدرة قادرة مكونة أسحق وذهب في الحيث حتى لا يوجد، فإذا عاينت الفرق ذلك من هلاك الغضب وحزبه وكونه وما ذهب به راجعت الفكر وقالت: إن هذا الذي يجري على هذا الحيث والكون والحزب عند ظهور هذه المراتب العظيمة ليس

يكون إلا من مالك تملك ذلك الكون والحيث، وإنه هو المبدى له في بدو كونه وكـ
يذهب به إذا شاء ويعيده إذا شاء، فيكون ذلك من وجودها في فكرها عند الظهور.

فإذا عادت المرتبة إلى حيث بدت للوجود عاد حيث الغضب وكونه وحزبه-
فثبت في محله وعاد بكيانه فيكون من الفرق وعند ذلك بالفكر للوجود الذي قد أوجد
به لو كان ما ذهب بها وإن لها عند ظهوره هو غايته ما عاد إلى كيانه ولا ضمير
بحيثه، وذلك أنه يحول وقتاً، ثم يعود بكماله، ويثبت فلا يحول، فكان ذلك يا محمد
بن جندب من إرادة المرید في فرقة من الفرق وهي الفرقة السادسة، وقد أنحلها من
النور في سبعين مطافاً وسيراً مثل إرادة الظفر ووقف لها ذلك فما زادت عليه، ثم
طاف بها أهل المراتب والدرج وظهر هو لها وأوجد لها ذاته وأبدى لها هلاك حيث
الغضب وكونه وحزبه بعد السبعين مطافاً وداومها بإيجاد القدر وظهورها ووجود
أهل المراتب والدرج في ألف مطاف كل مطاف منها خمسون ألف كور، وكل لا
يزيد على ضياء ذلك النور، فلما تم لها الألف مطاف الثاني أمد حيث الذي فيه
الغضب وحزبه وكونه، وذهب به في أحياء الست فصار مشارفاً لأحيائها يقف عند
وقوفها ويحل عند حلولها وعظمة وجودها حين أحله أنه يحل من الكون والحيث
يرتب أهل الدرج والمراتب، فلما أنزلها هذه المنزلة ورتبها هذه المرتبة أعكسها
فردّها إلى كون الفرق الأول وسلبها ذلك الضياء والنور ومرّ بها في حيثها حتى
لاشأها ونفى كون الغضب وحزبه في حيثه بحالة لم يوجد فيها ما كان يوجد
أولاً من ذهابه واضمحلاله وتلاشيّه، فلما عدت ذلك الضياء والنور الذي كانت به
تجد موجودات القدر حارت في التماس ما كانت به ففضلت على الفرق الباقية،
فأمدها في تلك الحيرة والارتباك ألف ألف كور لا يطوف بها طائف في حيثها من
أهل المراتب والدرج، ولا يوجد فيهم ظهوره ولا يعاين في الكون النوراني شيء من
منازل أهل الصقاء والاصطفاء.

فردّها بوجود حيث الغضب وحزبه وكونه حتى كانوا في الترتيب بوصف
التقارن والتقارب والعيان والمشاهدة وذهب عنها لذة وجود مراتب النورانية
وظهور القدرة، واشتملت على ملابسة الغضب وحزبه وأقبلت عليه، فلما تم ذلك
الأمم بدت إرادته بإظهار القدرة من حيث إيجادها في القدم، فظهر القديم، ثم نفي
هو بدو كون التكوين وختمه مجمع الفرق وأدناها من محل الغضب بكونه وحزبه-

مسئلة التراث العلوي

في حنّها فيه وإنّه جعل لها محلاً اجتمعت فيه لتقارب تشاكلها وتجانسها وليست
بـ محلّ والمزاج واستولت عليه وهو المزاج الأوّل الذي هو من أشكال المجانسة
والمؤانسة، فكان ذلك من الممازجة بخفيّ الإرادة من إبداء تكوين ذات المكوّن،
فبدت بذلك، ثمّ إنّ أثبتّها عليه ولم يحلّها عن الحال التي قد ألبسها بها وأوجدها ذاتها
وكونها وإنّها من حزب الغضب وكونه شيء هي به مكوّنة الكون وأخرج عنها
وجود ما كان أوجدها إنّها بذاته خارجة عن حلول هذا الحث والغضب والكون
والحزب وإن كانت متفرقة فرقاً تقارب هذا الحث وتدور بها في فرقها فليست كهي
في كون ذاتها.

فكانت يا محمد بن جندب توجد ذلك ذاتها من حيث كان لها سابق كون النور،
فلما سلبها إياه وأغشاها عنه بغشي المزاج الذي قد التبسها والاختلاط بالظلمة التي
قد أبداه لها للدخول فيه جعلت تقارب هذه الأشياء وتدانيها منها وتروم ضياء
وتخلّصاً وترجعاً إلى المحلّ الذي هي مكوّنة به وهي مع ذلك لا تعلم ما قد أوجبها
عليها من الخروج عن إرادة المريد فمكثت تحت هذا الوصف من الخلف والدخول
إلى المزاج الذي هو حزب الغضب وكونه منبذبين كما قال: «لا إلى هؤلاء ولا إلى
هؤلاء» خمسمائة ألف كورٍ قد اشتمل عليها وألبسها ذلك الدخول إلى ما قد قدمت
قبوله عند الاختلاط به فلما تمّ ذلك المدى من الخمسمائة ألف كورٍ بدت إرادة
المريد، كلّ ذلك بالإيجاد لمرادٍ من الحث الذي قد أحله الغضب وكونه وحزبه،
فأبدت القدرة فيه رتبة الفرق الست بحيث قد ترتبت منها فجعلت تحلّ وتبدّر
وتبدي وتعيد هل لها في الحث محلّ يجتمع عليها ويحويها كما أنّ سائر حزب
الغضب وكونه لها فيه محلّ يجتمع عليها ويحويها فلا تجد ذلك ولا توجده وذلك
أنّها لم يحلّ منه محلّ الاختلاط الكلّي الذي عند تمامه يكون، فكان ذلك بمداومة
المريد والمكوّن للمراد في الحث والكون والحزب والفرق الذي قد أهمله وأمه
وأملّى للحزبين في الحالتين بما فيه يبدي حث الغضب وحزبه وكونه وتمكينه للفرق
الست ويبدي الفرق بذات كونها ووجودها ملاومة مدانية مجانسة لا يشكّل شيء
منها على شيء، ولا يجد حدّ مصاداة.

فكان كذلك خمسمائة ألف كورٍ بغير تباعد شيء من الفرق عن كيان كونها
ولا خروج عن حال وجودها، وكذلك كانت في حث الغضب وحزبه وكيانه، لم

يدخل على ذلك حال تغيير ولا يكون كما لم يدخل على هذه إلا أن هذه مع حر كونها أنها خارجة عن كون ذات أبدانها وحال تكوين كون مرادها له في بدو إرادة المريد، فبمشاركة القبول وملازمة الخلاف ومراجعة الظلمة والاختلاط بها تمازجت أشكال كل ضد بضده واستوجب كل فرق أن يحل بحيث ما وقعت عليه تسمية المكان الذي إليه يدعى وبه يكون حتى يختلط الغضب وحزبه وكونه، ثم يصير عليها في نار جهنم، فإذا صار عليها في نار جهنم واختلط بها المزاج على حسب الدرج الذي يجري عليها المزاج في كون بعد كون وبدو بعد بدو وعود بعد عود ورد بعد رد في هذا العالم النوراني هل يكون لها بعد ذلك رجوع إلى صفاتها وخروجها عن ركوب ما التبسها من غشاء ظلم المزاج والكدر الذي قد استولى عليها وخطها في هذا المزاج الأول الذي لم يجر فيه عليها عكر الفتر ولا عتم الظلم والقتم فإن ذلك باق بحاله إلى أن تبدي إرادة المريد الأبدى ذلك وإظهاره مع الإرادة إذا جرت الإرادة بكون بدو المزاج الأول.

وذلك يا محمد بن جندب أن المزاج ثبت في هذه الفرق وتقرّب كونها به في مبتدا إظهار الغضب والرحمة، فحين وقعت المعاينة والوجود بإرادة المريد القديم الذي أظهر وجود ذلك في قدم أمره وجعله محنة واختباراً، أجراه في تكوين الكيان والحدوث وأرسبه يجري مع القدرة الجارية مع الكون، فلما ثبت ذلك في الإرادة وأجراه في تكوين المكونات التي كونها عليه وهي كانت تنتهي الفرقة الممتحنة التي جرت عليها إدالات المطاف والسير يطوف بها كل ذي رتبة ودرجة من أول المراتب إلى آخرها، كل ذلك بإرادة القديم لصفاتها وإزالة المزاج عنها، وقد تلبسها من ذلك ما يطول بها فيه للبدو والكر بحسب ذلك المزاج الذي قد اشتملها وهي بدو كون الأظلة والأشباح في درج الترتيب حتى تثبت الأظلة بأصلها والأشباح بفرعها ومنها تكون أشخاص المخاطبة والتي يقع عليها الاعتراض في تكوين أشخاص المنازل المنيرة ليس يجانس مع ذات أدوات مزاجها في كونها شيء من البشرية لأنها بكون العالم النوراني وإن كانت المحنة والمزاج قد خالطها فإنها بالكون عند تنافي ذات الصقوة. وإن صفا منها في كل خمسمائة ألف كور شخص من فرقة مبلغ عددها مائة ألف شخص، ثم إنه من بعد الصفاء الذي يقع به الشخص يكون عكوس هو أشد من بدو معاناة تلك الصقوة ما دامت تلك المنزل قائمة ثابتة

بذاتها لأنها ليست تخلو ولو خلت لقرب ما بعد من أمد الكون الذي هي مكونة بكيانه وبحيئته، فهي دائمة بدوام ذلك الحيث والكون والحزب الذي نعته بها، وكذلك لفرق التي تلاومت وتداننت من حزب الغضب وكونه وحلت بالحيث الذي هو موضع بدو الغضب، فليس يخلص من تلك الفرق ما مازجها من كون الغضب وحزبه، فهي محتبسة في كل هيكل ضيق وكل جنس ذميم متعس حتى يكون خلاص المزاج وأن يكون ذلك بعد تعب ووصب ونصب ورد كل ما قرب منها ما أن خلاصها وأشرفت على نور ضياء الكون الأول في مبتدأ القديم وتكوين مراده الذي كان خصتها فيه رتبة القبول حالاً بينها وبين ذلك مخالطة المزاج الظلمي الذي ذهبت نحوه وداومت حيئته وقاربت كونه وحلت حيئته حتى صارت ملتبسة مشتملة بكون ذلك الضياء، لا ضياء يحل فيها ولا نور فيضي لها. تذهب في تيه الحيرة وتعود في مهاوي غضب الخلف الذي قصدت له وصمدت نحوه وأنارته على بيان الضياء والنور، حتى استوجبت به نقلها وكرها في كل نعت ونصب من مكونات ذوات الهياكل والأجسام التي نسخت بها في بدو كون المخالفة والعناء وطلب حيث الضد والغضب وميلها إليه وإسراعها نحوه، فهي في ذلك على أمد النهي الذي يبدية المراد ألف ألف كور لا تعين فيه معاودة مطاف ولا سير ولا إيجاد شيء من تلك الرتب والظهور والاجتهاد والجهد في خلاصها من الحيث الذي حلت فيه والكون الذي تفرقت في كون حزبه وهو حيث الغضب وكونه. فصار محل ذلك في امتزاجها به.

ثم تفرع حيث الغضب وكونه وحزبه واتسع في حيئته وأثبت في ظلمه وانفرد عن كيان النور وصار ظلمياً قد أقتم وأعتم على ما أحله وأكن إليه وركن فيه، فليس بمخلص من الحيث والكون والحزب، يجري على كون المزاج كلما زاد عليها ممازجة الحيث والكون والحزب، فهي في تفرقها مجتمعة وفي تجمعها متفرقة، يذهب بها المزاج عند الاختلاط بها في مهاوي ذلك الحيث، فإذا رجع المزاج إلى معدن الكون الذي هو حيئته وكونه وحزبه زال عن الفرق المتفرقة في كرا الامتحان حتى نجد أن المزاج الذي غشي عليها وكونها وحالها عن حيث إرادة المرید بمثلها في حيث كون الغضب وحزبه وكونه، وبذلك الجاري منها إلى ذلك الحيث بكون محدثة المزاج من كون الغضب وحزبه، فالفرق بذات التفرد عند مباينة المزاج

والملازمة له وهي بحد الاختلاط به عند الدخول فيه والاجتماع على حال معين والمقاربة والقرب.

فيكون ذلك في الترتيب على هذا الوصف في مباينة الفرق لما هي موصوفة به وخارجة عنه، ولما أن مزاج الغضب في كونه وحزبه مختلطاً به قد صار في حال وكون وذات تجد كل ذات في الحيز الذي ضده فيه، فقد اجتمع لها وعليها أوصاف كل نعت ووجد بها معنى كل حد من معلومات تلك الأوصاف.

فهذا يا محمد بن جندب معنى من معاني شتى من أوصاف بدو المزاج والاختلاط الذي تكون به ممازجة الظلمة بالنورانية من حيث لم يقع عليه تحصيل، وذلك بأن الظلمة قائمة بذاتها والنورانية ثابتة بحيثها، وإنما هي مراقبة ومرافقة واستطلاع ومشاهدة ووجود عيان الاختبار، فكان ذلك كله من إرادة القديم في قدم كونه للتكوين ليجري العالم فيه على درج المنازل والاختبار يجري عليهم المحن في كون بعد كون وحدوث بعد حدوث وحين بعد حين، وأوان بعد أوان، لأن أمره لا يسبق وحكمه لا يغلب وإرادته لا تبعد، فلما دبر المراد منه على كون إرادته أوقت كلاً في حيث ما استوجبه سبقت الإرادة منه للمريد، فحظي لديه وأُزلف عنده بلا ارتياب من أحب به كون الرد والكر في كرور دائرة وأعصار سائرة، فجرت على كونها في الترتيب لا تقدم ما يقدمه متقدّم، ولا يؤخره عن حيثه متأخر، يبلغ بذلك أمداً وينتهي به مدى، ثم يعيده إلى بدوه حتى يؤول كأن لم يكن، ويغرب علم ذلك عن علم من علمه وفهم من فمه، ويكون في كيانه وكائن كائن من قبل كون. فعلى هذا جرى منه ترتيب إرادته في كونه الذي كونه وإرادته التي أرادها وهي على هذه الحال إلى حيث قال: «وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» وإلى حيث قال: «وإِنْ نَعْتُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا»، فنعمته وإرادته لا يدركان ولا يحصيان ولا يحذّان، يجريان بأمد مراده في خلقه وعباده، يأتي علمه عليهما ولا يأتي على علمه شيء مما خلق.

وإذا أراد أن يزيل ذلك رآه كما ينفر الليل من النهار والضياء من الظلمة حتى يعود كل حال إلى حاله التي كونه بها وينهى عليه، يديم بذلك ديمومة القديم في بدو إرادة الأزل حتى لو أراد أن يعيد نوراً بلا ظلام كالكون الأول لأبداه وأعاده ولكان ذلك في تكوينه كما أبداه عند بدو كونه، ولو أراد أن يكون ظلاماً بلا نور لكان ذلك

ـ كنا بالإرادة والقدرة المقتدرة على تكوين الأشياء عند الاقتدار على كل ذي
جزئة وجملة من مكونات الكيان الخاصي دون مكونات التعارف.

فالكون محل في محل ذات التأييد والبسطة والاقتدار على معلومات إرادته في
تكوين ذاته التي عليها أبدى ذاتها في قديم حدوث الكون النوراني الذي تفرع في
معادن نور الملكوت في بدا بدو التكوين والمواد.

فكل قد حل في محل ذات القدم من الخير الخاصي الذي هو غاية رغبة كل
راغب وأمنية كل طالب فيثبت فيه ويرسب اختبار المختار المنتخب عند دعوة
الإجابة والإجابة، فإن ألم به شيء من السر المظلم الذي محله الغضب والسخط فيه
يحل محل الامتحان والاختبار الذي يدور على قطب معالي السموات والرفعة، فإن هو
قاربه التعب في وصب ضنك الاقتصاص فقد وكل ذلك بمعاناة الجهد والاجتهاد حتى
يخلص عند بلوغ ذلك الأمد والأبد والمحل والحد الذي يتناهى إليه حد المرید، فإذا
أكمل ذلك اسلم الأمر وأورده حد التناهي حتى لا يكون بينه وبين بدو كونه الذي
كون به فرق، ولا خلف، ولا مباينة، ولا مفاصلة، ولا حال عدم وجود ذلك بترتيب
ذلك الحظ الذي قد سما به وطال وعلا في مبتدأ كون ذلك الكيان.

فجرت بمكونات ذات القدم في بدو حكم القدر التي جرت على تدبير الكون
في قدم البدو والحدوث، فإن تم ذلك للمرید مع كون المراد صادف ساعة السعود
فسعد فيها أهل القبول والإجابة فقالوا بذلك السعد زلفة الرضا وحبوة الإجابة وقرب
عليهم ما قد كان يتبع وتقاربت أفعال كون الخير من محل إرادته حتى يكون بها
مسارعا إلى رضا مريده الذي يريده لقصد رضاه وإن هو هفت عن موافقة السعود
لوقته وفرط في طلب ذلك وقصر عنه خرج بذلك من حد القبول والأجابة وصار
بحد المعاندة وذوي الأضداد والولائج الذين يتخذون من دون الأزل القديم، فعند ذلك
يكون من الخاسرين ويعود مع أهل الندم والحسرة، فهو غارق في مهاوي الحيرة
سارح في مهالك التيه يظن أنه ينجو بمراده إذ هو إرادة ليست له ولا بل هي ثابتة
بحيث أنبتها مكوناتها لوقت إيداء تكوينها في كونه وإظهاره بها عند ظهور تكوين
كبتها، فذلك الحكم والعدل سابق متقدم وثابت بحيثه ويجري عليه حكمه في تدبيره
ـ ربه ـ

وذلك يا محمد بن جندب مثل الفرق التي تفرقت والأحزاب التي تحزبت بالخلف على طاعة المطاع وتركها من حكمته لما ذاع وشاع، فصارت إلى حيث مظلم ومكان معتم وكون مقتم، وحزب مدلهم، فتاهت في ظلم متراكبات وحناس معتمات، فحارت في الذهاب وانحسرت في الانقلاب، فعلقت بحيث الخسارة وأقامت بمكان الندم تطلب الموجود عند العدم والمفقود بعد السدم، قد أكلها الطمع إلى ترجي التعطف وليس إلى ذلك سبيل لأن مخالفة القبول مسئولية مشتملة على جوائح عقد التحصيل والتفضيل، فهي تمور فيه مور السفينة في لجة قد غلب الماء سكانها، تذهب بها الأهواء والحيرة في مهاوي اهلاك، لا يعلق منها متعلق بما ينجيه من تلك الهلكة التي قد استولت عليها وأغرمتها، فهي مدوخة مستدوخة ترسب مرة وتطفو أخرى، تعوم في مراسب الفرق، ليس لها خلاص ولا حين مناص، قد تجلى عليها انعكاس الحيرة واشتملها سربال التيه، حيث ما ولت اختطف منها ما بدر وإن قامت افترس منها ما حذر.

فالقدره محدقة بها لا خروج لها عن محل إرادة المقتدر القادر، وإن كانت ثابتة على انعكاس التيه والحيرة والسفينة، تمر في مسالكها ممر الريح في عصف الهبوب، تظن أنها ناجية متخلصة، وليس إلى ذلك من سبيل ولا عليه تعويل، لأن الخلف قد صار بطباع حال الشك، وزال عن حقيقة اليقين، عزمه البصيرة، فهي كذلك في التيه والحيرة حتى يظهر لها بدو الظهور الذي أوجدها قدم الكون وأثبت عندها إرادة الحقيقة وحنها على طلب خلاص الجوهرة التي أبداهها منها وكوتها عليها وأجراها على سنن الاستبصار.

كل ذلك في بدو نشأتها وذات كونها، إذ هي نور لا ظلمة، فيها وضياء لا قتم يخالطها لمن يلم بالشك، ولا حلت محلّه ولا عاينت حيث محلّ الغضب وأحزابه، فلما أدارها في إدارة الأكوار المتداومة والأجوار المختبرة وأوجدها رتب الصقوة في محلّ السنّ العلوي واختصاصه كوناً بعد كون وثبوته على كون الرضا بإرادة، وأعلمها أن الاختبار واقع بها كما أوقعه بمن تقدّمها حتى خلص لها الصفاء والاصطفاء والضياء والنور وخلصت من الأتعاب والأنصاب ووضعت عنه الأغلال والأصار.

وصارت روحانية القدس تجري بجري تلك الأفلاك ومدبرة بروح الأملاك تعلم سرّ أنفسها في مرادها، وتعلم سرّ مرادها الغاية فيها ومنها لها علم ذلك لا يغرب عنها ولا تعدمه، تحلّ من قدرة القادر حيث أسّت وبقدرة من قدرته على ما هملت به، وإرادته أن تكون في الوجود بين العالمين النوراني والبشري، إذ صارت إليه بمعنى واحد إن أحببت أوجدت ذاتها وعيائها، وإن أحببت غيّبت حيثها وكيانها، وقد أعطيت خطأ من القدرة ومنزلة من المراد، وذلك كلّه يبدو السبق في قديم كون الكين عند تكوين المكان الذي هو قديم الأشياء ومدبرها ومجريها في ذات إرادته السابقة وحتمه التزم وأمره المبرم وقضائه النافذ بجري ذلك على كونه أولاً وآخراً بوجود الغيبة والعدم والمداومة والقدم، يجري ذلك كذلك في عالم بعد عالم وكون بعد كون وقرن بعد قرن، وجيز بعد جيز، يصمت في الخطاب ويفصح في الجواب، يجري الأمور مصادر وموارد حتى يقول ذوو الفهم: إن القادر ليس بمقدورة قدرته ولا بمدروكة عظمتة، وإنه يوجد في سنا نوره ولا يوجد عند تظاهر ضده الذي هو مبدية فيهلك بذلك عوالم الارتباب والظن والشك والحيرة أوليته وآخريته وإرادته بوجود ذلك في ذاتها وكونها، لأنه ذو أولى مبتدأة ولا ذو أخرى منتهية خفي عن وهم فكر التدبير في مراده، ويظن [يطن] عن إدراك التحصيل في وجوده، فهو قائم بذات العزة بانفراده، ليس له في ذلك مشارك ولا مناوية، ولا ضد ولا ندّ علمه علم معلومات العالم، ليس للعالم من علم بمعلومات علمه رتب ذلك فيها وقدره من غير تقدير مقدر إلا بإرادته، فالقدرة من المقتدر ليست كالقدرة من المقتدر عليه.

ثم قال: يا محمد بن جندب: إني مبديك ومخرج إليك من علوم ملكوت القديم بما أهلك الله له ووقفك لسماعه ووعيه، فإذا طرقت منه علم أبهرك فأدم الحمد نترزق الثبات وتعطى البلوغ وتستحق الزيادة من علم الله وفضله، فإن الله عطاء يمنحه في وقته، ويمنعه في آخر من أقل شكره له فيه فسلبه، ومن زاد حمده عليه خوله وزادته واتسع عليه، فكن عند بث ذلك إليك مستيقظاً وعنده متيقظاً، فإنما جعلتك حجة على غيرك تبدي إليه ما يبدى إليك كما جعل غيرك حجة عليك يخرج إليك ما تخرج إليه من غاية علم لا نهاية له ولا آخر لمداه، يزيد في بصيرتك، فإذا استبصرت به ويزيل عنك شكك إذا تبينت حقيقة ذلك وصرت إلى عزيمة الانقياد في طاعة ما أمر به ونهى عنه.

وحظيت بوفور تكامل المذخور لك عند الله مولاك ربا وعند وليه وسبيله وسبيله الذي جعله لك سبباً وسبيلاً، يقصد بك مسلك قصده، ويحلّك حيث محلّ نهجه. يفرض عليك ما افترضه عليه ويلزمك ما ألزمه، يأخذ بك حيث أخذ ويعدل بك حيث عدل ويدلك على نجاتك ويوضح لك نهج هداك.

وقد شاهد منك ما غاب عنك، وقد اتضح لك فيه ما ذهب عليك، وذلك أن الله وكله وألزمه الاجتهاد في طلب نجاتك وخلص ذاتك حتى تكون من فوز عطائه راغباً إليه ومن نيل نعمائه طالباً لديه، قد أفرد ذاته عن حلول شيء من شبهات الأمور لا حدّ من ذلك بالأمر وميسر فيه للصبر يكون في مجرى أموره بحسب توفيق موفقه إياك لما قد ارتضاك له واختصك به وأرادك له.

فسمت نفسك إليه وربّبت عليه ووفقت عنده ليحقّ لك الحقّ ويبطل منك الباطل وينزع النزغ والزيف عنك إذ خصك بالمكان العالي من العلم.

فقال محمد بن جندب: فأبهرني ما أبداني به مولاي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه من تفضيل الله مولاي عليّ وإكرامه إياي واختصاصي به إذ كنت في غير منزلة الاستحقاق لذلك كلّ من تفضّله ونعمائه لم أعدم ذات الشكر والحمد، وأقصر عن نعت وجوب حقّ الله الذي أوجبه عليّ. وكيف وقد جعلني سبباً ألزمني الحجة فيه في الدعوة إلى حقيقة معرفته، وإن كنت قد وعيت من ذلك ما وعيت وأيقنت من ذلك ما أيقنت، فإنّ ذلك عندي أدلّ مفترض واجب تعجز عنه الأوهام والأفهام، ولا تقوم به حجة ولا بيان لعظم خطر وجسيم قدر، فجعلت ألوذ بعاقبة السلامة وموادة الكفاية.

فقال لي: يا محمد بن جندب: كن عند موادة التسليم واحذر من زلة التوهيم، فإنّ من ذلك يكون الكفر العظيم والخروج عن الصراط المستقيم، فاتق الله في هلاك حظك وذهاب أجرك، فإنّ الخاسر لا يربح بعد خسارته إلا ما عليه إثم.

فقلت: مولاي قد حلّيتني وغمرتني سوابغ النعم وكوامل الإحسان، فأنا راتع في بسائط نور بصيرتك ومعادن خزائن ذخيرتك، أنعم عليّ من أنعمت عليه وأحسن إليّ من أحسنت إليه إذ جعلتني سبباً وحملتني نسباً أذخر فخرك على سائر الذخائر، وأحتسب فضلك على جميع أياديك، فكلّ ما مننت به عليّ أنت أهله.

فقال: يا محمد بن جندب ثبت عندك وأيقنت علم معرفة ذلك حيث صرت من منه، فقبل ما سلف كنت طالباً وراغباً، والآن فأنت مطلوبٌ إليه راغبٌ فيما لديه، إذ صرت من خزان علم ملكوت الله الباطنة وأسراره الغامضة، حملت كتاب الأكوار في البدء والنورانية وتكوين كون الكيان في تكوينات الأحيات وعرفت تناهي أمد الأكوار والأدوار والأجوار في ذوات ترتيبها في البدء والكون القديم حتى صغر عندك جميع كون من كل تكوين، وإذا خضت بحجتك فيه وبصيرتك به دعوة كل مدع ونقل كل منقول يزور، وسمعت ممن لم يع ونقلت عن من لم يف حتى خضت الله بوليّه وبابه وسببه، كما خصّ أهل السؤال الذي سبق إليك شرحه وبيانه بأبي خالد، وإن كنت أنا هو وأنت أحد السائلين والمستمعين والواعين، شهدت ذلك الوقت، وحضرت هذا العفر، تعلم ذلك من هذا كما علمت هذا من ذلك، وكذلك تجري ربتك في التقديرات السالفة المرتبة المقدمة، وقد احتطت بعلم ذلك إلى منتهى السبع رتب من مراتب الدرج والمنازل إلى محلّ الباب والأيتام والنقباء والنجباء والمختصين والمخلصين ورتبة الممتحنين الذين قد ثبت عندك كونهم في رتب الاصطفاء، والصقاء، والضياء، والنور، والتجهر عند كل مطاف وسير لأهل كل رتبة وظهور القديم بكون بابه وبدو إرادة ظهور الأزل القديم بكون قدمه الذي خصّه به وما أوجده في كل كون وحيث من أكوانه وأحيائه التي قدمها وسبق فيها إلى حيث تناهى بكل أوصاف ذلك ونعوته، ووقفت على محلّ غضبه وسخطه وكون ذلك وحزبه ومعدن ذاته وحيثه الذي تجري عليه تراكيب البشرية وحلول مزاج الظلمية وكلّما قاربها فهو كائنٌ بكونها ما دام في ذات الحيث والحزب والكون لا يخرج عن ذلك إلا بعد اجتهاد عظيم ومعاناة كثيرة يتلف في كل درجة منها مائة ألف تلف، وبدون فيه مائة ألف نوع من العذاب الشديد يذوب في كل درجة وينحلّ فيها حتى يصير كخيال الحسن من أدوات المعاني التي عانت بدوام الامتحان لا تحسّ تلك بمحسّ بل تكون شبحاً مشبّحاً وروحاً تروح وتمرّ على معادن العذاب ومصارع المصاب وشرب الصاب من الحميم والزقوم في أجناس شتى كلّ قد غمره أليم العذاب في قالب الهيولات التي هي أدوات التصفية.

و اعلم يا محمد بن جندب أنّ طول تلك الفرق التي تفرقت وتحرّبت وتكوّنت في حيث الغضب والظلمة واختلطت به وامتزجت وتفرّست واغترست في المقام

الذي هي ذاهبة فيه وراسية عليه. في كل درجة يصفو منها شخص إن صفا إلى رجوعه إلى حد الامتزاج مائة ألف كور من تلك الأكوار، يعاني فيها قاذورات البشرية وعكر الجسمية وذهاب النور وكون الظلمية، ثم يعود إلى أثر من تلك الحال بأسرع من طرف العين، يكون دأبه فيه وحلوله به ما دام مراقبا لحيث الغضب وحزبه وكونه، ترجع كل فرقة من الفرق إلى محلها الذي رتب فيه في بدو عيان الحيث وحزبه وكونه في كل ألف ألف كور من الأكوار النورانية.

فإذا وافق قران التلخص عن تلك الدرجة والرتبة عاودها كدر الحيث والحزب والكون والغضب الظلمي، ثم يردّها إلى بدو الكون من ذاتها الأول في الكرّ والردّ بهم، ويرجع بهم، فهي كذلك وعليه مداومة للمزاج في حال الاختلاط بها في مفارقة حال مقارنة في حال تجري على غيوب مكوناتها في بدو تكوين ذات كيانها لا يتقدم عن تأخير ولا يتأخر عن تقادم يجري بحسب رتب التدبير بالقدرة السابقة الأولى التي عليها بدو ذات كونها في القدم الغابرة والأكوار الدائرة التي هي في تناهي كيان الحدوث التي سبقت إليه بالترتيب الأول عند تدبير المرید للإرادة في كونه الذي كونه على إرادة في سبق حلية العوالم الخاصية التي هي في تقدمه الحدوث والكيان يجري ذلك بمجرى القدرة من القادر المقنن على اقتدار المقنن حتى ترجع القدرة إلى معدن ذاتها الأول وحيثها القديم، فهو معها حيث أقامت ومعها حيث طافت، لا تعدم وجود غياب ذاتها وقدرتها في موجودات كونها وحيثها وتدبيرها به متحكم، أحكم الحكمة قبل استحكام التحكم في تدبير تكوين ذات العوالم السالفة القديمة، فلم أن ذلك غير خارج عن مراده في طول أماده ومدده التي أمدها بعلمه على عوالمه في لطائف أمره وآخره وظاهر ذاته وباطنه، يعجز الخلق عن إدراكه.

و اعلم يا محمد بن جندب أن القديم في قدم كون الاقتدار أبدى كل ذي خاصية من كون وحدث بمادة اقتداره عليها بحسب طاعته وانقياده إلى الإجابة والثبات، فجعل كل رتبة عالية سامية تعرف كل رتبة تبعثها، وأنحلتها درج الارتقاء والحلول حتى صارت مشاهير المحل وأعلامه وأنواره، يقصد القاصد بما يريد من الإشارة إليه ويعظم محله، ويكون له عند وجود الظهور من الأزل الذي هو المعنى القديم وظهور القديم وإيجاد ذات الرتب بظهور الأزل القديم حتى يتبين فضل رتبة رتبة ودرجة درجة، ومنزلة منزلة، يشرق بذلك أهل الدرج والمراتب والمرتبات.

عنية عند ظهوره وإيجاده لهم بظهوره في كونه وحيثه، يبدي إرادته في الحدوث
وتكوين باستطاعة المادة التي أمدها أهل المراتب، فيجعل لهم بذلك قدرة تجري
خبرته عند إرادته ومشيئته، ثم يحتجب وتبدو وهي بتلك القدرة والاستطاعة، كل
ذلك تفضيل واختصاص كونه بتكوين كيانه عند عيانهم، ووجوده وظهوره بين
عوالمه يجري النور في ذات ملكه وسلطانه دائماً غير منفصل ولا متجزئ ولا
متبعض، ولا معاناً على حال الاستعارة الدائمة، بل تجري بإرادته في البرية من
العالَمين النوراني والبشري اللذين عليهما جرت الرتب في كون الحدوث بإيجاد ما
أوجدها وجوده عند ظهوره مع موجودات مقابته، فداوم الموافقة لها في ذلك المحل
من الدنوّ خمسين ألف كور.

ثم أبدى ذاته لها بوجود التجوهر الذي هو به متجوهر، فأوجدها أنها بالانقياد
والقبول تتجوهر بذلك التجوهر الذي هو به متجوهر، فسارعت إلى الانقياد عند ذلك
الوجود، وأكملت بذلك القبول واستوجبت الاصطفاء والاختصاص، فلما أبدت ذلك
إليه أوجده للنجم الأول، وأوجده النجم الباب، فأبدى الاسم بعلمه لهما وأوجدهما
أنه أعلم بتكوينه من علم تكوينه بذات كونه وأبدى إلى الباب مبادرة المراد منه
بالاصطفاء، فبدا لها الباب فأوجدها قبولها إلى قبله من النجم الثاني وأنه سببها
إلى الاختصاص والاصطفاء، فجوهرها بإرادة مكوناتها وأبداها بالتجوهر في الحيث
للكون كله جمعاً، وأوقفها للعيان فكانت مراعاة الكون خمسين ألف كور بحيث محل
تجوهرها، فلما أكمل لها مدى ذلك سترها في الحيث والكون، فجالت بذاتها خمسين
ألف كور، ثم أقرنها بالنجمين فضمها ضمّاً واحداً وأحلّها محلاً واحداً وكوناً واحداً
وأوجدها لذّة الاصطفاء ورتبة الاختصاص، فصارت خمس متجوهرات بجوهر واحد
وصار المقمر المبدّر المهلّ بذاته في تجوهره الخاصّي الذي أنحلّ كل متجوهر
وأبداه كما أنحلّ النور كل نورانيّ وأبداه به في كونه، وصارت الشمس المتجوهرة
بانسئام بذات كونها موجودة بإيجاد ذاتها أنها مكونة كل كيّان ومجوهرة كل
متجوهر، وغاية ذلك ونهايته، فأمد الأزل، ذلك لنفس إرادته وقدرته ألف ألف كور،
وعند الاسم ذلك لنفس إرادة أزلّه وقدرته التي قدرت بها حتّى قدرها خمسمائة ألف
كور. وأمد الباب ذلك لنفس إرادة مكونه وهو الاسم مائة ألف كور، وأمد النجم
ذلك لنفس إرادة النجم الأول مدى أمد النجم الأول، وهو خمسون ألف كور،

فكانت في اقتراب الاجتماع ألف ألف كورٍ وسبعمائة ألف كورٍ، لا زائلة إلى حيث ولا مبدية في كونٍ ولا ذاهبة بأيّن.

فلما أكمل لها ذلك المدى من الأمد اتبعت سيرها فسارت بسير النّجمين حيث سارت وحلولها حيث حلّت، فأدامها في سيرها ومطافها تابعة في ذلك غير متبوعة، وذلك أنّها تابعة للنّجمين الأوّل والثّاني، كما أنّ النّجمين تابعان للنّجّوهر بالشّمس، وكما أنّ النّجّوهر بالشّمس تابع للنّجّوهر المبدّر المقمر المهلّ، فكان يكون تابعا حتّى إذا أكمل في تناهي صفوة أمد الاصطفاء والاختصاص، فاصطفى واستخصّ بمادّة المراد فيه فيصير عند ذلك تابعا متبوعا، وذلك أنّه يكون تابعا لمصطفيه ومختصّيه ومختبره ويكون من اصطفاه واختصّه واختبره بمادّة المراد منه تابعه، فكانت الثّلاثة الأنجم المتجوّهرة تابعة للنّجمين غير متبوعة، لأنّها ما أكمل لها الذي أكمل للنّجمين ولا حلّ محلّهما، فتداوم مدى ذلك السّير بالاتباع مدى ألف ألف كورٍ وسبعمائة ألف كورٍ، بإزاء الأوّل من الأمد في التّرتيب.

فلما أكمل ذلك لهم أبدى الظّهور بذات الأزل للكون جمعا، فأبدى ما أبدى وأظهر ما أظهر من الوجود مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى الاسم بوجود ما أوجد وإيداء ما أبدى وإظهار ما أظهر مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى الباب بوجود ما أوجد الإسم، وإيداء ما أبدى وظهور ما أظهر مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى النّجمين بوجود ما أوجد الباب، وإيداء ما أبدى وإظهار ما أظهر خمسين ألف كورٍ، ثمّ إنّهُ أبدى الثّلاثة بإبداء ما أبداه النّجمان وإظهاره ووجوده، فطافوا بالحيث والكون على ما بدى به ونعتا له خمسين ألف كورٍ، وصار بذلك في خاصيّة الباب وأدوات إرادته كما رتب المكوّن تكوينه فيهم، فصارت مادّة هؤلاء الثّلاثة المتجوّهرة من جوهره النّجم الثّاني، وهو يا محمد بن جندب أبو ذرّ في ظهوره بالبشريّة وله منزلةٌ كبيرةٌ أوجدها الإسم من سلمان بابي ذرّ.

تفضيل نجم على نجم

وذلك يا محمد بن جندب أَنَّ السَّيِّدَ الأكبرَ الأجلَّ الأعظمَ دَاعٍ يوماً بالمقداد، فقال له: إِنِّي قَدْ أَهْلَتُكَ لِأَمْرِ أَبَيْنِ بِهِ مَنْزِلَتَكَ مِنِّي وَمَحَلَّكَ عِنْدِي واختصاصي لك دون كلِّ تَكْوِينٍ كَوْنَتْ بَعْدَ تَكْوِينِكَ.

فقال له: وما ذلك يا مولاي؟

فقال: إِنِّي أَبْعَثُكَ مَعَ سَلْمَانَ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ لَتُبْدِيَ هُنَاكَ مَا أُرِيدُ.

فقال: يا مولاي: وهل للمقداد غير امتثال ما قَدَّمْتَهُ إِلَيْهِ وَأَمْرُهُ بِهِ وَمَسَارَعَةُ إِمضَائِهِ !

فقال: إِنِّي أَمَدُّكَ بِالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ.

فقال له: ذلك بتفضلك عليّ.

ثُمَّ دَعَا سَلْمَانُ مَنْ حَيْثُ لَمْ يَوْجِدْهُ الْمَقْدَادُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَبْعَثُكَ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ لَتُبْدِيَ هُنَاكَ مَا أُرِيدُ.

فقال له سلمان: أَنَا أَمْضِيهِ بِإِرَادَتِكَ عَلَى وَجُودِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ.

فقال له: وَإِنِّي قَدْ أَبْعَثُ مَعَكَ الْمَقْدَادَ وَإِنَّهُ مُوَفِّقٌ لِإِمضَائِهِ عَلَى حَقِيقَةِ تَوْفِيقِي لَهُ بِإِرَادَتِي.

فقال: يا مولاي، وهل تدفع سلمان إلى معاونةٍ كَوْنٍ مِنْ أَكْوَانِكَ وَأَنْتَ عَوْنُهُ وَمُكُونُهُ.

فقال: يا سلمان إِنِّي أَشْرَقُهُ وَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ فَأَعْلَاهَا بِحَسَبِ إِرَادَتِي فِي عُلُوِّهَا، وَإِنِّي أَنَحِلُهُ جَمِيعَ مَا أَنَحَلَكَ مَوْلَاكَ.

فقال: يا مولاي، وذلك كُلُّهُ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ سَلْمَانَ عَنْ قَدْرِ قَدْرَتِكَ.

فقال له: كُنْ كَمَا قَدَّمْتَ فَيْكَ لَهُ، فَخَرَجَ سَلْمَانُ وَعَاوَدَ الْمَقْدَادَ مَقَالاً ثَانِياً، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ سَلْمَانَ ذُو إِرَادَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَعَزِيمَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكُنْ لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ بِهِ.

فقال: يا مولاي، طاعة لازمة، وأمرأ نافذاً أفدُ إليه في البُكورِ.

فقال المقداد: أنا أبكرُ على سلمان.

و قال سلمان: أنا أبكرُ على المقداد.

فلما بدا الفجر لاتجاه الضحى، بكر سلمان إلى المقداد فوجده راقداً فأراد أن يوقظه، فتداركه ما قدّمه إليه مولاه، فأمسك عن إيقاظه وجلس يرقبه، فرقد سلمان واستيقظ المقداد.

فقال: بكر سلمان ولم أبكر عليه، وقد رقد، وما ذاك إلا من أرق أرقه في ليلته فأوقظه، فلما هم بإيقاظه تداركه ما تقدّمه من أمر مولاه إليه، فأمسك عن إيقاظه، فكانا في قبولهما بمنزلة وأن المقداد دخل إلى مخدع له فوجده فيه نجيبين قد أعدا رجل وزاد وألة لا يعدم المسافر عليهما مما يريد له ولراحلته.

فقال المقداد: إن سلمان أعد واستعد للرحيل والمقداد راقداً، فإنه لعلّى ذلك حتى استيقظ سلمان مسرعاً وقال: هي الآن يا مقداد.

فقال: رحباً وحباً يا سلمان، هلمّ الزاحلتين من المخدع، فقال ذلك المقداد لسلمان مقال من يقول هات ما وضعته في موضع كذا وكذا، فبادر سلمان إلى المخدع فاستخرج النجمين وهما بكمالهما فقال: منهما رقد المقداد لأنه كان أعداً واستعد للسفر، وسلمان راقداً وما استعد، فكان الظنّ ببعثهما ببعض واحداً بيديا ذلك ولم يعاوداه ولا سأل أحد صاحبه عن حال ما بدا له، فأناخا النجيبين وعلوا على كوريهما، ثم سيراهما، فسارا، فكانا بسيرهما في أرض اليمن، فأناخا ونزلا.

فقال سلمان: هذه أرض اليمن وإليها بعثني ولم يبد لي مولاي ما أقدمه من أمره، ولست أشك أن تقدمته بمراده الذي بعثني به قد عهده إلى المقداد، فهو بيديه، وأقبل المقداد يرتقب ما يأمره به سلمان ويقول: إن مولاي بعثني لأمره إلى أرض اليمن، ولم يبد لي ما أتاه، ولست أشك أن تقدمته بذلك إلى سلمان فهو بيديها لي عند إرادته، وكان سلمان يبدي سؤال المقداد فيردّه عن ذلك ما قدّمه إليه مولاه في المقداد، وكذلك كان المقداد في حال سلمان، فكانا في حال واحدة بالظنّ ببعثهما ببعض، فإنهما على ذلك يا محمد بن جندب حتى ظهر السيّد الأكبر للمقداد واحتجب

عن سلمان لإرادته في المقداد واختصاصه له، فلما رآه المقداد همّ بالسجود، فأشار إليه بحبس ذلك، فوقف بحينه، فجعل السيّد الأكبر يخاطب المقداد والمقداد يخاطبه، وسلمان واقفاً قد حجه عن وجود ذلك ومعاينة ذاته، ثم قال له:

يا مقداد اركض [أركل] برجلك في هذا الموضع، فركض المقداد برجله، فأنبع عن بحر عجاج ما مرّ نظر سلمان، فقال سلمان للمقداد: ما هذا؟ فقال: بهذا أمرني وعن أمره فعلت، فلم يعد سلمان على المقداد، وجعل يتأمل البحر وعظمه والمقداد واقف ينظر ما يأمره به مولاه فيمتثلته حتّى ظهر في ذلك البحر مركبٌ بآلة معدّة ما فيه أحد، فقال السيّد الأكبر للمقداد: اركب أنت وسلمان في هذا المركب وامضيا إلى حيث أريد، وقل لسلمان إنّ مولاي قد أمرني أن أمرك أن تدبّر هذا المركب حتّى يصل إلى حيث أمرني، فإنّ سلمان لينظر إلى البحر حتّى بدا المركب بعدته وصار إلى جانب البحر الذي فيه سلمان والمقداد وقوف عليه.

فقال سلمان للمقداد: أما ترى إلى هذا المركب قد أقبل حتّى وقف بحيث نحن وقوف؟

فقال له المقداد: فإنّه أمرني أن أركب أنا وأنت فيه وأن تكون أنت مدبّره، حتّى يصير بنا إلى حيث أمرني.

فقال سلمان: أوفد أمرك بذلك؟

فقال: نعم.

فقام سلمان وسارع إلى أمره، فارتقى إلى المركب، وجلس المقداد وجعل سلمان يصيح ما يحتاج إليه من أمور المركب، وكلّما مدّ يده ليصلح منه حالاً وجدها مصلحة وقد فرغ من إصلاحها، فأقبل إلى قلع المركب، فسيّره، ثمّ مدّ يده، فجعل يعلو بغير ألم من سلمان حتّى تناهى به إلى علو المركب، وجعل يمرّ كالريح العاصفة، فأقبل سلمان على المقداد، وقال: أين يقصد بنا هذا المركب، ولا نعرف مسلك هذا البحر، ولا ما عليه!

فقال له المقداد: إنّهُ إذا وصل إلى حيث يريد وقف فيه، وبذلك أخبرني، فما كن إلاّ طرفة عين حتّى وقف المركب على جزيرة في وسط ذلك البحر كثيرة

الغياض والشجر والنبات، فلما وقف بهما المركب صعد المقداد وخلف سلمان في المركب، فلما توسط المقداد الجزيرة ظهر له السيد محمد وقال: يا مقداد، إذا وصلت إلى موضع كذا وكذا من هذه الجزيرة، فإنه يظهر لك فيها خلّاق من خلقي ليس نهد بمعينة مثلك عادةً فسيذهلون عنك، فقل عندما يولّون «كركر كنكر» فجعل المقداد ماراً في تلك الجزيرة حتّى ظهر له فيها خلّاق وأمّ لا يحصيهم إلا الله، فلما عاينوا شخص المقداد مروا عنه هاربين ذعرأ، وفرعأ، فناداهم بما قاله مولاه، فما أتى على آخر الكلام حتّى تراجعوا نحوه ولانوا به، وجعلوا يمرغون خدودهم على التراب ما فيهم أحد قائماً على قدم، ثمّ أقبل لهم جمعٌ عظيمٌ في وسطهم شابٌ من أحسن الناس صورةً وأتمهم حسناً، وإذا عليه ثيابٌ حريرٍ أخضرٍ وعلى رأسه تاجٌ من الجواهر وما من أحد من الجماعة المحدثين به إلا وعليه تاجٌ من ذهب وفضة مرصّع بالجواهر، فجعل ذلك الشاب والجماعة يلوذون بالمقداد ويتضرعون إليه، وهو مع ذلك لا يبدي بنطق كلمة، فظهر له مولاه وقال له: يا مقداد: إنّ مولاي بعثني على أن أسألكم عن المعبود والمحمود.

فقالوا بأجمعهم: المعبود هو ربّ المحمود، والمحمود ربّ كلّ مخلوق في السماء والأرض، ونحن بذلك مقرّون هي فطرة فطرنا عليها المحمود.

فقال له: أسألهم أين محلّ المعبود والمحمود؟

فسألهم، فقالوا: هما بحيث كلّ حيث، وبحيث ليس بحيث، لم يحوهما محلّ حيث فيقال هو حيثهما، فالمعبود حيث المحمود، وهو ما لا وصف له ولا نعت يقع عليه، والمحمود هو بحيث أنت واقف، وبحيث يريده من الأرض، وبحيث حيث منه، وفي جميع أحياء الأرض والسماء، وأقطارهما يعمّهما جمعاً بذاته كما يعمّما بعلمه بعنك إلينا وحاضرّ فينا، تسأل أنت وهو السائل لنا ويردّ عليك وهو المسمع منا، أراد بذلك تقضيلك واختبارك، لأنّه علم منا، فلما أتوا على آخر هذا الكلام ظهر مولاه فحجبهم عنه حتّى لم تبد له منهم نسمةً واحدةً، وكأنّه كان لم يعاين منهم أحداً.

فقال له: يا مقداد اعرف فضلي عليك وما خصصتك به، فخرّ عند ذلك انمّدت لوجهه ساجداً يبدي حمداً وشكراً.

فقال له: ارفع يا مقداد، وخذ ما أتيتك بقوة، فلما رفع المقداد رأسه ظهر له ذلك الشاب الذي كانت تلك الخلائق لا تذه به، وليس معه غيره، فخلع عليه ما كان عليه من لباس الحرير، وتوجه بذلك التاج، وانصرف عنه، فظهر له مولاه، وقال: يا مقداد ارجع إلى سلمان، وقل له يدبر المركب حتى أصير بك إلى حيث أريد، فرجع المقداد إلى حيث سلمان، فلما أشرف عليه بذلك الحال استعظمها، وقال: من أين لك هذا اللباس يا مقداد؟

فقال: هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر.

فلم يعد عليه سلمان شيئاً آخر.

فقال له: قم يا سلمان دبّر المركب حتى يصير إلى حيث يريد للأمر الذي قد أتى فيه، فقام سلمان وأخذ فيما أخذ فيه أولاً وسار بهما المركب.

يا محمد بن جندب، فطاف سلمان والمقداد في تناهي السبعة أبحر وأحلها أقطار الأرض كلها وعنان السماوات كلها، فطاف سبعين ألف أمة مثل الأمة الأولى، وخاطبهم المقداد بما خاطب به من قبل وأجابوا كما أجابوه أولئك، وكل ذلك يعاينه المقداد وحده لا يجده سلمان يخاطب فيه، فلما تمت إرادة المولى في تشريف المقداد واستخصاصه له وما أنحله من فضله وأمره قال له: قل لسلمان يدبر المركب، فعاد في آخر عوداته وقال: يا سلمان دبّر المركب.

فقال له سلمان: يا مقداد قد أجهدت فيما أنت له وأخذ بتدبيره، وقد خطف علي ولوى بهما المركب، فما كان إلا طرفة عين حتى وافى بهما المركب إلى حيث من أرض اليمن بحيث النجيين واقفين، فارتقيا من المركب، وظهر له مولاه وقال له: اركض برجلك في البحر، فركض برجله على وجه ذلك البحر، فذهب من حيث بدا منه حتى كأنه لم يبد، وجعل سلمان ينظر إلى المقداد ويقول له: أين البحر الذي كنا فيه، فقال المقداد: ذهب به مبدية إلى حيث أبداه، وبذلك أمرني.

ثم قال له: اركب يا سلمان، فركب سلمان نجيبه والمقداد نجيبه، وأثارهما، فما نرا حتى أنيخا بباب المقداد، فنزلا عن كوريهما، وقال المقداد لسلمان: خذ النجيين إلى المخدع الذي كانا فيه، فأخذهما إليه وسمعا إقامة الصلاة، صلاة الفجر، فبادرا

إلى المسجد وصلّياً مع النَّبِيِّ صلعم، فلَمَّا انقَلَب النَّبِيُّ من صلاته أَقْبَلَ على سلمان وقال له: كيف كنْتما فيما أمرتكما به؟

فقال سلمان: يا رسول الله، قد أمضى المقداد ما أمرته وامتلئ سلمان ما قَدَمْتَه، فسل المقداد تجده بذلك أخبر من سلمان، أراد بذلك أَنَّ المقداد كان المعاین لما أمضىته له وفضلته به، فقال: صدق سلمان، ذخرت ذلك للمقداد مذ حين بدو كونه ووجوده كما نخر لك مولاك ما استخصّك به حين بدو تكوينك ووجودك، وكان ذلك المطاف والتناهي الذي تناهى بهما ومعاينته تلك الأمم فيما بين الأذان أذان الفجر إلى أن أقيمت الصلاة.

يا محمد بن جندب وللمقداد من السّيّد محمد أوصافٌ مثل هذه الأوصاف كثيرة فأنا أبدي لك منها ما ينسّق بها الأخبار عند وجود الشّرح، وكذلك لسلمان من الأزل أوصافٌ استخصّه بها وشرّفه وأوجده وبعثه فيها وشرّفه وأوجده وبعثه فيها من حيث لم يوجد لها محمد لسلمان ولا أبداها له، فلَمَّا بدت لسلمان من إرادة الأزل أبداها سلمان لمحمد، وكان علمه بذلك بكونه ثابتاً موجوداً، فلَمَّا أبداها سلمان إلى محمد علم أنّ ذلك اختصاصٌ منه له وتفضيلٌ وعلوٌّ منزلة، وأنا أبدي لك من ذلك عند موافقة الشّرح لما يوجب إظهاره لك، فاحمد مولاك على ما حباك واسأله الزيادة من تفضيله عليك.

قال محمد بن جندب: ثمّ أعادني سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه إلى الشّرح الذي كان شرحه، فقال: فكانت موادّ الإرادة تبدو من الأزل إلى الاسم، ويمدّها الاسم إلى الباب، فيظهر الباب إلى النّجم الأوّل عليها، فيكشف النّجم الأوّل ذلك إلى النّجم الثّاني، فيعمّ النّجم الثّاني بعلم ذلك الثّلاثة التي تجوهرت بجوهره، فكان ذلك فيهم بحدّ الكمال إلّا أنّها مواردٌ بعضها يمدّ إلى بعض، ويوجد بعضها بعضاً، فكانت كذلك مائة ألف كور، فبدت الإرادة والتّكوين من الاصطفاء إلى النّجوم الخمسة، فظهرت في الحيث كلّهُ والأكوان كلّها بظهور واحدٍ في الوجود إلّا أنّها يتقدّم بعضها على بعض، بعضها يقتفي أثر بعض كما جرت رتبة الاصطفاء والاختصاص، فطافت في الحيث والأكوان بذاتها بغير ظهور الباب والاسم ولا وجودهما إلّا أنّهما حالا عن الكون والكيان والحيث بل أوقعا الاحتجاب على الحيث والكون، فطافت مائة ألف كور بيدي فيه كون قدرة المقتدر عليها ومنزلة اصطفاء

واختصاصها في المنزلة، فكان ذلك منها على سبيل الإيجاد للكون ذات التكوين أنها منذرة لها بكونها وداعية لها إلى الرتبة التي حلتها، فمرت في الحيث والكون ذلك المدى تظهر ذلك وتبديه في كل محل يحله من الحيث والكون، فأبدت إرادة التكوين حين تناهى بها مراد المكون إلى حيث أبدى تكوين ما كونه وأوجد ظهوره وتجوهره بعدما أن حلت في محل ظهر لها في اثني عشر كوناً بنور واحد وذات واحدة، فوقفت الخمسة نجوم مقابلة تلك الاثني عشر ووقفت عن السير والإطافة بالحيث والكون، بحيث وقوة الاثني عشر إذ كانت غير مسيرة، ولا مطاف بها في الحيث، فكان مبلغ وقوفها بإزائها مائة ألف كور تبدي لها ما اختصت به من إرادة المكون لها فيها وما أنحلها، وأنه ليس في الحيث والكون سابق سبقها ولا متقدم تقدمها، فكانت الاثني عشر توجد أن كونها وإن كانت في صفاء تكوينها منفردة عن كيان مثلها المكون كونها كما أنها هي في ذلك الحيث والكون أعلى منزلة وأكمل صفاء وأصفى ضياء وأعم نوراً.

وأن تكوينها بذلك من مكون ذلك الكون الذي في الحيث الذي في الحيث، فلما أتم لها مائة ألف كور من الوقوف، وبث في الحيث من المحل حتى قربت من الاجتماع معها وقفت فيه كوقوف الأول وهو مائة ألف كور، تبدي ما يبديه وتظهر ما يظهره لها ويجدها بحال وجود ذلك ثابتة على الاعتراف والتسليم للمكون الذي هو غاية كون تكوينها، فلما أكمل لها ذلك المدى حجب الاسم عن الوجود وأظهر لها الباب بذات الشمس، فأشرق عليها وغمرها بنوره وأبدى ذاته بقدرة السير والمطاف بها محل بها في محلها وفي جميع الحيث والكون محلاً واحداً لا يتجزأ في مسيره ولا يتبعص في حلولة، فأكبرته الإثني عشر وأوجدت ذاتها أنه مكون ما كان بدا لها من الخمسة التي أملت بها وأظهرت لها ما أبدته من تعظيم محلها في الحيث والكون وأوجدت أن المبتديء لها هو المبتديء لكون الظاهر لها وأنه مكون من تكوين مكون وأن الغاية لا تدرك وإنما ظهر لها من المكونات موجودة فبقيت تلك في سيرها، فكان الباب مبدياً ذاته لها يطوف بها في سيره، ويحل عندها في محلها مائة ألف كور، وهي بذلك الاعتراف غير خارجة منه ولا زائدة عليه، فلما كمل ذلك من ثياب مائة ألف كور حجب الاسم عن ذات وجوده في الحيث والكون وظهر هو به، فامت بظهوره ما كان قبضه الباب في مسيره، وقبض ما كان بسطه وغمره بنور ذاته

جميع أنوار الكون والحيث حتى لم يوجد في الكون نورٌ وغشيت هي في النور حتى اضمحل عند وجود ذلك النور نورها، فلما أبدى الاسم ذلك من إرادته أوجدها أنه مكون ذلك الكون الذي ظهر به وأوجده أن جميع المكونات هو مكونها وإليه تكوينها، فكان ذلك من ظهور الاسم لها مائة ألف كور، وهو على وجود ذات القدرة المفتدة، فلما أتم بها ذلك من مراد الاسم وإيجاده بذات إرادة الأزل بالاسم بوجود ذاته التي أوجد أنها ذات اسمه، ظهر بالمهل المبدى المقمر، وهي ذات الاسم الذي أظهرته بوجودها، وأبداها عند الوجود لها بظهوره بذات كونها، فأبدى الأزل ذات الظهور من إرادة إيجاده لها أنه غاية كل موجود وحدثه وأزاله، فلما بدا لها دلت كونه بإرادة الظهور وخرت كلها ساجدة، قد حلت في السجود عندما انحلتها التشخيص بالأحرف التي أبانها للتعريف والترجمة والاختيار، ولكل نطق وإشارة، وعليها دائرة كل موجود وبها يعرف ولا ينسب، فصارت بذلك السجود في الأحرف ساجدة ما فيها حرف منتصباً وسلمت بذلك السجود أن الظاهر لها ليس هو كمن ظهر من قبله، وأن كل ظاهر ظهر لها أوجده بحد تكوين، ولم تجد لمبدي هذا الظهور تكوين كيان، فثبت لها أنه الأزل، فأسعدها بذلك وأسرع لها التجوهر، فأبدى إلى الاسم إبداء تجوهرها وأبداها بكونه الذي ظهر هو به لها وأظهر بابها بظهوره وأظهر الخمسة بظهور بابها، فوجدت المكونات كلها بحيث ظهوراً واحداً، فثبت على وجودها بأن المبدى لها ولكونها ليس إلا بقدرة قادر من مقدوراته وأن المكون لها هو الظاهر لها وبوجودها أوجدت عند ظهور الغاية لها، فأبدى لها الاسم ذاته بحقيقة الوجود وأبدى الباب ذاته بحقيقة الوجود، وأبدت الخمسة ذاتها بحقيقة الوجود، فأجابت الإثني عشر بإجابة واحدة، وقبول واحد، لم يتأخر فيهم متأخر، ولم يتقدم منهم متقدم.

فرتب لها محلّ العلو، فجعلها بروج ذلك المحلّ الذي أنحل الباب التسمية به وهو السماء وأدارها به وجعلها منازلها التي نزل بها ويحلّها في الظهورين بالاسم والباب، وجعل الخمسة نيرة بها والشمس التي هي الباب قطبها محلّ شرفها ونهى حيثها، فتسامت في ذلك من المحلّ والمنزلة العالية والرتبة الجليلة مائة ألف كور، وأبداها للكون في حيث بوجود التجوهر الذي الخمسة متجوهر به وهي ثابتة في حيث بغير تسيير ولا إطفاء في حيث والخمسة طائفة بها، وكذلك الشمس، فلما أتم لها ذلك وأكمل لها نعت التسمية أوجدها ذات النطق من نطق ما سبق لها بإذن

سِير، فسارت في الحَيْث والكون، فأوجدت ذاتها في جميع الحَيْث لجميع الكون، فكانت سائرة في تقديرات ترتيبها من الحَيْث والخمسة التي هي نيرة بها تسير بسير الباب الذي هو الشمس في الحَيْث كله الذي هو محله واسمه السماء تعمها في مسيره وتسير الخمسة معه، فتحلّ بحيث حلّ وتكون بحيث لا تعدم في حَيْث حله ولا كون كان فيه، فكانت على ذلك من الترتيب مائة ألف كور تعينها مكونات الحَيْث بما قد أحلها فيه المكن وما أمادها إليها، وتمرّ بأحياء التكوينات، فتحلّ فيه على حسب ترتيبها من السير والمطاف مائة ألف كور فنقّب بها الأحياء بوجودها وأبدى تجوهرها في جميع الكون بعد أن كانت غير متجوهرية، فأوجدتها الكون بوجودها بالتجوهر أنها تؤول جميعاً إلى التجوهر عند استكمال ما رتبت له في التكوين كما استكملت فتجوهرت، فلما بدا فيها ذلك من مراد الوجود والتكوين أبداً إلى الباب فاستخصها في رتبة المنازل والتقديرات، وجعلها مبدآت إرادة المريد في مكونات الحَيْث، فأبداه وألمّ بها وبثها في الحَيْث والكون ومعدن القصد التي يراد بداه في تكوين كيانه الذي قد كمل تكوينه، فأمدّها بذلك مائة ألف كور، ثم أمدّها بإيجاد ما أوجدت، فطافت بالحَيْث بجمعها في محلّ الأكوان بيدي ما أمدّت به من مراد المكون والمنزلة التي أنحلها إياها والتجوهر الذي جوهرها به، وكان ذلك منها إلى الأكوان نطقاً وإيجاداً، وذلك أن النطق كمل بإجابة الإثني عشر ترتيب إحصاء الدهور والآيات والشهور والظهور والموافيت واجتمعت على أحرف الاسم والباب والآيات وأحرفها، وكانت بالخمسة التي انضافت هي إليها بدو الظهورات والمقامات في الأكوار النورانية وعليها رتبت أكوار البشرية وظهوراتها ومقاماتها، ودلّ على عذها في البشرية بتوقيت الصلّاة وهي ظهورات المقامات لا توجد إلا عند إظهار وجود هذه المنزلة الاثني عشر والخمسة، فبانّت عن الباب وعن الخمسة في جميع الحَيْث والكون، فأبدت لتكون الظهور بذلك الحال مائة ألف كور حتّى أكمل لها المطاف والسير إلى حَيْث محلّ الانبعاث من الكون في الحَيْث، فبدا لها ضياء نورها وتكامل ذاتها في حَيْثها وتساوي كيانها، فوفقت بحيث وجدت ذلك الكون بذلك الوصف في الحَيْث، فأبدت لها ذاتها في تكوين التجوهر وعلوّ المنزلة وضياء النور ومحلّ السنّ، فكانت كذلك خمسين ألف كور.

فلما كمل ذلك من إبداء ما أبدت وجدتها بكون الثبات عن تداخل التَّوَهَّد غير كونها الكون به في بدو التَّكْوِين، فلما تَمَّ ذلك المدى دنت الإثني عشر من ذلك المحل، فوجدت عنده ما حلَّ في ذلك الحيث من الكون، فإذا هي ثمانية وعشرون كوناً بحال واحدة ومنزلة واحدة، فلمت بها وقاربتها في المحل، فداومت بثَّ ذلك الوجود الذي أوجدته والمنزلة التي أنحلتها خمسين ألف كور، فكانت مع ذلك عنى بيانها في وجود ما أوجدوا، فلما كمل بذلك حجب ذات الإثني عشر عن كونها وذات وجودها وظهرت لها الخمسة في المحل الذي كانت حلته الإثني عشر، فأبدت إليه وجود ذاتها وتجوهرها إذ كانت أعلى نوراً وأصفى تجوهرأ خمسين ألف كور، فوجدتها الخمسة في حال ثباتها وأكد رتبة وأعظم ثباتاً ما يداخلها فيها وهم كما لا يداخلها في الإثني عشر وإن كانت هذه أعلى وأعظم وأرفع وأجل وأكبر، فلما أكمل ذلك لها حجب ذات الخمسة عنها وبدا لها الباب في ذات كونه الموجود به وهو الشمس محل المحل الذي كان حله الإثني عشر والخمسة، فأبدى وجود ذاته وضياء نوره وتجوهره وعلوه وسموه على كل موجود وجدته.

فثبت لها وعندها أنه كون مكوّن ما تقدّم عندها من التَّكْوِين الأول وأنّ المنزلة التي أبدأها وحلّها هي تقدمة سبق تكوين مكوّن، فلما ثبت لها ذلك في وجود كون الباب ذاته حجب الاسم الباب عن وجوده وظهر هو بذاته التي ظهر فيها وكونه الذي أوجده، فأبدى ذات قدرته في تكوينه الذي بدا ظهوره به أن سوى ذات التكوين كيان كل موجود في الكون الذي هو برتبة المحنة غير ذلك الضياء الذي مقداره ما شرحته لك ما يريد عليها ولا فيها في سائر تلك المطافات والسير شيء من النور وذلك أنها كانت بعد المرة الأولى التي رجعت فيها المستخصّة وثبت لها فيه ما ثبت بوجود ذاتها في تتابع الكرات والرجوع، إن هذا الرجوع مثل الرجوع الأول لم يوجد ذاتها زيادة في وجودها، فكان يكون بتلك الزيادة زيادة الضياء والنور بهما. فلما أكملت المستخصّة ذلك الأمد في السير والمطاف والجهد والاجتهاد والوجود وهو ألف ألف كور وخمسون ألف كور، أوقفها القديم بحيثها عن الجهد والمطاف، فوقفت هي برتبة الانتظار للإذن لتجد في الإرادة خمسين ألف كور، فتد لها بذلك ألف ألف كور، ومائة ألف كور، فلما أكمل لها أمد الخمسين ألف كور ونه يبدأ الإذن خسعت ولاذت جزعاً أن لا يكون قد علم القديم منها تقصيراً وإفراط

فإنها لم تأت مراد الإرادة من مراد المريد، فأوجدتها بذات علم الوجود منزلة الرضا والقبول، فزادت خشوعاً وتضرعاً، ثم بدت المادة على ترتيب الرتبة الأولى إلى مختصين بإيجادها ما أوجدته المختصة، فوقفت في موقف سرعة الإجابة مرتبة الإذن في إضمار ما أكد عندها وتقدم به إليها في الجهاد والاجتهاد والإيجاد خمسين ألف كور، فلما أكمل لها ذلك جرت به الرتبة بالإذن في السير والمطاف في الحيث والكون وإيجاد الاصطفاء والاختصاص والضياء والنور والتجهر.

فمرت مسرعة في الحيث والكون توجد ذوات الصفاء، حتى تنهى بها المطاف والسير إلى حيث محل ذات الغضب وحزبه وكونه وإنه باقي في الحيث بكونه، فسارعت ولم تقف كوقوفها في المطاف الأول والسير الأول، فمرت على الكون في الحيث بوجود ما أوجدته في ذهابها، فنزل ذلك الكون الذي هو برتبة الامتحان أن ذلك منها كفعل من سبق به وتقدم، فما زادت ذاتها على ذلك الوجود الأول ولا زاد لها من الضياء والنور غير الزيادة الأولى وكان ذهابها في الحيث والكون في المطاف والسير خمسين ألف كور، ورجوعها إلى الحيث الذي كانت فيه خمسين ألف كور، فأدام لها ذلك في المطاف والسير مثل مطاف المختصة وسيرها واجتهادها وإيجاد محل الاصطفاء والاختصاص والصفاء والنور والتجهر، فلم يزد لها بذلك في الضياء الأول الذي قد اقتدحه من المختصة في أول رجوعها عند تركها للوقوف في المحل الذي فيه حيث كون الغضب وحزبه، وكان ذلك سبعة مطافات وسبع رجعات وسبعة مواقف في محل حيثها، فأكملت بذلك ألف ألف كور وخمسين ألف كور، فكان بذلك الخمسين ألف كور تنمّة الألف كور ومائة ألف كور، فلما أكمل لها ذلك من الاجتهاد والجهاد والإيجاد كما أكمله للمختصة، أوقفها بحيثها ولم يبد لها الإذن، فخشعت ولذت كخشوع المختصة حذراً وخوفاً من أن تكون قصدت عن مراد إرادة المريد، فأوجدا بضياء علم القبول وإيجاد الرضا ومحل الستة بامضاء ما أمدت به وحسن اجتهداها وجهادها، فزادت خشوعاً لذلك، وبدت المادة بامضاء المراد المؤكد به إلى النجباء وهي الثمانية وعشرون، فأبدت ذاتها إلى موقف إذن، فوقفت فيه خمسين ألف كور كوقوف من سبق له الإذن في عطاف والسير.

فلما أكمل لها الأمد بدا لها الإذن، فسارت وطافت مجدة مجتهدة في الكون بإيجاد ذات الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر، فكان أمد مطافها في الكون الممتحن، والحيث خمسين ألف كورٍ إلى حيث تنهى بها المطاف إلى حيث محلّ كون الغضب وكونه وحزبه، فلم يقف ذلك الوقف وبادرت الرجوع. توجد ما أوجدته في بدو سيرها ومطافها إلى أن وقف بالحيث الذي كانت به واقفة، فلم يبد للكون الممتحن بذلك من فعل النجباء إلا أنه كفعل من سبق بفعله، فلم يزد لها في وجود ذلك شيء غير ما وجدته من المختصة، فبذلك لم يزد لها في ضياء نورها، وكانت بحالها، فداوم لها المراجعة بالمطاف والسير والحيث، كما داوم للمختصة سبع مراجعات في السير والمطاف وسبع درجات إلى المحلّ الذي منه بدا سيرها ومطافها.

كلّ مطاف خمسون ألف كورٍ، وكلّ رجعة خمسون ألف كورٍ، وكلّ وقفة خمسون ألف كورٍ، حتّى أكمل لها من الأكوار ما أكمله للمختصة والمخلصة وهي ألف ألف كورٍ وخمسون ألف كورٍ، ثمّ وقفت وقفة الانتظار للإذن مثل وقوف من تقدّم وهو خمسون ألف كورٍ، فتّم لها ما تمّ للمتقدّم ألف ألف كورٍ ومائة ألف كورٍ، فلما كمل لها ذلك على كمال ما سلف لم تحدّ بالإذن، فخشعت ولادت خشية من التقصير والتفريط بإرادة مراد المرید، فأوجدها بضياء ذات وجود الفهم ووجود القبول والرضا، فزادت خشوعاً وتضرّعاً.

ثمّ بدت المادّة بإمضاء مراد المرید فيما أكّده وقدّم به إلى الإثني عشر، وهم النقباء، فبدت إلى موقف الإذن في المطاف والسير، فوقفت فيه خمسين ألف كورٍ حتّى أمرت والسير في الكون والحيث، وإيجاد الاصطفاء والاختصاص والصفاء والضياء والنور والتجهر للكون الذي هو برتبة الممتحنة، فسارت وطافت تبدي الاجتهاد والجهاد والإيجاد للكون خمسين ألف كورٍ حتّى تنهى بها السير إلى الحيث الذي يحلّه الغضب وكونه وحزبه، فأبدت الرجوع من غير وقوف كما أبداه من تقدّم في السير والمطاف والإيجاد.

فلم تجد الممتحنة بإبداء ذلك من الإثني عشر إلا أنّه كما بدا من المختصة الأولى ولا زادها وجودها فيه شيء غير ذلك، ولا زاد لها من النور غير ما أبداه له، فداومت الإثني عشر وهي النقباء تلك المراجعة للمطاف والسير وانوقوف في

الحيث سبعاً على ما مضت به مداومة النجباء والمخلصين والمختصين، فكان كمال ما أكمل لها عند تنامي الوقوف الذي هو وقوف الانتظار للإذن ألف ألف كور، ومائة ألف كور، فلما أكمل لها ذلك لم تمدّ بالإذن، فخشعت ولذت خشيةً مما خشيه من كان تقدّم بالخشوع، فأوجدها القديم بذات بصيرة الفهم وذات القبول والرضا، فزادت خشوعاً وكانت بحيثها من موقف محلّها، ثمّ بدت إرادة المريد بامضاء ما أكّد، فمدّت المادّة بالمراد إلى الثلاثة، فبدت إلى موقف الإذن، فوقفت فيه كوقوف الاثني عشر، ومن تقدّم من رتب أهل المراتب النورانية حتّى بدا لها الإذن في السير والمطاف، فطافت وسارت سير من سبق وجرت بها الإمادة التي جرت.

ثمّ طافوا وساروا واجتهدوا وجاهدوا ووجدوا، فأثروا من ذلك كلّ كمال ما أكمله من سبق إيجاد الاصطفاء، والاختصاص، والصّفاء، والضياء، والنور، والتّجهر. فلم يبد بذلك كلّ لكون المرتب بالامتحان زيادةً هو كوجود البدو الأول، وأنّ جميع الظّهورات بعدّ واحد، ذلك وثانيه إذ كانت في المبدية له، فلما كمل للثلاثة ذلك من أمر المدى وقفت بعد تنامي الجهاد بموقف الإذن، فلم يبد لها الإذن، فخشعت ولذت، فأوجدت وجود القبول والرضا وزادت خشوعاً، وبدت المادّة بامضاء ما أكّده القديم، وألزمه إلى الباب، فظهر الباب بموقف الإذن، فظهر بظهوره في موقف اليتيمين وهم النّجمان المقترنان، وذلك أنّه أبداهما بظهوره بمادّة القديم إلى الباب وأنّه يظهر هما بظهوره إذا ظهر وأوجدهما معه بحيث أوجد ذاته، ويشهد أنّه حيث شهد من كونه وحيثه، فظهر اليتيمان بظهوره ليبيديهما بحيث بدا ويحلّ بحيث حلّ ويوجدهما بحيث وجد. كلّ ذلك تشريف لهما بمادّة القديم إلى الباب بتشريفه له بظهوره بذاته وإيجاده في الحيث والكون.

وكان ذلك ليبيدي ظهور الباب بذاته مع القديم في الكون والحيث، فوقف الباب واليتيمان لموقف الإذن وقوف الترتيب الذي رتبّه القديم في هذا المطاف الثّاني والسير الثّاني. حتّى بدا إذن القديم إلى الباب واليتيمين بالسير والمطاف، فسار الباب وسار اليتيمان بسيره وطافا بمطافه وجاهدا بجهاده وأوجدا بوجوده في جميع الكون والحيث، فأوجد الكون الامتحان وأبدى فيه ما كان أكّده القديم من إبداء إرادته بالاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضياء والنور والتّجهر.

وعاد ذلك بالمطاف والرجوع إلى تناهي الكمال من الوقوف الأول. فكرت
بأمد ما سبق من الأكوار لمن سبق له المطاف والسير فيهم، وكان مدى ألف ألف
كور ومائة ألف كور، ثم بدت إرادة القديم بالظهور لها بذاته ووجوده إيّاها كنه
قدرته فظهر بالمهل المبدّر المقمر الذي هو كنهه ونعته وذات ظهوره، وأظهر الباب
بظهوره بذاته وكونه الذي كان يظهر به القديم في بدو ظهوره في الحيث والكون،
فبدأ الباب بقدم ظهوره بين يدي ظهور القديم ويؤجده في الحيث والسير إليه محلّ
القدرة والتكوين، فكان السير والمطاف في الحيث والكون خمسين ألف كور حتى
تتأهي المطاف والسير إلى حيث محلّ الغضب وحزبه وكونه، فأبدى القديم ذاته
لكون الغضب وحزبه، فلما بدت ذات المكون القديم لكونه آلي كونه ووجد به وأوجده
الغضب في الحيث ذهب عن الحيث هو وحزبه حتى بدا كونه من الحيث وخلا
المكان من كائن وأبدى ذاته بوجود التكوين للكون الذي هو برتبة المحنة، فأوجدها
ذاته بحقيقة كون وجوده بالقدم في الأكوان، وأبداها لمعانية حيث الغضب وكونه
وحزبه الذي أبدى الملاحظة له، فمحتت بهذه المدة بطول هذا الأمد والوقوف به على
ما يحلّ به، ثم يحلّ المزاج بكون الغضب وحزبه حتى يخلص من الممازجة، ثم
يزول عن الممازجة إلى رتبة التوفيق، ثم يدفع إلى إبداء ما أبدى لها ومعاناة ما
عويّنت به حتى تبدي من كونها، وعند صفاء المزاج منها يوجد خلاصها لمن هو
دونها فيقضي بذلك منها من طاف بها ويسير من سار فيها ويطوف لهم ويسير
ويبدي ويجاهد من دونها كما جاهدت، وتكون داعية من دونها كلاً فكلّاً من رتبة بعد
رتبة، وذلك أنها في الامتحان على رتب مرتبة تسبق كل رتبة من هي دونها وتكون
السابقة داعياً للتي هي لاحقة بها، فلذلك وقعت به رتبة الامتحان.

فاعلم ذلك يا محمد بن جندب، وثبته وقف عليه واعلم أن كل سبب حتى أنه
ليكون سببه بإبداء كلمة واحدة من هذا العلم فيودعه في قلب المستمع، فيطلب بتلك
الكلمة غاية هذا العلم ويحييه عند ذلك حتى يتكامل له عند معرفة ما أبدى له سببه
في ذلك كله، ذلك المبتديء إليه الكلمة الأولى.

فلو أنه زاد في علمه ووجوده على سببه ما كان له سبب سيّد من أول الذهر
إلى آخره، فإن أردت أن تعرف حقيقة سيّدك فلا دليل إلا هو، وذلك كان موقفاً
لإيجاده، وتلك الكلمة في بدو التكوين فضله بذلك ثابت وحقه لازم وطاعته

مفترضة مقرونة بطاعة القديم، وقد أوجب الله عليه شكره ومن قصر عن معرفة حق السبب وطاعته وتعظيمه فعن معرفة الله قصر، ومن كان كذلك تزايد به الامتحان، فليلق له ولياً يأخذ بأمره وينقاد إلى تأديبه فقد أحسن بالتأديب وأوضح بالترغيب.

القول في التناسخ

يا محمد بن جندب، فلما أبدا كون الرتبة الممتحنة للحيث الذي قد كان فيه محل الغضب وكونه فعينه خلوا من الموجود الذي كانت تجده فيه بدا لها بمحل حيث بذات القديم المكون ووجدت ذاته أنه القادر على كون ما بدا لها وأوجدها، فخرت على هفوة الإطراق من الملاحظة لعظمة القادر على ما أبدى وسلمت نفسها بأنها ذاهبة كدرها بالغضب وكونه وحزبه وهو المزاج، فزاد بذلك التسليم فيها أن بدا لها من الضياء والنور مثل الأول، وهو مثل انخراط الضوء في سم الخياط، فكان ذلك يا محمد بن جندب بعد تطاول تلك الأكوار والجهد والاجتهاد والظهور والإيجاد والمعاناة في بدو الكون قبل المزاج والاختلاط بالظلمة، فكيف يكون من هو مداوم في المزاج والظلمة والردة والكر في تناسخ الأجسام وأكبرها محنة في الممازجة وهو من غرائب علم الباطن ودقيقه أكل لحم المسوخيات.

فإنه إذا مازج ذلك السطح معترفاً أسهكه وأخبئه فيحتاج أن يدب بما أكسبه ذلك المطعم من المسوخية عن السطح الخاص حتى يعود إلى حاله ويذهب عنه السهك والخبث، وذلك مثله كمثل الثوب الذي يلبسه الإنسان وهو بجذته، ويفسله نظيفاً بمنظره ورائحته وملمسه، فلا يزال يلم به الأنداس حتى يوسخه ويدنسه، فيحول عن حال ما كان عليه وبه من منظره ورائحته وملمسه، فإن عاجله لابس بالمعاودة إلى غسله وتنظيفه جذده وعاد إلى حاله الأول بالمنظر والرائحة والملس، وإن أدامه بملابسة الأنداس والأوساخ أتلفه وذهب به، فاعقل هذا وتبينه وأمر به فإنه بلا عوج فيه ولا أمت، وتدانت الأكوار بقدر تباعدها، وتجمعت بعد تفريقها، فأدامها كذلك مائة ألف كور، ثم أمد الأزل الاسم بإيجاد الأكوان الثانية قبل تكوين بدنها وحيثها، فأبدى الاسم إلى الباب أن يسير الكون الأول ويبيده باحتجابه عند غيبته

فسيرها الباب بسيره وأحلها بما أبداه إليه الإسم والكون الأول سائرة مخصصة بالسير والرتب والمنازل والدرج وغيرها من الأكوان المحدثه بعدها غير سائرة ولا جائلة بل رتبها عند تكوينها بأسمائها به وكونها له وهو قوله بالنطق: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ»، والنجوم التي تنقض لا يعرف لها اسم ولا محل ولا حيث ولا تنزل منازل غيرها، وهي من الأكوان الثانية والكون الأول هي السيارة التي رتب في المنازل والأسماء والنوعت وهي التي تحل بحيث يقع سعد ونحو في هذا العالم البشري بحسب بسطتها فيه وقدرتها عليه، وهي التي تظهر بظهور المعنى والاسم والباب في العالم البشري، وتقع بهم التسمية والمراتب والدرج والتفضيل منزلة بعد منزلة بحسب ما رتبها في السبق عند بدو الكون فوجد بها الأكوان بالسير والأحيات كلها ووجدت ذاتها بحيث التوقيف من السير إلا أنها بادية موجودة العيان والتجوهر والنور في كيان ذات واحدة في التكوين النوراني، فوجدت بذلك فضل الكون الأول على كونها بحلولها مع الاسم والباب بحيث خلا من كون أحيات قدرة المقتدر على الملك، فتسلمت الرضا بإرادة المريد إلى ما أرادها له، فذهب بذلك عنها التعب والنصب والوسخ والدس والممازجة وعكر البشرية، فوصفهم بالصابرين والحافين والمسبحين والكروبيين والروحانيين، فكل كون حيث خصه بنعت وسماء الكون الأول باسم فقال الملائكة المقربون المقرب من المعنى الأزل والاسم والباب هو الرتب العالية وهي التي غصها بإيجادها معه في جميع أحيائه وظهوراته في النورانية، وعند وجوده في البشرية.

فهذه إدامة دام بها الكون الأول والكون الثاني، فلما جمع الأحيات وأخلط الأكوان وأبان فضل الكون الأول على الكون الثاني بما شرحته لك من السير والحلول بحيث حل الأزل والاسم والباب أمد لذلك أمدأ مداه له سبعة آلاف ألف كور لا يبدي في شيء من التكوين إرادة وليس في ذلك كله متجوهر موجود الجوهر بالعيان غير الإسم والباب المستخص المصطفى المختبر وهو النجم في نعت التسمية للوجود، فلما أتم مراده الذي أمد الإرادة إلى الإسم بإيجاد أن يبدي من صفو الكون الأول ذاتا تكون للنجم فيه إرادة كإرادته وهو النجم، فأبدي الاسم ذلك إلى الباب، فلما أتقنه من علم مكوته وأنه قد أمدّه بإبداء ما قد كوته وأنه يختبره به ويدل به

عليه، طاف الباب بالكون مائة ألف كور بدوام ملاحظة المنازل والدرج والرتب، فلا يحل بمحل يبدو له فيه فضل وجود يديه، إذ كونها يكون لا خلل فيه ولا تناقض، وأما النور فهو ذات واحدة لم يبد من حال إلى حال، ولا دخلت عليها علة الاختبار، فهي صفاء ذاتها بذاتها، فعاد بحال العود إلى البدو من مكونه، فعلم ما أمر له وقصد فيه ما أمده بالإطاف كذلك على دوام الأمد مائة ألف كور، وعاد العودة الأولى على البدو من مكونه، فعلمه كعله الأول، فأمده بالإطافة، والثالثة فطاف ثلاثة، كذلك على دوام الأمد مائة ألف كور وعاد كعود الثالثة على بدو من مكونه، فعلم مراده، فأوقفه عن وجود ما أمده يبدنه مائة ألف كور، ثم نعتة على إيجاد مدى الاسم به للنجم بإبدائه الباب إلى النجم، فعلمه النجم من الباب.

ثم إن الاسم أمده بمراده، فكانت المادة إليه من الاسم والباب في المراد وهو وجه ما شرحته لك من اختصاص الاسم له كاختصاص المعنى للباب، فلما تم فيه وجود المراد منه ومن الباب أوجد السير والمطاف في الكون كله، فطاف الباب يرتقي في سيره ومطافه لا يخلو منه عند كل حلول به يحله حتى طاف كإطافة الباب في بدو ما أمده الاسم بإبداء صفوه من الكون، ثم وقف به الأمد على ضياء نور ذلك الكون كله، فلاحظه بمداومة الفكر فيه در الكون مائة ألف كور، ثم قرب من تدانيه إليه بملاحظة وجوده إياه مائة ألف كور، ثم لامسه ملازمة الموانسة له مائة ألف كور، ثم قاربه بحيثه، فحل معه في درجته مائة ألف كور، فوجده في جميع ذلك غير بائن عن كيانه ولا متناكر لما يورده عليه، بل يزيد بكل ذلك ضياء ونورا، وذلك من قرب الاصطفاء الواقع به والاختصاص الذي قد استوجبه، فلما ثبت له عند النجم ما ثبت له من علوه في جميع تدانيه منه أراد أن يوقع إليه نطقاً ويظهر له بجوهر، فأمده الاسم، فعلم أن ذلك الباب بدوه، فرجع عن ذهاب ما أهم به، وقصد محله الذي أوجده الاسم وهو الباب بجوهرة الذات، فأمد إليه وجود موجوده، ونعت ما بلغ به في ترتيب الإرادة، فظهر له الباب بجوهرة الذات التي تجوهر لها، فلما بدا له وظهر أكبره وأعظمه ولاذ به وأشار إليه، وخفض له كما خفض للنجم الأول، لا بل أراد بخفضه لو يظهر تناكر ما أبدياه إليه وأظهره له، فعند ذلك خوطب بخطاب الوجود بالنطق حين قال: «واخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا» وهو الصغير نعت به مذ حين هذا

الخطال، فصار في وجود الظهور بالبشرية معرفة نعتة اليتيم الأصغر لأنه أمر أن يبدي ذلك منه فيه ويقرّبه له، فكانت إرادة الأمد له والوجود له في هذا النطق الاسم على لسان الباب إذ نطق على لسان نطقه وأمره، فكان هو الربّ المسؤول. واللذان أمر بالخفض لهما هما والداه اللذان ربّياه إلى وجود ذات المراد، واصطفياه بمداومة الإيجاد وهما الباب الذي هو الشمس والنجم الذي أقرن إليهما وهما سلمان والمقداد، فأمره الاسم إذ كان هو ربّه بتعظيمهما والقبول منهما حين قال: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا» فأكد بهذا النهي وألزم الطاعة، فقبل ذلك وصار إليه، ولم يخرج به عنه ظن ولا وهم، فأجاب إجابة واحدة وانقاد انقياداً واحداً حتّى حلّ بحيث النجم وبدا يلوذ بالباب، فأثبتته في ذلك المحلّ من المنزلة مائة ألف كور، ثمّ أبدى له وجود تجوهره، فتجوهر بمائة ألف كور، وحلّ محلّ النجم يبدي معه قبل أن يبدو بدء كونه مكوّن من الأكوان النورانية، فإذا أبدى وقارب النجم الأول وأوجد ذاته وعيانه وأعاد وأبدى بوجوده، وذلك أنّ الاسم أنحله من الباب والنجم ما أنحله الاسم من الباب، فجعله في مواقيت الظهور باطناً وجعلته البشرية المقصورة ظاهراً في مواقيت الصلاة التي هي المغرب، فقالوا: لا نصلي المغرب، إلّا أن يظهر لنا ثلاثة أنجم في الأفق، ويغيب الشفق، ولم يعلموا قول من أشار بهذا لهم إلى ما أشاروا أين كانت الإرادة منه، ولكن عقله قوم وأنكره آخرون، فذهبوا منه إلى حيث بهم الوهم، فأنحله الاقتران مع النجم، فأعظم ما يتواعد به هذا العالم وأكثر ما يعظمون وصفه إذ قالوا إذا اقترن النجمان يكون كذا وكذا، ويصفون ما يبدو عند ذلك الاقتران، يعظمونه حتّى يذهل الخلائق ويفزعون من اقترانهما، وهما مذ حيث اقترنا في بدو الاختصاص ما افترقا، ولكنه إذا ظهر بذاتهما بين يدي ظهور الباب يذهل أهل الشكّ، ويتحقق أهل الإخلاص أنّ الموجود قد قرب عيانه، لأنه يكون بدو ظهور اليتيمية والباب، ثمّ ظهور الاسم، ثمّ أرى ذات الأزل بإيجاد الظهور بما يبديه في العالم، وكذلك أبدى ظهوره في الأكوان النورانية عند اقتران النجمين، وذلك لما تكاملت موجودات الأكوان كلّها على ظهور خمسة موجودات، فكان من ذلك ظهور الأزل وظهور الاسم وظهور الباب وظهور النجمين، فلما كمل لها ذلك من وجود ظهورها بالنور والتجوهر وأوجدت من بعد ذلك ظهورات الدعوة بالذات كانت الدعوة من الاسم وهو الله كما قال إنّ الله دعا نفسه إلى نفسه، فكان الاسم الله والدعوة إلى الأزل، فلم يكن يبدي الدعوة إلّا بنفسه في جميع الأكوان عند اقتران

النَّجْمِينَ الْمُسْتَخَصِّينَ، وكذا رَتَّبَ الدَّعْوَةَ فِي الظَّهْرِ فِي الْبَشَرِيَّةِ بِنَفْسِهِ يَدْعُو إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، لَمْ يَدْعُهَا لَهُ بِالرَّسَالَةِ ذَاتَ دَعْوَةٍ لَا يَبْدِي إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ لَمْ يَدْعُهَا لَهُ بِالرَّسَالَةِ ذَاتَ دَعْوَةٍ لَا يَبْدِي عَوْنًا عَلَى الْإِنْذَارِ وَالتَّبْلِيغِ.

فَإِذَا أَبْدَى الدَّعْوَتَيْنِ رَتَّبَهُمَا وَأَوْجَدَ وَجُودَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِمَا مِمَّنْ يَسْرِعُ الْإِجَابَةَ وَالْقَبُولَ أَبْدَى ذَلِكَ مِنْ مَجِيبِ الْقَائِلِ إِلَى مَنْ قَدْ أَسْمَعَهُ الدَّعْوَةَ، فَيَبْدِي إِلَيْهِ حَدَّ الْقَبُولِ وَوُجُودَ الْإِجَابَةِ وَأَوْضَحَ مَا أَجَابَهُ إِلَيْهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْإِخْتِصَاصِ وَالْإِخْتِبَارِ كَمَا كَانَ فِي بَدْوِ الْكُونِ فِي النُّورَانِيَّةِ مُسْتَخَصًّا مُصْطَفِيًّا مُخْتَبَرًا أَبْدَاهُ فِي كَوْنِهِ لِلْوُجُودِ وَأَمَدَهُ بِقُدْرَتِهِ إِلَى جَمِيعِ تَكْوِينَاتِهِ وَإِظْهَارِهِ بِتَجَوُّهِرِهِ عِنْدَ ظَهْوَرِهِ بِالتَّجَوُّهِرِ الَّذِي أَبْدَاهُ عِنْدَ وَجُودِ التَّجَوُّهِرِ لِمُرَادِهِ وَإِظْهَارِهِ وَإِخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ بِالتَّجَوُّهِرِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ وَجُودَ الْخَمْسَةِ الْمُتَجَوِّهِرَةِ فِي جَمِيعِ الْكُونِ وَالْحَيْثُ حِينَ أَدَمَهُ وَأَخْلَطَهُ وَبَثَّ كَوْنَهُ فِيهِ بِذَاتِ الْمَهْلِ الْمُقَمَّرِ الْمُبْدَرِ لِدَعْوَةِ الْأَكْوَانِ وَإِيجَادِهَا ذَاتَ مَا اسْتَخَصَّهُ مِنْ تَكْوِينَاتِهِ الَّتِي قَدَّرَ كَوْنَهَا وَأَنَّهَا صَفْوَةُ تَكْوِينَاتِهِ الْمُبْتَدَأَةِ فِي الْحَيْثِ الْأَوَّلِ وَالْكَوْنِ الْأَوَّلِ فَعَظَّمَتَهَا وَنَزَلَتْ ذَاتُهَا كُلُّهَا دُونَ ذَاتِ صَفْوَةِ الْمُخْتَصَّةِ الْمُصْطَفَاةِ، فَلَمَّا أَمَدَ وَجُودَ ذَلِكَ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ أَمَدَ الْبَابِ وَالنَّجْمَانَ لِلْحَيْثُ بِإِبْدَاءِ مَا أَبْدَاهُ وَإِظْهَارِ مَا دَعَا إِلَيْهِ وَوُجُودَ مَا أَوْجَدَ لَجَمِيعِ الْكُونِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، فَأَظْهَرَ بِالتَّجَوُّهِرِ وَإِبْدَاءِ كُلِّ جَوْهَرٍ مَادَّتَهُ فِي النُّورِ فِي الْكُونِ، فَكَانَ الْبَابُ مُبْدِيًا قَدَمًا يَوْجَدُ ثُمَّ الْمُسْتَخَصِّونَ تَعِيدُ عَلَى جَمِيعِ مَكُونَاتِ الْمَكُونِ فِي الْحَيْثُ، فَكَانَ أَمَدُ ظَهْوَرِ الْأَسْمِ فِي ظَهْوَرِ إِيجَادِ التَّكْوِينَاتِ مِائَةَ أَلْفِ كَوْرٍ، وَأَمَدَ الْبَابِ وَالنَّجْمِينَ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ لِأَنَّهُ أَمَدَ أَمَدَ التَّدَانِي لِلدَّعْوَةِ وَوُجُودِ التَّجَوُّهِرِ فَأَقَامَ ذَاتَ الْكَرِّ وَالْكَوْنِ بِهَذَا الْأَمَدِ لِيَبْدِي فِيهِ زِيَادَةً إِلَى أَنْ كَمَلَ مُرَادَهُ فِي صَفْوَتِهَا وَاصْطِفَائِهِ فِي مَنْ لَحِقَ بِالنَّجْمِينَ، فَكَانَتِ الْمِائَةُ أَلْفَ كَوْرٍ مِنْ الْأَكْوَارِ وَالْأَحْيَاثِ الثَّانِيَةِ وَالْكَوْنِ الثَّانِي فَكَانَتِ خَمْسِينَ أَلْفَ كَوْرٍ مِنَ الْأَكْوَارِ وَالْحَيْثُ الْأَوَّلِ وَالْكَوْرِ الْأَوَّلِ لِإِبْدَاءِ الثَّلَاثَةِ بِالتَّجَوُّهِرِ وَالْوُجُودِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ ظَهْوَرِ الْبَابِ وَالتَّيْمِينَ اللَّذَيْنِ هُمَا النَّجْمَانِ بِإِبْدَاءِ مَا أَبْدَاهُ وَظَهْوَرِ مَا أَظْهَرَهُ جَوْهَرَهُ وَأَعْلَنَ مَا دَعَا بِذَاتِهِ إِلَيْهِ وَحَقَّقَهُ بِجَمِيعِ مَكُونَاتِ كَوْنِهِ أَمَدَ الْبَابِ بِإِخْتِصَاصِهِ النَّجْمِ الثَّانِي كَمَا اخْتَصَّ هُوَ النَّجْمُ الْأَوَّلُ وَاصْطَفَاهُ بِأَنْ يَبْدِي إِلَيْهِ إِرَادَةً مَا أَمَدَهُ بِكَوْنِهِ مِنْ تَكْوِينَاتِهِ أَنْ يَبْدِي إِلَى النَّجْمِ الْأَوَّلِ أَنْ يَبْدِيهِ بِاصْطِفَاءِ مَنْ يَصْطَفِي وَإِخْتِصَاصِ مَنْ يَخْتَصُّ وَإِخْتِبَارِ مَنْ يَخْتَبِرُ حَيْثُ بَدَأَ مُرَادَ إِبْدَاءِ اللَّهِ فِي مُرَادِهِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ وَكَوْنَهُ الَّذِي كَوَّنَهُ بِهِ،

فأبدى الباب ما أمده به الاسم إلى النجم الثاني وأبدى مراد الاسم فيه إلى النجم الأول وأمره أن يبدي إليه كما بدا هو إليه عند مراد الاسم له بما أمر، فطاف النجم الأول مراد الباب وما أبداه إليه وأمه بعلمه كما قيل، وأطاع الباب مراد الاسم وأمره، فأمد الباب النجم الأول والنجم الثاني بإيجاده ما أوجده ورتباه لما أمر به، فبعثاه في الحيث والكون جمعاً بالمطاف فيه والسبق، فطاف وسار في الحيث خمسين ألف كور كما كان بدو ظهوره مع الباب والنجم الأول لا يحل بحيثه كرتبته من تكوين كيان المكون إلا وجدته في تناهي الضياء والنور والمنزلة سواء كما كان وجوده حين وجد النجم الأول في مطافه بالحيث والكون، فلما أكمل له أمد الخمسين ألف كور حل بمحل من الحيث فوجد به ثلاثة أكوان بذات التناهي جميعها في الضياء والنور ووجودها متقاربة متعاطفة الضياء والنور بعضها على بعض حتى أنها من شدة ضياء نورها وكمال ذاتها لا تبين لناظرها أنها مختلطة الكيان جمعاً، فوقف مقابل المحل الذي قد حله ورتب فيه خمسين ألف كور يرتقب الملاحظة لكونها والاختبار لحيثها من محل ثم إنه دنا لوجود ذاته أتاها إلى حيث تجامع ضياؤه بضياؤها، فوجدتها ثابتة الكيان جميعاً، فوقف مقابل المحل الذي قد حلت ورتبت به خمسين ألف كور يرتقب الملاحظة لكونها واختباراً لحيثها من محل.

ثم إنه دنا لوجود ذاته أتاها إلى حيث تجامع ضياؤه بضياؤها، فوجدتها ثابتة الكيان جمعاً واقفة في محل لم يخرجها عن وجوده دنو ذلك المبتديء لها بظهوره ووجوده عن حال إحلال ما وجدته أولاً من ظهور الأزل له، وإثبات ذلك عندها، وظهور الاسم لها، وإثبات ذلك عندها، وظهور الاسم لها، وظهور الباب والنجمين لها، وإثبات ذاتها عندها، فوجدت القدر كل قدرة حقيقة إيجادها لما بدا لها بحقيقة إيجادها، فلما بدا لها ظهور النجم الثاني وعلا تفرده وأوجدت ذاتها ذاته على حقيقته

خبر أبي الذرّ

دخل أبو ذرّ على سلمان وعنده المقداد جالساً يحدثه، فلما دخل أبو الذرّ أقبل عليه سلمان وقال له: يا أبا الذرّ، إن لي إليك حاجة، وقد أردت أن أبديها إلى المقداد وأسأله إمضاءها، فهل أن تبلغ ما أريده منها؟

فقال له أبو الذرّ: كيف يسعني أن أفرط في أمرك ولا تنتهي إلى بغيتك، إذ قد أهلتني لتفضلك؟

فقال له: أن تأخذ كتابي هذا إلى ملك الحبشة، فإن مراد مولاك في وصوله إليه، وتعود منه بجوابه عما ضمّنته.

فقال له: سمعاً وطاعة، فهلمّه إليّ.

فاستخرج كاتباً كاد أن يكون كسير من سير أديم الطائف، فدفعه إليه، فقال عند ذلك المقداد: يا سيدي يا سلمان، قد ذكرت أنك تبديني بذلك وأنه لما دخل عليك أبو الذرّ ملت إليه عني، فأشركني معه.

فقال: يا أبا الذرّ: خذ المقداد معك بحيث تريد.

فقال أبو الذرّ: الأمر لك يا سيدي.

قال أبو الذرّ، فخرجنا جميعاً من حضرة سيدي سلمان، فلما صرنا بالباب قال المقداد لأبي الذرّ: متى تجدّ بالمضيّ إلى حيث أمرنا به سيدي سلمان؟

فقال: وقتاً تراه.

فقال له: إنّي أمضي وأقضي وأكذّ حالاً، وآتيك به.

فقال له أبو الذرّ: إنّي فارغ من وطري وتأكيد حال، وإنما حيث أمر به سيدي هو وطري وتأكيد حالي.

فقال له المقداد: إن المسافة طويلة ولا بدّ من العدة.

فقال له أبو الذرّ: فذاك إليك، فمضى المقداد بحيث أمره من مقصده، وخرج أبو الذرّ عن جدران المدينة، فإذا بفارسٍ عنى فارسٍ أشهب، بيده كتابٌ مدرجٌ، فلما بصر به أبو الذرّ قال له: من الرّجل؟

فقال له: أنا ملك الحبشة، وهذه بلادِي.

فقال له أبو الذرّ: إن المدينة من أرض الحجاز. والسّاعة خرجت عن جدرانها وتقول إنه بلاد الحبشة وإليه مقصدي وإني مكنه موفدي؟

فقال له الفارس: تبين حيث أنت تجد حقيقة ما قلته لك صحيحاً، فنظر أبو الذرّ وتبين أين هو، فإذا هو بين شواهِقٍ وبحارٍ نوافقٍ، وجزائرٍ لواحقٍ، وعالمٍ غواسقٍ لا بعدهم ولا يحصيهم إلا مبدئهم.

فقال عند ذلك: غفل أبو الذرّ عن المراد به، فهنّك.

فأخرج أبو الذرّ الكتاب، ودفعه إليه، ففضّه الفارس، وجعل كلّما مرّ في بسطة تلك الأرض والجزائر معه، وأبو الذرّ معه، حتّى عاين جميع تلك الجزائر والأمكنة والبقاع، ثمّ قال له الفارس: يا أبا الذرّ قد حملت شيئاً عظيماً وأعطيت أمراً جسيماً، وهذا من نعم مبدئيه إليك وعليك، وإنّ الذي أتيت به لا يحمل إلا من حمّله أولاً ولا يورده إلا من أورده أولاً، يا أبا الذرّ: هل تعرف ما أبديته إليك بنطقي هذا؟

فقال: إنك لتقول عرفني ذلك وقل حتّى أسمع.

فقال الفارس: إنّ الهدهد حمل هذا الكتاب وأورده إليّ في هذا الموضع، وهو الذي أهلك وحملك إياه، وأنا كنت بالأول، وأنّ الذي أورده إليّ الهدهد بهذا الوصف الذي وصفت الهدهد حين قال تعالى: «أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجِئْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فأنا كنت تلك المرأة، ولهم ملكة كما ملكتهم في هذا الوقت، وإنّي كنت أسجد للشمس تعظيماً، وهي شخص من أوردت كتابه حتّى بدت له في إرادة القبول فقال: «نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا» أي نكروا لي ذلك الوجود حتّى وجدت غاية الشمس وكون ذاتها، فبدت الحقيقة حين أبان في كتابه:

«إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فوجدت بالحقيقة أَنَّ الشَّمْسَ من ذات تكوينه، فأجبت بقولي: «رَبُّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فكان ذلك إقراراً مِنِّي أَنِّي عرفت غاية سليمان وسلمان وأنه رَبُّهُمَا، وأنا في هذا الحين ملك الحبشة أملكهم كما ملكتهم أولاً، فخذ جواب كتابك وارجع به إلى مولاك (سلمان) المان -أمان الله عليك-، فإنه لما أراد أن يبين منزلتك على منزلة المقداد بأنك ستعود جوابي ذلك الكتاب إلى سلمان والمقداد ما قضى بعد وطره وأكد حاله، ثم دفع إليه الكتاب الذي كان بيده، فأخذه منه، وأثنى الفارس رأس الفرس وعطف أبو الذرّ بوجهه إلى وراء، فإذا هو بين جدران المدينة، فأكثر من حمد مولاة وجعل يسعى حتّى دخل على سلمان وهو جالسٌ بموضعه الذي خلفه فيه، فدفع إليه الكتاب وقال له: يا سيدي أوردت على أبي الذرّ شيئاً عظيماً وحملتَه أمراً جسيماً من أياديك ونعمك ومنك وإحسانك.

فقال له سلمان: لذلك استخصصتك وله انتخبتك، فأين المقداد، هل قضى وطره وأكد حاله؟

فقال أبو الذرّ: لا علم لي به وأنت أعلم، فبينما هما بالكلام حتّى طرق المقداد الباب ودخل فنظر إلى الكتاب في يد سلمان فقال: يا أبا الذرّ ورد كتاب ملك الحبشة قبل وصول كتاب سلمان إليه، فقال له سلمان: كلاً ولكنه لما وصل أبو الذرّ بالكتاب إليه عاد بجوابه إليّ.

فقال المقداد: ففي أيّ مدّة كان ما نقوله؟

فقال سلمان: في مدّة ما قضى المقداد فيها وطره وأكد حاله، فعلم المقداد أَنَّ أبا الذرّ استخصّصه سلمان من دونه بهذه المنزلة، وفضّله بها كما كان السيّد الأكبر استخصّصه بالمنزلة بعد المنزلة، وفضّله به السيّد محمد صلعم من حيث لا يوجد لها سلمان إلّا بعد كونها، فكانت هذه من رتبة الاختصاص لما اختصّ بها الباب لأبي الذرّ، وذلك في سبق كون النورانيّة، وكان الاستخصاص له بما أمده به ممّا شرّحته وأوقفتك عليه.

قال محمد بن جندب، فلما أكمل له الأزل ذلك الأمد وصارت جميع المصطفيات ذات كون طاعته أمد الباب بإرادة المريد في مكونات الحيث، فمدّ إلى

الثلاثة بعلم ما قد أوجده وأوجدها أن توجد تلك الاثني عشر وأمدّ الاثني عشر بإيجاد الثمانية وعشرين مراد التأييد الذي أمدّت له، فأمدّت الاثني عشر ذات الإطافة والسير الثمانية وعشرون في جميع الكون والحيث وإظهارها للكون محلّ ذاتها بالاصطفاء والاختصاص، فزرت وطافت بذات الحيث والكون جميعاً وأوجدت بجوهرها وحلوها في منازل الترتيب الذي رتبت به خمسين ألف كور، ثم عاودت فوقفت بإزاء الاثني عشر ترتقب منها الإذن فيما تأتبه بعد بمطافها ذلك وتسيرها، فوقفت خمسين ألف كور، فلما كمل ذلك وقوفها أمدّت إليها الاثني عشر بالمطاف والسير بحيث طاف من الحيث ثانية وأبدى ما أبدت، وإيجاد ما أوجدت وإظهار ما أظهرت، فسارت وطافت بالحيث والكون على تلك الحال الأول من الترتيب خمسين ألف كور توجد مجانستها وتجوهرها في الحيث للكون المكون فيه جمعاً حتى عاد بها السير والمطاف إلى حيث الوقوف الذي وقفته أولاً، فلما حلت فيه وقفت ذلك الموقف الأول خمسين ألف كور بإزاء الاثني عشرة ترتقب إبداء ما يراد بها من الإرادة، ثم أمدّها أمد الوقوف بما أمدّت الاثني عشر من كون مادتها بإيجادها السير والمطاف في الحيث والكون على ترتيبها الأول والثاني بالظهور والإيجاد والتجوهر، فسارت وطافت في الحيث والكون على كون مطافها وسيرها خمسين ألف كور وتداوم ذلك فيها بإرادة المريد المكون سبع تسييرات وسبع وقفات، كل سير منها ومطاف خمسون ألف كور وكل وقفة خمسون ألف كور، فتمّ بذلك على تناهي الأمد ألف ألف كور وأربعمائة ألف كور، وكانت تلك بعدة الاثني عشر والثلاثمائة ألف ألف كور الأولى حتى تناهى السير والمطاف، وهي وقفة الاصطفاء والاختصاص عند ظهور التجوهر، فكان مع المائة ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور لكل شخص من أشخاص الاثني عشر والثلاثمائة ألف كور اختصاصها الأزل بإرادة القديم في تكوينه حين رتبهم الاصطفاء والاختصاص، فأنحلها بعد الثمانية وعشرين لها في كل شخص أوجدها محلّه بالتجوهر قبل تجوهرها وخروجها عن رتبة إرادة التكوين إلى حقيقة الكون الخاص فيعبيدها برتبة الطاعة والتعظيم لكل شخص مائة ألف كور، حتى بلحق لها الصقاء والاصطفاء والاختصاص، فتحل محلّ الظهور بالتجوهر والمطاف والسير والرتب والذرج والمحلّ والمنازل، ويوجد اعتراف ذاتها على ذات غيرها ممّن في الحيث والكون اللذين كانا في وجودهما كهم، فلما أكمل لهم ذلك المدى احتجبت الثمانية وعشرون وظهرت الاثني عشر

بذات جوهريتها ووجود ذاتها، فأوجدت كنه عظمتها هي أكثر مما أوجدت الثمانية وعشرون وأعلى نوراً في كون الحيث في وجود ذلك وتحصيله، فكان من ظهور الإثني عشر بذاتها في الحيث والكون بما ظهرت به لا تابع بتبعها في الكون والحيث ولا متبوع يتبعه خمسين ألف كور، فلما تم لها ذلك احتجب وبنت الثلاثة بالظهور بذاتها في الوجود والتجهر، فأوجدت من ذاتها بالعلو والسمو والضياء والنور ما صغرت عند مكونات الحيث ووجود ما وجدت من الإثني عشر ووجدت أن الثلاثة أعظم وأكبر وأعلى ذات إرادة المريد في كونه الذي كونه خمسين ألف كور، فلما تم لها ذلك احتجبت الثلاثة عن وجودها، فظهر الإثنان بذات وجودها وجوهرها وضياء نورها وسنا علوها ورتبة اصطفائها واختصاصها، فأوجدت من ذاتها ما لطف وجود ما أوجدت الثلاثة من ذاتها في الظهور والوجود والتجهر، وكان ذلك من مبدي المراد خمسين ألف كور، فلما تم لها ذلك احتجبت وظهرت الشمس بذات جوهرها ووجود ذاتها من الضياء العام الذي به اكتناف كل ضياء ونور، فذهب جميع ما أوجده الكون من مختلف أشخاص الاختصاص والاصطفاء في عظم وجود ما أوجدت الشمس في ظهورها ووجوده وهو الباب.

و وقف الكون كله في الحيث بإذنه له وأمنت ذاتها أنه منير جميع ما أظهره لها وأن ضياءها منه اقتبسته وهو حيثها، وأصلها، فأبدى الباب ذلك خمسين ألف كور، فلما تم ذلك من مراد الوجود احتجب وظهر به المكون الذي كونه، فأحاله الوجود في الحيث وأبداه وأعاده، فأوجد كل نير من كون أظهره الذي ظهر به أولاً، وظهرت إرادة الأزل في كون كيان المكون الذي كونه للظهور به وهو المهل المبدر المقمر، وظهرت قدرة الإرادة كلها بظهوره، فأوجدت الكون كله أن كل موجود وجدته وظهور ظهر له مضمحل عند هذا الظهور والوجود وأنه موجد تلك الموجودات بظهوره وكون ظهورها، فكانت عند ذلك الوجود مسلمة بأنه غاية الكون والمكون للكون، فكانت بذلك في المنزلة الثانية من القبول والإجابة والنبات، فاستوجبت بذلك الإخلاص بالذي أخلصت له بالتكوين، فأبدى احتجاب وجوده وأبدى الاسم به بذات وجود وظهور وظهر بظهور الباب والنجمان والثلاثة والإثني عشر والثمانية وعشرون، فأظهرت ظهوراً واحداً جمعاً، فأبدت ذاتها في ظهور واحد، كما أبدته بالظهورات المتفرقة، فكانت في الحيث والكون بحال المطاف والسير،

وكلُّ تابعٍ للذي قد كان سببه وإمامه بالاصطفاء والاختصاص يتبع الثاني نحو-
والثالث للثاني في الحيث والكون لا يفتر منها مفترٌ ولا يفقد عنها متأخرٌ، خمسين
ألف كور، فلما تمَّ ذلك من إرادة مريد التكوين حجب جميع تلك الموجودات التي
أبدت الظهور، وأبدى الثمانية وعشرون بالظهور والوجود، ونعتها بالحيث والكون
وأمدّها بإيجادها ما أوجدت وبثَّ ما أدركت من رتبة الاصطفاء والاختصاص،
فطافت بالحيث والكون خمسين ألف كور تجري في منازل الترتيب ومحلّ الدرج
وحيث حلول المنازل، فلما كمل لها ذلك وحلّت بمحلّ من الكون وبدا لها بإرادة
المريد كون من التكوين قد أثار وأضاء وتشعّشع واستكمل في وجود ذاته وكيانه
حتّى ما تغادر منه شيء بشيء، قامت الثمانية وعشرون نحو ذلك، فوقفت بإزائها
ترامقها بمراد الوجود لها خمسين ألف كور.

ثمَّ إنّها دنت منه دنواً ثانياً حتّى حلّت منها في الحيث الذي هي حالة فيه،
فأبدت لها ذات وجودها وتجوهرها وعلوّ المنزلة فيما وجدته من الحقيقة بما ظهر
لها من الوجود، فأجابت بكون واحدٍ لم يتخلّف منها متخلّف وأخلصت بمعنى واحدٍ لم
تُمار فيه، فوقع بها من المكون اسم الاخلاص فيما أجابت إليه، فتجوهرت عند وقوع
هذا الاسم عليها، وكان حين أكمل لها الاختصاص والاصطفاء ذهبت في الحيث
حيث أمت منه وزالت عن محلّها الذي كانت حالة فيه وبعدت عن مكونات الحيث،
فصار الحيث الذي ذهبت فيه هو موضع رتبته الذي تحلّه وتنزله من محلّ السّماء
التي هي اسم الباب، واكتفتها الثمانية وعشرون تحوطها، فكانت بذلك الحيث خمسين
ألف كور، ثمَّ أبدى لها كون الإثني عشر، فداومها بالسّير والمطاف عليها مع الثمانية
وعشرين خمسين ألف كور.

ثمَّ بدا لها ظهور الثلاثة، فظهرت بحيتها ودامها بالمطاف والسّير بها مع
الإثني عشر والثمانية وعشرون خمسين ألف كور، ثمَّ بدا لها ظهور النّجمين،
فظهرت بحيتها ودامها بالمطاف والسّير بها مع الإثني عشر والثمانية وعشرين
خمسين ألف كور، ثمَّ بدا لها ظهور الشّمس وهي الباب، فظهر بحيتها ودامها
بالمطاف والسّير عليها وبها مع النّجمين والثلاثة والإثني عشر والثمانية وعشرين
خمسين ألف كور، ثمَّ بدا لها ظهور القديم بالمقمر المبدر المهلّ، فظهر بحيتها
ودامها بالمطاف والسّير بها وعليها خمسين ألف كور، فلما تكامل ذلك من إرادة

المكوّن بإرادة الأزل أوقفها في ذلك المحلّ والحيث بعد تنقّل وجود الظهورات والتطواف والسير خمسين ألف كور، ثمّ أمدّ المكوّن الباب بإيجاد النّجمين مراده، فأمدّه النّجمين إلى الثلاثة مادّة الباب إليهما، وأوجد الثلاثة أن يمدّ إلى الإثني عشر، فمدّت المادّة من الثلاثة إلى الإثني عشر، وأمدّ الإثني عشر إلى الثمانية وعشرين، ذلك إلى المخلّص والمستخصّ والمصطفى والمصفّى من الكون، فكان ذلك إيجاد المطاف والسير في الحيث والكون بإرادة المكوّن ورتبة تكوينه خمسين ألف كور وعادت بهذه المنزلة، فطافت في الحيث والكون بإرادة المكوّن ورتبة تكوينه خمسين ألف كور، وعادت إلى الحيث الذي أبدى لها السير منه والمطاف وقد أبدت بمطافها وسيرها في الحيث والكون ظهور تجوهرها ومحلّ ضيائها ومنزلة اختصاصها واصطفائها وصفوها، فوقفت بالحيث خمسين ألف كور، فلما كمل لها ذلك من رتبة الوقوف أمدّت الثمانية وعشرين، فأوجد علوّ ذاته على تداني ما أظهره، فثبتت بحيث هي ثابتة من وجود مكوّناتها مكوّنات الكيان الذي بدا لها وأنّ لها نهاية تنتهي إليه وغاية تعولّ عليه، فأبدى ذلك في ظهوره والإيجاد لها خمسين ألف كور، ثمّ بدت إرادة الأزل بالظهور وإيجاده ما أوجده ما سلف من المكوّنات التي قد صفا كونها، فأبدى إرادة الظهور بكون الاسم الذي كونه به وأوجده محلّه فظهر بالمبدر المهلّ المقمر، فأوجدت ذات قدرة المبدى ذلك في ظهوره والإيجاد لها خمسين ألف كور.

ثمّ بدت إرادة الأزل بالظهور وإيجاده ما أوجده ما سلف من المكوّنات التي قد صفا كونها، فأبدى إرادة الظهور بكون الاسم الذي كونه به وأوجده محلّه، فظهر بالمبدر المهلّ المقمر، فأوجدت ذات قدرة المبدى للكون من ذات جوهرته التي جوهره فثبت على وجودها أنّها الغاية التي هي بدو إرادة المريد بإرادة التكوين من كون المكوّن تكوينات ما كونه، وإنّ مراجع كلّ شيء ممّا ظهر لها في الحيث في رتبة الوجود والظهور إليه بأنّه غاية المحدث والمحدث، فلما ثبت لها ذلك بظهوره الغاية وإيجاد علم الأزل فيها احتجب عن الوجود وأبدى لها الاسم بوجود ظهوره الذي أظهره وهو المهلّ المبدر المقمر، وأبدى الباب بوجود ظهوره بالشّمس التي ظهر الاسم لها وأوجد ذاته منها وأبدى الخمسة بذاتها بالتجوهر الذي اختصّت به وأبدى الإثني عشر بكونها الذي بدت به لها وبجوهرها الذي تجوهرت به، فبدأ

بظهورات الكل بوقت واحد ووجود واحد كل ظاهر منها بما كان أوجده في وقت ظهوره الأول، فأبدت ذلك وثبت لها في الحيت خمسين ألف كور، ثم بدا لها نطق الباب، فعرفته فتجوهرت بجوهره عند إيجاد ذلك النطق، وسمت محل السماء لما تجوهرت السماء والشمس فصارت بمحل لها فيه مرتبة يجري عليها مراد الباب وهو الشمس في مصاف سيره ويحل في المحل الذي قد حلت، وكذلك يطوف بها الخمسة والإثني عشر في سيرها بالمطاف، وتحل في أحيائها التي قد حلت فيها، فأمد لها في ذلك خمسين ألف كور، وصارت تابعة للإثني عشر كما أن الإثني عشر تابعة للخمسة والخمسة تابعة للشمس، لا تترك المهل المبدر المقمر.

فلما أكمل لها التوفيق في المحل الذي حلت فيه خمسين ألف كور أبدى الاسم إلى الباب أنه يبدي إلى الخمسة إرادته بإبداء ما يبدي به إليهم إلى الإثني عشر بإبداء ما استحقته الثمانية وعشرون بسرعة الإجابة والثبات على الحقيقة والمطاف والمسير بالحيت والكون وإبداء ذات تجوهرها ومحل ذاتها وظهورها، فسارت في الحيت والكون بمراد مريدها وتكوين ذات مكوئها الذي كوتها واستخصها له وأنحلها إياه خمسين ألف كور يحل في أكون تكوين المكوئات في الكون، فيوجد ذاتها ويبدي تجوهرها حتى تعود إلى حيثها الذي أبدت منه المسير والمطاف حتى كان ذلك منها في سبع كرات كرتها كل كرة منها خمسون ألف كور، فلما كمل لها مراد الاسم والباب والخمسة كمل لكل ظهور منها كرة، فلما كمل لها ذلك من إرادة المريد المؤيد لها بوجود ذلك أنحلها بأنه أكمل لها جميع الأحرف التي لا يدخل عليها حرف ولا يخرج شيء إلى الزيادة بتسميته ووصفه ونطقه، وأنها نهاية إيجاد كل موجود بها يُعرف ما عرف ويثبت ما وجد، فرتبها المكوئ بهذه الرتبة وأنحلها هذه المنزلة وهي في كون النورانية وإيجاد الجوهريّة، فأبدت عند ذلك إجابة القبول وثبتت لها في الحيت رتبة المنازل والحلول من حيث سارت فيه وطافت به وبدت بذاتها وتبعث الإثني عشر، تسير بسيرها وتحل بحيت طافت به، تبدي إلى جميع الكون المكوئ في حيث وجودها وقبولها ومن أين كانت المادة إليها وكيف رتبة الثبات على وجود حقيقة الأزل والمكوئ وكذلك أوجدت الإثني عشر كنه ما كوتت به ووجدته ومعدن المادة إليها ووجود حقيقة الأزل والمكوئ لجميع المكوئات، وأن مادتها من الثلاثة، ورجوعها في جميع ما يرد عليها إلى الثلاثة التي تبع الإثني عشر الذين سبقا في الكون

إلى صفو الإجابة والاصطفاء، فإن ترتيب القديم على ما شرحته لك، ثم إن الباب الذي هو الشمس والذليل على العالم النوراني هو دليل العالم البشري، أبداه الاسم فاصطفى النجم الثاني كما اصطفى الاسم النجم الأول، فاصطفاه الباب وصيره معدن مادته ومبدي إرادته في جميع ما قدره فيه مقدره، فكان يمدّه ويبيدي إليه إرادته في الكون والحيث التي قد مكّنه مكوّنه فيه وملّكه أن يبيدي إرادته تلك إلى الثلاثة، لأنّه استخصّهم واصطفاهم كما استخصّه هو الباب واصطفاه، وكانت الثلاثة تبدي إرادة النجم الثاني بالمادة من إرادة الباب التي أرادها له الاسم إلى الاثني عشر لأنها كانت استخصاص الثلاثة، وكانت الاثني عشر تمتدّ ذلك إلى الثمانية وعشرين، فكانت هذه رتبة الجميع بإبداء التأديب الذي الله صفوته في النورانية لا يجاوز منزلة ولا يبيدي منها مبدئ إلا ما أمده به الذي هو تابع له، فيقبله منه التابع الذي هو دونه في الدرجة والمنزلة، ويكون قبوله هو من المتبوع الذي هو أوقفه في المنزلة وهو مادته به، فأدام الأزل تلك المادة بإرادة مراده القديم ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور، لا يظهر في حيث غير ما قد ظهر من مراتب الاختصاص في سبق التكوين ولا يصفو من الكون غير من صفا، وفي ذلك الأمد كلّ النجم الثاني هو مبدي إرادة المرید من حيث أوجده الباب واستخصّه، فكانت الجميع من الثلاثة، والاثني عشر، والثمانية وعشرين لائحة بالنجم الثاني، وناظرة إليه وسائرة بمسيره، وحالة بحلولة، تجري بالحيث بتقديره وإرادته بالمطاف والسير وهو ظاهر لها بوجودها بجميع إرادة المرید، واحتجب النجم الأول والشمس والمهل المبدّر المقمر عنها بأمد ذلك التوقيف الذي مقداره ألف ألف كور، وخمسمائة ألف كور، وكان ذلك بدو ما استخص به الباب للنجم الثاني بمادة المكوّن له بذلك، فأنحله هذه المنزلة ورتبه في النورانية، فلم يجد جميع الكون الذي في حيث ظهور متبوع يتبعه جميع تكوينات المراتب المستخصّة المصطفاة المصفاة غير النجم الثاني، فثبتت الأكوان الباقية التي في حيث على وجوده، وذات كونه وإنه نهاية موجودها في ألف ألف كور، وخمسمائة ألف كور، فثبتت على تعظيم في المنزلة العالية والمحل الرفيع في حيث بغير تجوهر ولا محل ترتيب منازل حلول في سير ولا مطاف، والسائرة التي مكّنت في السير والمطاف والحلول هي الثلاثة والاثني عشر والثمانية وعشرون بجميع حيث والكون، وإتّها بمدد الظاهر فيها ووجود كون جميع ما هي به له مقدرة، وهو النجم الثاني، وهو أبو الذرّ.

ثم قال: وكذلك يا محمد بن جندب أبدى سلمان في الظهور البشري لأبي الذرّ في ظهور السيّد الأكبر منزلته منه واصطفاه له وأبان أنّه خالصته، وأشار إلى جميع أهل المراتب والدرج أنّه قصدهم، وحيث مرادهم من وجود علم الله وباطن سرّه، كما كان لهم في بدو ذات النورانيّة عند إرادة المريد فيهم ومنهم إلى تعظيمه في المنزلة، وأمّده بموادّ إرادته، وأظهره بوجوده، وتجوهره، فمن ذلك يا محمد بن جندب ما أبدى لك أنّ سلمان دخل ذات يوم على مولاه السيّد محمد منه السلام، فقال: يا سلمان، ما فعل أبو الذرّ في هذا اليوم؟

فقال له: يا مولاي، فعل ما تقنّمت إلى سلمان به وإمضاءه كامضاء سلمان له حتّى كأنّه علم مرادك من سلمان، فقصد له وأكمّله، وذلك بإرادته فيه، فقال له: يا سلمان موضعه منك كموضعك مني، فإنّي لذلك أهّلته إرادته، فقال: قد فعلت يا مولاي، وكان ذلك من السيّد الأكبر بسؤال سلمان أنّه كان أمره أن يرقى إلى قطب السّماء ويظهر ذاته التي هو بها في البشريّة موجودة لأهل المراتب العالية ويخاطبهم باللسان الفارسيّ، ثمّ يعيد فيهم الخطاب باللسان العربيّ، ثمّ يبدي الخطاب بلسان بعد لسان، إلى سبعة ألسن، ثمّ يصعد إلى المحلّ الثّاني من السّماء، فيفعل مثل ذلك، ثمّ إلى المحلّ الثّالث، ثمّ الرّابع، ثمّ الخامس، ثمّ السّادس، ثمّ السّابع، حتّى يأتي بما أتى به بأول القطب من الأوّل على كمالٍ وتمام، ويهبط من المحلّ السّابع من مستقرّ الأرض، فيبدي مثل ذلك في جميع عوالم التّرابيّة والظلميّة، حتّى ينتهي إلى المحلّ الذي هو فوقه، وهو الثّاني من محلّ الأرض، فيبدي مثل ذلك الذي أبداه، ثمّ المحلّ الثّالث ثمّ الرّابع، ثمّ الخامس، ثمّ السّادس، ثمّ السّابع، وهو الوجه إلى القطب، فيكون في المحلّ العلويّ والسفليّ عوالم التّكوين.

فخرج سلمان فلقية أبو الذرّ فقال له: يا باب الله ومعدن سرّ علمه لماذا أنت قاصد؟

فقال: إنّ مولاي أمرني أن أفعل كذا وكذا.

فقال أبو الذرّ: فإنّي معك ولك النّعمة عليّ بما استخصصتني به، فهل أهلت أبا الذرّ أن يكون معك في هذا المحلّ من إرادة المولى.

فقال له المولى: كن مع سلمان حيث كان، فلما صار إلى القطب من محل السماء مذت إرادة القديم إلى سلمان بالأمر لأبي الذرّ بما كان أمره به.

فقال سلمان لأبي الذرّ: ما يعيد سلمان أن يبديه من إرادة مولاه باللسان الفارسي، فنطق بما لم يكن يعيه من سلمان ولا وعاه سلمان من مولاه، وإنما كان أمره أن ينطق بالفارسية، فإني أجري على النطق إرادتي التي أريد أن أبدىها، فنطق أبو الذرّ بلسان سلمان الفارسي يقول: معاشر أهل المراتب والدرج والمنازل الخاصة النورانية العلوية التي حلت محلّ العلوة: إنّ القديم الواحد محمد الظاهر في عالمه البشري بالبشرية بوجود ذاته لهم بإيجاد ذاته لكم في النورانية، وإن أزلّه غايته أبداه بذات أوجد ذاته من ذاته، وإنّه هو الداعي لخلقّه إلى نفسه وهو غير قديمه الموجود، وإنّ محلّ ذات القديم ونوره وخاصته وإرادته ومبدي قدرته سلمان الفارسي، وهو ذات شمسه وسمائه، أوجده في جميع عوالم كونه البشري بهذا النعت والوصف ونطق بهذا اللسان، فأوجده كما أوجدكم ذاته بالنورانية، وكذلك أهل اصطفائه وصفوته فلان وفلان، وجعل يسمي شخصاً شخصاً، من يتيم ونقيب ونجيب ومختص ومخلص، وممتحن، وأهل المراتب العالية، فأبدى ذلك باللسان الفارسي، ثم باللسان العربي، ثم بلسان بعد لسان حتى أمضى ذلك بسبعة ألسنة في ذلك القطب من المحل، ثم علا إلى الثاني، فأبدى مثل ذلك ونطق بما نطق به، ثم في المحل الثالث والرابع والخامس، حتى أكمل ذلك النطق بتلك الألسنة السبعة، بجميع ما كان أبدى أولاً وفيه من أصناف عوالمه ومسوخه ورسوخه.

فلما علا إلى وجه المحلّ الذي رقي منه إلى القطب قال له سلمان: يا أبا الذرّ ذريت العلم ذرواً ثانياً بإيجادك لهم ما أوجدت وتبليغك لهم ما حملت.

فقال أبو الذرّ: لك عليّ منه ذلك والتفضل، فرآه المقداد قد أحله سلمان منه محلاً عظيماً وأبداه أن ينطق بنطقه على لسانه، فأبدى ذلك إلى السيّد الأكبر، فقال عند ذلك: ما أظنّت الخضراء ولا أظنّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي الذرّ.

فاستوجب بذلك النطق والألسنة بما أفصح به في جميع العالم العلوية والسفلية، إذ وصفه السيّد محمد بهذا الوصف، إذ لم يحلّها أحدٌ ونطق بها كنطقه ولا وصف بها شرح ما شرحه أحدٌ غيره، ولا يتناهى المنزلة أحدٌ غيره، وإنّها منزلة

خصّ بها أبو الذّرّ بإرادة المولى ذلك له وتقديره فيه، فكان هذا من اختصاص سلمان لأبي الذّرّ وتشريفه وربّته كما ربّبت الرّتب من المعنى والإسم، وهذا استخصاص أبي الذّرّ بما استحقّ من مكوّنه هذه المنزلة الّتي نزلها وحلّها، فهو بما جرت إليه من الانقياد إلى ما نهى عنه وحذّر منه، وتواعد عليه، فأثّرت الخلق وعايّنت القبول، فأبدى لها ما يشاكلها وما يليها إلى مجانسها، حتّى امتزجت بالتراضي والقبول، واختلطت بالتداني والميل إلى الهوى، وأشكّلت بإشكال المجانسة، وحلّت محلّ المرادة، فاستسلمت بعضاً لبعض إذ هي حال الأضداد الّذين بضدّ بعضهم عن بعض الّذي أحلّها فيه وربّتها به، وهو منزل القبول ومتابعة الهوى، فداومت في المهالك دائماً، ورست في مهالك الغضب، أوجب عليها إيجادها في كلّ سير بحال وفي كلّ أوان بمثال، حتّى يتخلّص من تلك الفرق، وتصير إلى وجود البشريّة، فتجد عند ذلك الوصب والغضب ويعمّها الغضب وتكون في أدوات غير تلك الفرق، وقوالب غير تلك الحرق في صنوف الكرّ، وترجع في أنواع الذّرّ، لا تفتقر من العذاب ولا عن حمل العذاب ترى أولاً مهيلة وترى آخراً ذليلة مهينة في تصاريّف عذاب مقيم في البشريّة الّتي تحلّ فيها، وهي العذاب الأليم والوصب المقيم.

و طوبى يا محمد بن جندب لمن أسرع الخروج عن البشريّة، وعوجل منها بالوحيد، فإنّه إن لحق ذلك قاد ونجا وتخلّص ومضى، وإن داوم ذلك عليه عطب وهلك، وضاق عليه كلّ مسلك، وهذا شرح ما بيّنته لك ممّا سألت عنه وسمعت من كتاب الأكواري النورانيّة وفضله وبيانه وسبيله، فعه وإلى أهله أدّه، واعرفه، غطّه بسماعه، فإنّ الله عزّ وجلّ أمر أن لا يليقه ولا يظهره إلا لأهله ومستحقّيه.

وإن سألك عنه سائلٌ فقل: الحمد لله الّذي أنعم عليّ وعلى أوليائه بمعرفته وبما حجبه عن أعدائه وأضداده وأهل العناد وأهل الشقاوة الّذين تاهوا عن قصد السبيل الّذي هو نجاة السالك، وبه يلحق كلّ محقّ، وعظم خطره عند أولياء الله وعرقهم عظم منزلته، ولا تبح به إلى أحد ممّن شكّ في الله، وضادّه، فإنّه عليه محرّم محظور، وإنّه به معاقب مأخوذ، فأوص به أولياء الله ومرهم بحفظه وصيانته، فإنّه الأزلف لهم عند الله في دنياهم وآخرتهم.

و اعلم أنّ العقاب على إباحة ذلك لغير أولياء الله أسرع من طرفة العين، وليس العقاب عليه هيئاً، ولا المطالبة صغيرة، أقلّ ما يكون يحلّ في مائة ألف ذبحة،

ومائة ألف قتلة، ومائة ألف غرق، فعليك بصيانة ما سمعت، واعترف بما أنعم الله عليك، وكن من الشّاكرين، فقد أودعك سرّ الله الأكبر، كما أمرني الله أن أستودعك إياه، فلا حجة لك عليّ، بل الحجة لي عليك، فتبين به، وكن حاضراً لا غائباً عن نجوانا، وما خاطبتك به وأبديت إليك من هذا، فإنه أمانة موجودة، وعهد معهود لا خلاص منه إلا بوفائه وتوفيقه على سنن ما جرت به سنن ما وجد وسلف، فاستمع يا محمد بن جندب ولا تكن من الغافلين، وخذ ما استوجبت من علم كتاب الأكوar النورانية، والأدوار الروحانية، واطلب ما بعد ذلك مما كوّن في البشريّ حتّى تستكمل إجادة علم ذلك واطلبه وابحث عنه وجد في طلبه، فإنّ من هذا العالم من وجب عليه أن يعلم كلّ علم بعده لأنّه دليل يوصله إلى نجاته، فاطلب علم أكوar البشرية التي هي تقوى هذا ومنها تكوّنت وإليها تعود، وهي أسباب يرتقى بها ويستدلّ حتّى ينسب منها دليل لما بعده، ويوضح بيان شرح ذلك ويظهر.

و اعلم أنّ بمعرفة علم الأكوar البشرية وكونها وترتيبها ودرجها ومنازلها بياناً أعظم وأجلّ وأخطر، وأقدم أثراً وأسهل سبباً ممّا جرى من علم ما سلف.

قال محمد بن جندب: فقمّت إلى السيّد أبي شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه، وقبّلت رأسه، ويديه، ورجليه، وقلت: يا سيدي، لك المنّة عليّ أولاً وآخرأ، فلقد قدّمت إليّ ومنحتني معرفة هذا السرّ العظيم، ومنك أسأل، فإن كنت أذنت لي بسؤالك سألت وأسرعت، ولا أمتنع عن طلب رضى الله في بريته، وتجعلني سبباً.

فقال: يا محمد بن جندب، إذا تكامل لك الحمد والشكر، فلا يرتك توهمك ولا يخيب ظنك.

فقلت: أحسنت ولك المزيد ممّا أعطاك وأولاك، إنّه وليّ ذلك، وقمت وقد امتلأت فرحاً وسروراً بتقدمة ما قدّمه إليّ من إجابتي إذا سألت عمّا حضّتي عليه وأمرني وجّد عليّ بطلبه، فلمّا صرت بالباب لقيني إسحاق بن محمد النّخعيّ فقال: يا محمد بن جندب أما مللت من سؤال محمد بن نصير؟

فقلت: ما مللت أنا ولا تركني من الأجوبة، وابتدأني بما لم أسأل، وأطلعني على ما لم أعلم.

فقال لي: فهل زادك على ما سمعت مني؟

فقلت: أظنّ.

فقال: قولك والله - قلته زيادةً، وأخذ كتابه من يدي وسألني عنه، فأخبرته بما كان تقدّم به سيدي أبو شعيب محمد بن نصير.

فقال: صدقت وهو كما ذكرت، اعلم أنّي قد فقدت كتابي الذي شرحته لك قبل دخولي على محمد بن نصير، واعلم يا محمد بن جندب أنّ أعظم الأشياء عليّ أنّ ماله عندي أصلّ ولا أحفظه، فعساك تمنّ عليّ بإملائه في وقت آتيك.

فقلت: ذلك إن شاء الله، وأذن فيه، وخرج إليّ بجميع ما كان قدّمه إليّ سيدي أبو شعيب محمد بن نصير أنّه يكون منه حتّى أنّه ينساه ولا يغادر منه حرفاً واحداً ولا ينقص.

ثمّ افترقنا وأخذ كلّ إنسانٍ منّا طريقه، ولقد لقيني بعد ذلك مراراً أحصيتها ألوفاً وما عاد إليّ ذكر كتاب الأكوار ولا سألني عنه، وقد دخلت على سيدي أبي شعيب فأخبرته.

فقال: «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» حسرة لا تنقص، وندامة لا تبلى، فاحمد الله مولاك على ما أنعم به عليك وأعطاك الثبات عليه وكن إليه من الراغبين وله من الطالبين.

فقلت: ومن يقصّر عن الحمد والشكر بعد هذه المنّة؟

فقال: زادك الله يقيناً وثباتاً وخرجت، فكنت أتغذى بالحياة، ألدّ مطعماً ومشرباً لما في نفسي ممّا وعدني به وأوعز إليّ من معرفة كتاب الأكوار النورانية حتّى أذن الله مولاي لي بالإذن فيه، فحمدت الله وشكرت إليه ما أفاضه من الاهتمام بما وعدني به وأبدى إليّ شرح الكتابين على بيان، وكان سمعي ذلك منه في مدّة سنة وسبعة أشهر الكتابين جميعاً، واله مولاي يحفظ عليّ وعلى جماعة المؤمنين ويوفّقنا للعمل به، وهو حسبي وحسب المؤمنين وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين.

كتاب المثل والصورة لمحمد بن نصير

كتاب المثل والصورة يظهر لنا فكرة وجود الإله في التجلي، ذلك أن العقيدة العلوية تشدد على الفرق بين الاسم والمسمى، ولا سيما بين كلمة الله - التي هي اسم - وبين المعنى الدال على الكلمة وهو معنى المعاني، ولما كان هذا المعنى هو الإمام بعد الإمام فقد بينت الحكمة العلوية تفسير وجود الإمام الذي سيتلقى المعنوية ويتجهر بها ويكون هو هي بأنه يكون قبل ذلك مثال، ثم يتجلى بالمعنوية فيصبح هو الصورة وهو المعنى.

الحمد لله الذي بنفسه حمد نفسه ليحمد، وبنوره كان ظهوره ليوجد، الحمد لله فالق الحكمة من ذاتيته، ومخترع الأسماء والصفات من جوهريته، التي بأقرب صفاته من القدر، المتجلي لخلقه كخلقه حين ظهر، الذي أبدع لطيفات العقول من لطيف ما أبدع، وتاهت أسرار الأفهام دون عظيم ما اخترع، المتجلي للعقول بالحكمة، والسابق قبل العذاب بالرحمة، الحمد لله الذي هو مكان كيانه وعلة حجابيه، الأمر له بخلق بابه، حمداً يقتضي المزيد، ولا يبلغه التحديد، إنه فعال لما يريد علي عظيم.

قال أبو شعيب محمد بن نصير في الصورة والمثل:

و إخلاص الايمان معرفة الله من محمد، ثم معرفة محمد ومنزلته من بارئه، وأنه موقع أسمائه وصفاته، وأول كل شيء، وبعد كل شيء، ومعنى كل شيء، لا شيء بعده، ولا شيء أقرب إليه منه، ولا يقال له مخلوق، ولكن الله المعنى فوقه، وهو الغاية، والمعنى فوق الغاية، والمعنى تعالى كونه ومثله في الأرض البيت

وفي السماء الشمس، وفي الكروبيين العرش، وفي الروحانيين الكرسي، وكل ما وقع عليه اسم أو صفة ما خلا الله فهو مخلوق.

و قال: كل اسم من أسماء الأنبياء في القرآن مثل إبراهيم في قصة، وإبراهيم في قصة، وعيسى في قصة، وموسى في قصة، فكل واحد من هذه الأسماء غير صاحبه، هذا العيسى غير هذا العيسى، وذلك الإبراهيم غير هذا الإبراهيم، لأن الحكيم لا يوصف بإعادة الشيء مرتين من اسم أو صفة، وعد أو وعيد، وكل ما دل على الله به دل الله به الخلق على نفسه، وأراهم مثاله، فمثله قولهم: عينه ولسانه ورأسه، وبده ورجله.

فكل ما وقعت عليه الأبصار فهو من الله يره، وهو دليل على نوره وصفة من صفاته، واسم من أسمائه، وله صنع ونطق، وشخص، وأمر، ونهي، فجميع الصفات دليل على نور من نوره، وخلق من خلقه، حتى يصير إلى سبعمائة وعشرين عرقاً، وثلاثمائة وستين ضاربة، وهي الرسل الناطقة، وثلاثمائة وستين ساكنة، وهي الرسل الصامتة، فكل نور من نور الله، وكل اسم من أسمائه، وصفة من صفاته، وشيء من صورته، فهو قائم أبداً ظاهر وباطن غير زائل، له شخص موجود يجب معرفته، ولا يسع جهله.

فإذا عرفت ذلك نفيت الصفات، وهو قوله: «من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة، ومن أفرد الصفات عن الذات عرف حقيقة اللاهوت»، فإذا شاء الله أن يكون شيئاً من ذلك أو صفى من عباده أحداً أسكنه فيه، فدعى ذلك المسكون بالإسم الواقع على ذلك النور الساكن فيه، والإسم غير المسمى، والساكن غير المسكون، بائن منه، ظاهر بكماله، وكذلك كل ما أظهره الله من الأسماء والحجب والأسرار والفعل، كمثل قولك: أكل وشرب، وركب، ورخاء وضحك، وبكاء، وقام، وقعد... فهو دليل من الله على صفة من صفاته، وخلق من خلقه، وهو تعالى لا يقضي عليه بحراك.

و من ذلك قول المولى جعفر الصادق (ع): «من زعم أن الله يسمع ببعض دون بعض فقد كفر»، وقال: «نحن صفة الله نقمص بالرحمة وائتزر بالعزة، وارندى بالكبرياء»، وقال: «تاجه العلم والعظمة، ورداؤه الكبرياء وإزاره الهدى» والقرآن

وهو الباب الذي قرن بين الأشياء والفرقان هو الاسم الذي فرق بين الحق والباطل، والحجاب الحاجز بينهما، وهو محمد، وكل ما كان من هذه الأسماء ومن ذوات الهاء مثل العظمة، والمشينة، والإرادة، فهو ما أظهره من الأنوار يدعوهم إنثاءً، وما كان من اللفظ مذكراً فهو وهي الاسم الذي إليه القصد، فكل لفظ وتسبيح مما لا يجاوزه نعت ولا صفة، فالمعنى فوقه الذي ليس كمثله شيء، وهو خالق الأشياء.

و روي عن الصادق منه الرحمة أنه قال: «إن هذا الإقليم على ظفر ملك»، ولا يكون للملك ظفر، ولكن صفة ذلك تقع على غير الملك، ولذلك قال: «أوجب الله لرسوله ما أوجب لنفسه، وأوجب لوليه ما أوجب لرسوله»، فمعناه إن الشخص الذي يدعى ظفر ذلك الملك هو الذي له تدبير شؤوه هذا الإقليم.

ثم قال: «إن جميع ما وصف الواصفون خلقاً من خلق الله، لأن الله أضاف الأشياء كلها إليه، فهي غيره ولا هو غيرها، فأفعاله معروفة به، وليس هو يعرف بأفعاله».

و قال المولى الصادق (ع) في رسالة التوحيد: «إن الإرادة والمشينة إسمان يجمعان معنى واحداً، وذلك أنك تقول: تريد وتشاء، وتعرف الحق من الباطل، وقد جمعهما اللفظ بالفعل، فلست تقدر على أفراد خصلة منهما، وتفرق بين أسمائهما، فالخلق الأول من الله، الإرادة بلا وزن ولا لون، ولا حركة، والله سابق الإرادة، والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون، والثالث ما كان ملموساً منظوراً إليه، وإسم كل شيء غير المسمى، وصفة كل شيء غير الموصوف، وحد كل شيء غير المحدود، وتلك الأسماء والصفات إنما هي حروف متقطعة، قائمة برؤوسها، لا تدل إلا على أنفسها ما دامت منفردة، فإذا اجتمعت تلك الحروف دلت باجتماعها على غيرها، لأن الله لا يجمع منها شيئاً فيؤلفه إلى معنى محدث لم يكن من قبل شيئاً مذكوراً».

و اعلم أنها لا تكون صفة لغير موصوف، ولا اسماً لغير مسمى، ولا حداً لغير محدود.

والصفات والأسماء تدل على الكمال والوجود الذي هو التثليث والتربيع، وذلك من الله وحده، دون خلقه، لأن الله لا يدرك بالأسماء والصفات، والطول

والعرض والقلة والكثرة، وليس يحلّ الله من ذلك شيء، ولكن قد يدلّ على الله ما كان من الله، وتذكر صفاته بأسمائه، ويستدلّ عليه بخلقه، حتّى لا يحتاج الطالب المرید إلى رؤية بعين، أو لمس بكف، أو إحاطة بقلب، ولو كانت صفاته لا تدلّ عليه، وأسماءه لا تدعو إليه، كان المعبود غيره والمطلوب سواه، ويصعب على الرّاعب معرفته وعلى العالم وجوده، لأنّ صفاته وأسمائه غيره.

فإن سألت عن الإرادة: خلق أم غير خلق؟

قلت: هو خلق ساكن يدرك بصفات السكون، وإنّ ما صار خلقاً فإنّما هو خلق الله، لأنّ الله وخلق له لا ثالث لهما، ولا ثالث غيرهما، فلمّا لم يخلق الله لم يقدر أن يكون خلقاً ساكناً ومختلفاً ومعلومًا، ومنظوراً إليه، وغير منظور إليه، بعد أن تدلّ عليه الحواس الخمس، فهو معنى مدرك بحاسة من الحواس، محدود موجود، والعلم يجمع على ذلك.

قال محمد بن سنان في كتاب التوحيد - وقد تقدّم إسناده في باب التوحيد - : «إنّ الأسماء والصفات والنّوع تقع على روح القدس وهي روح الغاية»، أي حجاب الغاية، والغاية هو المحتجب بالروح...

و حدّث صالح بن حمزة عن أبان بن مصعب عن أسد بن اسماعيل عن عبد الله المولى جعفر الصّادق في كتاب الأظلة والأشباح أنّه قال: «كان الله ولا مكان، ثمّ خلق المكان، ففوّض إليه الأمر، فقلت: وما المكان؟ فقال: هو محمد صلعم».

و فيه روى أحمد بن محمد بن الفضل عن أبي حمزة الثمالي عن جعفر المولى الباقر منه الرحمة قال: قال رسول الله صلعم: «أنا آدم في باطن القرآن وأنا أول من خلق الله وأنا آخر من خلق الله».

و قال المولى الصّادق منه السّلام في كتاب الهفت والأظلة: «فأحد أركانه العلم، والثاني القدرة، والثالث الرحمة، والرابع المشيئة» فأسكن في الأربعة أركان أربع أرواح هي: روح القدس وروح الأمر، وروح الأمين، وروح ذي المعارج، الرحمة طرفه، وروح الأمين المشيئة طرفه».

و قال في كتاب التنبيه لإسحاق الأحمر^١ في قوله: «ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين»: وهو العلم والقدرة، وكل شيء خلق بعلم وقدرة، والمكان هو خالق الأشياء، وهو عبده، سامع مطيع لله الذي خلقه خلقاً لا كخلق الأدميين، لكنه خلق من نور، وإنما يظهر بصورة الأدميين حجة على العباد، ولو لم يزل العالم في الصورة التي كون فيها في السماء لافتتن جميع الخلق ولعبدوه من دون الله.

و حدثني محمد بن إبراهيم عن أبي علي البصري، عن محمد بن موسى الكرخي عن ابن صدقة عن محمد بن سنان قال: قال للمولى الصادق منه الرحمة: «إن الله خلق واحداً فجعله عينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها، وأذنه التي يسمع بها، فلو كانوا مائة ألف لكانوا واحداً».

و حدث عنه الهمداني عن أبي سعيد، عن زيد بن طلحة عن يونس بن ظبيان، قال: قال المولى الصادق: «إن الله كان ولا مكان، ثم خلق المكان فجعله يحوي ولا يحوى، وهو الميم»، وقال المولى الصادق منه الرحمة: «كل ما أحله الله وحرمه فهو معرفة أشخاص، أوجب الله على العبد معرفتها واتباعها وأشخاص أمر باجتنبها، فإن الله أكرم من أن يجعل فرائضه وأوامره ونواهيه وشرائعه في فرج ومجرى بول، ولحم وأكل وخبز، يعود عذرة وقذراً».

و حدثني محمد بن إبراهيم عن أبي علي البصري عن عبد الله بن العلاء عن إدريس عن زيد بن طلحة عن المفضل قال: قال سيدي الصادق: «إن لكلاً منا ظاهراً وباطناً، فظاهره حكم أنيق، وباطنه عميق، وحديثنا صعب مستصعب، وأمرنا سرٌّ مستتر، فمن عرفنا وعرف لحننا عرف ما أردنا ومن لم يعرف التلويح لم ينتفع بالتصريح».

و بإسناده عن يزيد بن طلحة عن علي بن عبد الملك عن المفضل قال: قال سيدي: «إن نزول القرآن له ظهور وبطون، ومحكم ومنشأة وناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، وتشديد، وترخيص، وتلويح، وتصريح، وكذلك لكلامنا أهل البيت، وإنّا لنتكلم بالكلمة لها سبعون وجهاً لنا من جميعها المخرج».

^١ يستند أبو شعيب إلى إسحاق الأحمر.

و بالإسناد عن عبد الله بن إدريس الكفرتوني عن محمد بن سنان قال: سألت الصادق عن قول الله: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» قال الصادق منه الرحمة: «إِنَّا لَنَتَكَلَّمُ الْكَلِمَةَ لَهَا سَبْعُونَ وَجْهًا، فَقِيلَ: سَبْعُونَ وَجْهًا! قال: سبعمائة. فقيل سبعمائة؟! فقال: سبعة آلاف، فأمسك السائل، ولو استزاد لزد».

وحدث المبارك عن محمد عن الحسن بن محمد عن أيوب بن هشام، عن الحسن بن أيوب، عن محمد بن منصور عن أبيه عن الصادق، قال: قلت له: إن عالمكم يتكلم الكلمة على سبعين وجهاً، قال: «يا أبا منصور، على سبعين لغة، وثلاثمائة وجه ولنا من جميعها المخرج».

و حدثني عنه البغدادي عن إسماعيل عن أيوب القمي عن محمد بن صدقة قال: قال الرضا منه الرحمة: «ليس في كتاب الله مأكول ولا مشروب، ولا ملبوس، وإنما هي أمثلة مضروبة، معنى كل واحد بمعنى ما استحقه، وكذلك لا جوهر ولا فضة ولا ذهب، ولا عطور ولا دواب، وإن كل ذلك أمثلة». قال محمد بن صدقة: وقال المولى علي الرضا (ع): «ليس ذلك في كتاب الله وحده، بل وكلامنا أهل البيت، ليس فيه شيء مما مضى، وإنما ذلك أمثلة مضروبة وأشخاص ومعاني وأشباح، وإنه إشارة إلى أنوار وظلمات، من الفرق الحائدة عن طريق الحق».

و حدثني عنه قال: حدثني محمد بن موسى عن عبد الله بن العلا عن ابن مهران الكرخي عن محمد بن سنان عن يونس بن ظبيان عن المفضل قال: قال سيدي: «لولا التلبيس ما جهل الله أحد، ولولا التصريح ما عرف الله أحد، ولقد أخفى الله دينه حتى ظن أنه يحب ألا يعرف، وأظهره حتى ظن أنه يحب ألا يجهل».

و حدثني أيضاً عن أبي عبد الله بن العلاء عن إدريس بن زياد، عن زياد بن طلحة، عن المفضل، عن جابر الجعفي، قال: قال المولى الباقر: «لو وجدت ثلاثة رهط مسلمين يلقي إليهم لاستودعتهم حديثاً لا يحتاجون معه إلى نظر في حلال أو حرام، ولا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة».

ألا ترى أن هذه إشارة إلى علم التوحيد، وإنه لو كان الحق فيما عليه الكثير من الشيعة ما قال هذا القول، ومثله أخبار في القلة سنورها مجتمعاً إن شاء الله تعالى...

و بالإسناد الأول عن إدريس عن محمد بن يحيى عن محمد بن سنان قال: قال الصادق: «ما قلنا لكم ما في الله فهو فينا، وإن قلنا لكم ما فينا فهو فيكم».

و حدثني الحسن بن محمد قال: حدثني أبو القاسم الهمداني قال: حدثني الحسن بن محمد رواه عن محمد بن التّون عن عليّ بن الحسن التّغليبي عن محمد بن سنان قال: قال الصادق: «إنّ الله كتم أربعاً في أربع، فبدأ في عبيده الموحّدين، فكتمهم في خلقه، وكتم رضاه في طاعته، وفلا يدري العبد فيما يسخط عليه من ذنبه ومعصيته، وكتم اسمه بين أسمائه».

و بالإسناد عن إدريس عن زيد بن طلحة عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق: «كلّ اسم محمود فهو بعينه مضموم، فمن ذلك الشّمس، محمودة في موضع ومضمومة في موضع، والقمر حمود ومضموم، وكذلك الجبال والشّجر والنّخل، والثّواب، كلّ ذلك محمود ومضموم، وكذلك آدم خاطيء وآدم زكي، وإبراهيم خاطيء وإبراهيم زكيّ على جميع ما سمعت في القرآن».

و روي أنّ ذكر موسى وفرعون مكرراً في القرآن على حسب ما تقتّم من الآميين.

و روي أنّ أبا عبد الله قال: «إنّ في القرآن الكريم سبعة أمكنة مختلفة في مخاطبة آدم، ولكلّ آدم منهم موسى، وفرعون ست فعل الله بهم ما شاء، وسابعهم هو آمنا يجعل الله له الخلود في الجنّة».

و قال أيضاً: «مضى من سبعة آميين ستّة، وهو الدّور السّادس، ثم يدخلون في السّابع، وفي كلّ دور موسى وفرعون»، ففي ذلك اختلفت المخاطبة في قصّتهما في سبعة مواطن في القرآن...

و روى جماعة من الشيعة ممّا نقلوه في تفسير القرآن عن الأئمة قول الصادق: «جهنّم المحمودّة في الباطن هي القائمة، فهو جهنّم الكافرين أي معذبهم بالسيف، وجهنّم المضمومة هي فرعون هذه الأئمة، وهو الذي إذا وقع المؤمن في حباته وقع في جهنّم التي ذكرها الله، وهي في الحقيقة المسوخية، والنّار المحمودّة هي الباب، والنار المضمومة هي المسوخية، والحمد في النّار أكثر من الحمد في جهنّم، والحمد في جهنّم أقلّ من الحمد في النّار، لأنّ حمد النّار أصل وحمد جهنّم

فرغ، وأما قوله: «مأواكم النار هي مولاكم» فهذه للمقصرة، يقول مأواكم عذاب القائم، الذي كنتم تسمونه مولانا، ثم تكفرون به وتعادون أوليائه»، وفي القرآن أشخاص محمودة، ومذمومة، فمنها ما قصتها الله بالحمد، ثم جعله مثلاً لأهل الذمة، وهو يحتمل الحمد والذم معاً، وإن المقصود في الأصل الحمد، ثم فرعه الله بالذم، فهو يحتمل الحمد والذم، وعلى هذا المثال ما جاء في القرآن الكريم: ملائكة محمودة الأصل، وقد يحتمل هذا الاسم الكافرين والمحمود أحمد في هذا الاسم، لأن المحمود متفق في الأصل والفرع، وأصلهم شيء واحد، وإن كانت صورهم في الثقلب واحدة، والمذمومون صورهم مختلفة في الثقلب، وفي الفرع مختلفون، وإنهم في الأصل شيء واحد، فالملائكة الذين ملكوا من علم الله وعلموا في الملكوت هم ملائكة الله، وكذلك كل ما كان من علم الشيطان الملعون، وقائماً به فقد ملك علم الشيطان، والدليل على ذلك قول الصادق: «إن الملائكة ليمرون بالزمرة من الملائكة وهم في فضلنا يتذاكرون، فيقول بعضهم لبعض: كفوا حتى يجوز هؤلاء»... ثم قال: «إن من الملائكة من لا يساوي كشة بقل» فقد دل هذا القول على أن الملائكة الذين كانوا يتجاوزون فضل السادات، إنهم أهل الباطن من الملائكة، والذين يمرّون بهم هم أهل الظاهر، وقوله: لا يساوي كشة بقل، يريد من كان يروي عن الصادق ممن كان قد لقيه وشافهه، ثم لم يحتمل علمه، وهو يتولاه في الظاهر، ويستتر علم الظاهر من المرجنة، فقد ملك علم الظاهر وصدّ عن علم الباطن.

و عن المبارك عن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن حمران بن أعين عن أبيه قال: قال أبو عبد الله الصادق: «إن الملائكة يجلسون ويتحدثون ويذكرون فضلنا، فإذا جاء من لم يحتمل أمسكوا. قلت: جعلت فداك، أمن الملائكة من لا يحتمل فضلكم؟ قال: أي والله، ومن الملائكة من لا يباوي كشة بقل»، ثم قال: «الفقر فقران: فقر محمود وفقر مذموم، فالمحمود هو الزهد في الدنيا والتخلي عنها، والمذموم هو الجهل، والجهل هو الكفر، وعلم الضد، وكذلك غنى محمود وغنى مذموم، فالمحمود هو علم الله، والمذموم هو المستغني بعلم الأضداد عن أهل الحق، والآلهة المذمومة هم المدعون من دون الله، وهم أئمة الجور، وكذلك كل من عبد من غير الله، وأوى إلى إله غيره، وذلك أنك ترى الواحد من الخلق وهو

يومي إلى الله ولم يعرف الله لقوله تعالى: «وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

فإن سألته وقلت له: الله الذي رضي فعلك بالكفر، فقال نعم، فقد علمت أن ذلك إبليس الذي جاء فيه قوله تعالى: «أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا وَاللَّهُ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ»^١.

و منه قول أمير المؤمنين (ع) يوم النهروان وقد ضايقتهم الحرب فقال: يا وهب، الذي منحكم دماغنا هو الله، فقالوا بأجمعهم: نعم هو ذلك، فقال لأصحابه: نعم شدوا عليهم، فقد عبدوا الشيطان وكفروا بالرحمن، والشيطان محمودٌ بوجه، مذمومٌ بوجه، فالشيطان المذموم هو الذي طغى على الله، والمحمود هو الذي يعتب الإنسان لقوله تعالى: «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا نُونُ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ». والله لا يحفظ إلا مؤمناً، فهذه الشياطين المحمودة هم أهل مراتب العالم الكبير، وقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينِ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأًا»، والأز هو اللعن، والشياطين المذمومة هم العالم المذموم، وهم إبليس وجنوده.

و كذلك جنٌ محمودٌ و جنٌ مذمومٌ، فالجن المحمودون هم الذين خفوا عن العالم بالمعرفة، فهم إرواحٌ بلا أبدان، والجن المذمومون هم المسوخ وهم أرواح وأبدان، ومارقٌ محمودٌ، ومارقٌ مذمومٌ، فالمحمود هو الذي مرق من الحق، وخرج من الأنبياء والملائكة، وأتباع المقام الداعي بالتصريح، والداعي بالرسالة في كل وقت، فإنما تقع المخاطبة عليهم، ومما يدلنا على ذلك قول مولانا أمير المؤمنين علينا سلامه: «علمنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلا ملكٌ مقربٌ أو نبيٌ مرسلٌ، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان»، فأعلمك أن هؤلاء لا يحتملون الصعب.

و قال الصادق (ع): إن من علمنا ما لا يحمله إلا ملكٌ مقربٌ أو نبيٌ مرسلٌ أو مؤمنٌ ممحتنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان». فدل أن هؤلاء ليسوا هم أولئك الذين ذكرهم أمير المؤمنين بالعلی على درجاتٍ ومراتبٍ يسمون بهذه الأسماء، لأن كل منلقى الحجة فسمع منه وأخذ عنه فهو ملكٌ، وكل من نبأ بحقيقة فهو نبيٌ، وكل

^١ يورد الآية هنا على غير ما هي موجودة في القرآن والوارد في القرآن هو قوله تعالى: «أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» (فاطر - ٧).

من أرسل إلى قوم فهو رسول، فالرسول والنبيّ والمؤمن الذين هم في الدّرجة الثّانية لا يحملون درجة الرّسول، والنّبيّ والمؤمن الذين هم في الدّرجة الثّالثة والرّابعة وما فوقها.

و قوله: «اطّلع سلمان على علم لو اطّلع عليه المقداد لكفر، واطّلع المقداد على علم لو اطّلع عليه أبو ذرّ لكفر، واطّلع أبو ذرّ على علم لو اطّلع عليه عبد الله بن رواحة لكفر، واطّلع عبد الله على علم لو اطّلع عليه أهل الدّنيا لكفروا...» فدلّ هذا الحديث على أنّ قوله في المحكم: يا أيّها الرّسول، ويا أيّها النّبيّ والمعنى إثبات أو غيرها، فإنّما هو لهؤلاء، ولمن كان من دونهم.

و قال في كتاب الأشخاص وغيره: إنّ المنبئين كانوا على عهد النّبيّ سبعة عشر رجلاً، ولكل واحد منهم أخبار في القرآن وتفسير يطول شرحه، وهم: زيد بن حارثة وسعد بن معاذ، وعمر بن تغلبة وخزيمة بن ثابت، وحارثة بن النّعمان، وأبو دجانة سماك بن خرشنة، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن خزام، وثابت بن أبي الأفلح، وأبيّ بن كعب، وتميم الدّاري، ومعاذ بن عمر، وثابت بن قيس، وسعد بن مالك، وأبو الهيثم مالك بن التّيهان، وحزام بن حبان، وكنيته أبو لبانة، وعمر بن الجموح، وقد بعث هؤلاء رسلاً فما كان في القرآن من خطاب وعقاب فهو لهؤلاء السّبعة عشر.

و حدّث أبو عبد الله عن عبد الله بن أيّوب القميّ قال : أخبرني المتّي عمر بن مختار الخزاعيّ عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله عن المولى الصّادق (ع) في كتاب المراتب والدرج: ذكرنا منه ههنا هذا الفصل، قال بعد ذكر المراتب والدرج وعدد من حلّها من الأولياء قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا كرّر الخلق بالمواليد والتّربية، ودعاهم إلى طاعته، وجعل لهم السّبيل والاستطاعة إلى الطّاعة، والمعصية، فمن آمن وأقرّ وأطاع آياته اتّخذهُ وليّاً، والزمه الأسماء المحمودة ومدحه بكتابه وقرنه بنفسه، وأقسم به في مواضع القسم إجلالاً وإعظاماً وتبجيلاً منه لهم، والزمه الكفّار الأسماء المذمومة، ولعنهم في كتابه، وبريء منهم ومن أفعالهم وأشياهم وأتباعهم.

قلت: سيّدي جعلت فداك، وما هذه الأسماء المحمودة فسرها لي؟

قال: هي على خمسة حدود.

الحد الأول: هو كل اسم اختاره الله لنفسه واتَّخذه ولياً واصطفاه لنفسه، ولم يجعله لأحد سواه، وهو قوله: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وقوله: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ»، وقوله: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، وقوله: «لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ».

الحد الثاني: فهو كل اسم لقرنه الله بنفسه وأضافه إليه، وأقامه مقامه، وهو قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، وقوله: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، وقوله: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»، وقوله: «رَحِمَتُ لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، وقوله: «نَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، وقوله: «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ»، وقوله: «كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ»، وقوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، وقوله: «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، وقوله: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ»، وقوله: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، وقوله: «يَلْعَنَهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»، وقوله: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وأما الحد الثالث: وهو كل اسم افتتح الله به كتابه وأقسم به، وهو قوله: «الم»، «الر»، «طه»، «ص»، «حم»، «يس»، «ن»، «ق»، وقوله: «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ»، «وَالطُّورُ»، وكتاب مسطور، وقوله: «وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا»، وقوله: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَنْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا»، وقوله: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»، وقوله: «وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرَ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ»، وقوله: «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها»، وكل ما كان في القرآن من الأقسام فهي أشخاص ومقامات معلومات.

^١ وردت الآية في كتاب الله على الشكل التالي: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ» (النساء ٢٣).

و أما الحدّ الرابع: فهو كل اسم فرض الله طاعته، فعلى العباد قوله منه والقيام به والحفظ له، والسعي إليه مثل قوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»، وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا»، وقوله: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا»، وقوله: «فَاقْرَأْ مَا تَنَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا»، وقوله: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ»، وقوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ»، وقوله: «إِذَا نُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ»، وقوله: «وَأْتُمُوا الْحَجَّ»، وقوله: «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ»، وقوله: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغِبْتَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ»، فهذه الأسماء التي فرض الله طاعتها على الخلق وقبولها والعمل لها والانقياد إليها وجعلها الدلالة عليه.

و أما الحدّ الخامس: فهو كل اسم ذكره الله فحمده بفعله، وعرف الخلق طاعته، وذكر اجتهاده والمبالغة في رضاه وقبول أمره، والمحافظة على حدوده، وفرائضه، وهو قوله: «الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»، وقوله: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَه وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ»، وقوله: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ»، وقوله: «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ...»، وليس يخرج ولي من أولياء الله من هذه الحدود الخمسة، فاعلم ذلك.

قلت: سيدي، إنه يأتي من هذه الأسماء ومما يشكّل عليّ، فلا أدري محمود هو أم مذموم؟

قال أبو الحسن: يا عمر، ما اشتكل عليك منها فاقصد إلى القرينة، فإن كانت القرينة محمودة فالاسم محمود، وإن كانت مذمومة فالاسم مذموم.

فقلت: جعلت فداك اشرح لي ذلك شرحاً لا يداخلني معه شك.

فقال: إِنَّ الأَسْمَاءَ عَلَى ثَلَاثَةِ ضُرُوبٍ: اسْمٌ مَحْمُودٌ واسْمٌ مَذْمُومٌ واسْمٌ مَهْمَلٌ، فما كان محموداً فهو وليّ الله، وما كان مذموماً فهو عدوّ الله، وما كان مهملًا فهو من الذين قال الله فيهم: «وَأَخْرُؤُنْ مَرْجُؤُنْ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ»، وقوله: «وَأَخْرُؤُنْ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ».

فأما القرين الذي لا يكون مع الإسم دليلاً، فإذا رأيت اسماً قد وقع عليه ذكر كفر أو عصيان أو سخط، أو لعنة، وما كان من الأفعال المكروهة، فاحكم على ذلك بالذم، وإذا رأيت الاسم قد وقع عليه ذكر إيمان وطاعة، ورضى ورحمة وتسليم فاحكم عليه بالحمد، وإذا رأيت الاسم لا يقع عليه شيء من هذه الضروب، فلا يلزمه حمد ولا ذم، وقد تجري أسماء على لفظ واحد، يكون بعضها محموداً وبعضها مذموماً، يعرف ذلك في قرين الاسم، فمن ذلك قوله تعالى: «يَا قَوْمِ انْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»، فهذه أرضٌ محمودة، وقال في الأرض المذمومة: «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ»، فهذه أرضٌ مذمومة، لذكره لها بالخسف، وقوله: «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ»، فهؤلاء محمودون لأن الله لا يحفظ إلا مؤمناً، ثم قال: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا»، فهؤلاء مذمومون لذكره لهم بالكفر، وقوله «قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا»، فهؤلاء محمودون لذكره لهم بالإيمان، وقوله: «يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

فهؤلاء جنٌ مذمومون بما أوجب عليهم من النار، وقوله: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»، فهذه نجومٌ محمودة، وقوله: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ»، فهذه نجومٌ مذمومة، وقوله: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» فهذه وجودٌ محمودة، ثم قال: «وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ»، فهذه وجودٌ مذمومة، وقوله: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا»، فهذا ماءٌ محمود، ثم قال: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»، فهذا ماءٌ مذموم.

و المهمل الذي لا يجب عليه حمد ولا ذم، مثل قوله: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»، فهذه أرض لا يجب أن تُحمد ولا تُذم، لأنه لم يذكر لها فعل محمود ولا مذموم، ولا معها قرينة توجب لها حمداً ولا ذماً، ومثل قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْءَا»، فهؤلاء ليس معهم قرين يوجب حمداً ولا ذماً، ولا يجوز أن يكونوا محمودين ولا مذمومين، لأن الله سلطهم على الكافرين.

و قال: كذلك عن أسماء المؤمنين وأهل المراتب في الملكوت إذا دخلوا الأجسام النورانية، وهي مثل أسمائهم مبيناً، فقال: إنما يدعون بالرقيع الأعلى بعبد الله لا بغيره، أما سمعت قول المسيح: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا»، فسمي نفسه: «عبد الله» بالإسم الحقيقي.

قلت: فإذا استوت أسماؤهم، فكيف يُعرف بعضهم من بعض؟

فقال: إنما جعلت هذه الأسماء المختلفة لأصحاب الأجسام الكثيفة التي يسير بعضها إلى بعض، وأما الأجسام النورانية، فصاحبها يبلغ حيث يشاء من وقته وساعته.

فقلت: فقد نرى النجوم تسمى بالأسماء المختلفة وهي نازلة في الملاء الأعلى.

فقال: إنما سميت بالأسماء المختلفة عندنا لا عندهم، وإنما فعل ذلك لحاجتنا إليه، ولولا ذلك ما فعل.

و حدثني أبو علي محمد بن عبد الله بن جعفر عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسن عن صفوان بن يحيى عن ذريح بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إِنَّ أَبِي - وَنَعَمَ الْأَب - كَانَ يَقُولُ: لَوْ أَجِدُ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ لَأَسْتَوْدِعْتَهُمْ عِلْماً وَهُمْ أَهْلٌ لَذَلِكَ، وَلَحَدَّثْتَهُمْ بِمَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى النَّظَرِ فِيهِ إِلَى حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ وَإِلَى مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

و بالإسناد عن سعد بن عبد الله عن أحمد ومحمد ابني الحسين، والهيثم بن أبي مشرف عن الحسين بن محبوب عن علي بن رباب عن أبي بصير قال: قال أبو

عبد الله الصادق: «لو وجدت منكم ثلاثة مؤمنين يكتُموا حديثاً ما استحللت أن أكتُمهم شيئاً».

و حدَّثني أحمد بن القاسم عن محمد بن جعفر عن الأعور الأسدي عن سهل بن زياد عن محمد بن رومة عن النضر بن يحيى عن أبي خالد القماط عن حمران بن أعين قال: قلت: لأبي جعفر: «ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيهاها» قال: «لأحدتك بأعجب من ذلك: إن المهاجرين والأنصار ذهبوا - وأشار ثلاثاً -».

قال حمران: قلت: جعلت فداك، ما حال عمار؟

فقال: رحم الله عماراً أباً اليقظان، فإنه وقف مع أمير المؤمنين، وقتل شهيداً.

فقلت في نفسي: ما أفضل من الشهادة!، وقد فعل طوبى له طوبى مما ناله من المكافات، فنظر إليّ وقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة؟ هيهات هيهات.

قلت: الثلاثة من هم؟

قال: سلمان والمقداد وأبو ذر.

و بالإسناد عن جعفر بن بشير عن يحيى بن عاصم عن المفضل الجعفي عن أبي عبد الله الصادق قال: كم شيعتنا في الكوفة؟

قلت: خمسون ألفاً، فما يزال يقول حتى يرجعون عشرين... ثم قال: والله يا مفضل، لو دريت أن شيعتنا بالكوفة خمسة وعشرون يعرفون أمرنا الذي نحن عليه لا يقولون إلا الحق لكنت ألقى إليهم سرّاً مستسراً بحرصون عليه وعلى كتمانهم، وأرادوا أن يعلموا لي وقت جذي رسول الله بلحظة واحدة لعلموا».

و عن عبد الله بن رومة قال: قال محمد بن سنان عن قتيبة الأعمش عن أبي عبد الصادق قال: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر»، فهل رأى أحدكم الكبريت الأحمر؟!

فإذا تأمل ذو البصيرة هذه الأخبار في قلة المؤمنين، هذا وهم في إتمام أبي جعفر وأبي عبد الله، لرأى القلة، وإن الأخبار في علم الحق في توحيد عليّ العلامة

مع الأقلين، لأنه قد نفى الجَم الغفير من الشيعة، ومن يوثق بهم، وأشار إلى النفر اليسير العدد، فهم الموحّدون.

و كذلك في قوله: «حديثنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلاّ ملكٌ مقربٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو عبدٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان»، فقد رأينا بحمل هذا الظاهر الكثير من الشيعة، وما يحمل الصّعب إلاّ النّفر الموحّدون وهم قليلٌ.

و حدّثني أحمد بن هودة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق قال: حدّثني عبد الله بن حمّاد عن صالح المدني عن الحارث عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الذّابة التي تخرج في آخر الزّمان؟

فقال عليّ: والله إنّي أعرفها وأعرف أباهها وأمّها، وتكلّموها، وتحصي أعمالكم الكبيرة والصّغيرة.

و بالإسناد عن عبد الله بن حمّاد عن عمر بن شمر عن جابر بن أبي جعفر الباقر قال: «إذا بعث الله العباد أتى بالأيّام السّبعة التي عرفها الخلائق بأسمائها يوم الجمعة له نورٌ ساطعٌ يتبعه سائر الأيّام كأنّه عروسٌ كريمةٌ ذات حسنٍ تهدي إلى ذي حلّى وأساور، ويكون يوم الجمعة شاهداً لمن حفظه وسارع إليه ثمّ يدخل المؤمنون الجنّة على قدر سبقهم إلى يوم الجمعة».

و حدّثني محمد بن همام عن عبد الله بن طريف عن محمد بن عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: «إنّ الكلام ينصرف على سبعين وجهاً، لو حفظه محتفظه ما كذب، وكتمه عن جاحديه، وعمل بموجب ما يأمره، ثقل ميزانه، وعرف الله النّاس ارتفاع شأنه».

ثمّ قال أبو شعيب: مثال الله غير الله وصورة الله غير الله، والله، والصّورة غير المثال، والمثال غير الصّورة، والمثال هو الصّامت الذي يدعونه أبداً بوصيّ الإمام بعد الإمام.

قال: وسألته عن الصّورة أهي المثال؟

فقال: من قال إنّ الصّورة هي المثال فقد صدق.

و سألته عن تفسير ذلك، فقال: المثل هو الصامت الذي يدعونه صورة، فمتى أظهر الناطق الموت، فالذي يقال له المثل هو الميت، وهو المثل، وقد كنتم تدعونه صورة قبل أن تدعوه مثلاً، فمن قال إن الصورة والمثل واحد فقد صدق، على أنه الاسم الذي تدعونه مرة صورة ومرة مثلاً، وهو الصامت الذي يدعونه الناس وصي الإمام بعد الإمام.

و قد روي في الخبر: إن الله خلق صورة، ثم أجرى فيها روحه ونفسه، وكل اسم معلوم، وكل ظاهر مخلوق، وكل صفة غير الموصوف، إلا أنك بقصدك وعقلك ومعرفتك تعلم وتتحقق أن الذي رأيت، - الذي يقول الناس هو علي أمير المؤمنين - هو الله الذي لا إله إلا هو، يظهر كيف يشاء، لم يغب عن أرضه بمشاهدة سمائه، ولا عن سمائه بمشاهدة أرضه، فمن زعم أن ما رأى بعضاً فقد بعض الله، ومن قال: هو هو بذاته وحقيقته على أنه بدن وروح فقد عاناه وحده ووصفه بما يقع عليه فكره، ومن قال إنه الله يظهر كيف يشاء من خلقه، لا موصوف ولا محدود ولا زائل ولا يقضى عليه بحراك ولا سكون، ولا حد ولا مثال، استدلل على معرفته وصورته، ومن استدلل بمعرفته وصورته عليه فقد صار بعون الله على سبيل النجاة، وقال صورته وما زال منها دليلاً على خلق من خلقه، ونور من نوره.

و روي عن المولى الصادق أنه قال: «كل ما كان من قول: الله خلقنا وقدرنا ورزقنا فهو ما جمع فيه الفعل من الخمسة، وما يشاء من صورته وصفاته وما تجري به المشيئة والقدرة والفعل من واحد، وكل ما كان من قوله: خلقت ورزقت، وأنا وإياي واعبدني، فهو واقع على المعنى بالقصد وعلى النفس بالصقة، كقوله: أنا عبد الله وأخو رسول الله، فأنا واقعة على محمد وهو النفس، والقصد والعبادة إلى المعنى، وقوله: «إياك نعبد وإياك نستعين»، فأياك واقعة على محمد، والقصد بالعبادة للمعنى، وقوله: أخو رسول الله، هو الباب وهو الروح المرسل، وليس يقع على الله لفظ، ولا يدري ما الله إلا الله، وأما قول النبي: «أنا علي وعلي أنا»، فإنما عنى بعلي الاسم».

ثم قال أبو شعيب مرفوعاً إلى عمر بن إبراهيم قال: قال الحكيم: «كذب من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء، فمن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه على شيء فقد

جعله محمولاً، والله غاية من الغايات والمعنى فوق الغاية توحد بالربوبية، ووصف نفسه بغير حدودية، فالذكر لله غير الله، والله غير اسمه، وكل اسم - ما خلا الله - أو صفة أو معنى أو شيء يقع عليه اسم فهو مخلوق، ألا ترى أنك مخلوق؟

ألا ترى أنك تقول: «العزة لله، والعظمة لله، والكبرياء لله...»، وقوله تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، فالأسماء مضافة إلى الله، ثم قال الحكيم: «هذا هو التوحيد الخالص».

و روي فيه عن جابر عن أبي جعفر الباقر أنه قال: «الحمد لله الذي تراءى لخلقه كخلقه وهو غير خلقه، ورؤيته غيره وهو غير رؤيته»، ثم قال الحكيم: «من زعم أنه يعرف الله بحجابه فهو مشرك بالله العظيم، أو بصورة أو بمثال، لأن حجابهِ غير صورته وصورته غيره، ومثاله غيره، والله لا يعرف بغيره، وإنما هو واحدٌ موجودٌ، فكيف وحد الله من زعم أنه يعرفه بغيره، وإنما عرف الله بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، وإنما عرف غيره، وإنما عرفه بقلبه لأن القلب يحو ما تراه العين، ومثله معرفة الله بالأبدان عبادة الشيطان»، أعاذنا الله وإياكم.

و سأل سائل المولى الصادق منه الرحمة عن التوحيد فقال: «إن الباري الأحد فردٌ لا ثاني معه، معلومٌ لا مجهولٌ، محكمٌ لا متشابهٌ، مذكورٌ لا منسِيٌّ، لا يقع عليه اسم شيء من الأشياء كلها، قائمٌ بذاته غير مغيبٍ عن خلقه، لا من وقتٍ كان ولا إلى وقتٍ يكون، ولا إلى شيءٍ قام، ولا إلى شيءٍ يقوم، ولا في شيءٍ يسكن، ولا إلى شيءٍ أسند، ولا يخطر ببال، ولا هو صورة ولا مثال، ولا نسيج ولا ظلال، ولا مدركٌ ولا منظورٌ، ولا فيه للقاتل مقال، وذلك كله قبل الخلق في الحال التي لا شيء فيها غيره، والحال التي لا شيء فيها غيره في هذا الموضع خطر، وكل ما وقع عليه من الأسماء والكلام إنما هي صفاتٌ محدثةٌ، وترجمةٌ مترجم، فهم من فهم».

ثم قال أبو شعيب: «وأما الأعداد فهم أعداد شتى، فعدّ في الخمسة من الاثني عشر، والاثني عشر من الأربعين، وهم الأبدال، والأربعون من السبعين... والسبعون من المئة والسّتين.. حتى يبلغ إلى مائة آلاف وأربعة وعشرين ألفاً، وقيل إنه عدد المؤمنين وكل عدد غير صاحبه، والأقل هو الأفضل...

و قال جعفر الصادق - منه السلام - في رسالة التوحيد بعد ذكره الإرادة والمشينة: «إن أول إرادة الله ومشينته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء، وفصلاً لكل شيء يشتكل، ولما فعل الحروف عند إرادته في غير اسمها لأنها أول فعل الله، والحروف هي المفعولة بذكر الفعل، وهي خمسة وثلاثون حرفاً، منها اثنان وعشرون حرفاً على لغة السريانية والعبرانية، ومنها ثمانية أحرف على اللغة العربية، وخمسة أحرف منحرفة على سائر اللغات من أقاليم الأرض، فالخمسة المنحرفة هي حروف التّحميم «ك - ف - ب - ج - ح» واللسان بينهم باللفظ لا بالكتابة، ثم جعل الحروف فعلاً منه للمفعول به كقوله للشّيء «كن فيكون» فالـ«كن» نفسه منه صنع ما يكون به، فهو المصنوع، فلذلك جعلت وما أخرجته الحروف فهو المفعول من صفة أو دلالة أو أمر أو نهْي، فلخلق الأول من الله الإرادة لا وزن لها ولا لون، وهي مسموعة بالأذات موصوفة بالألسن، غير منظور إليها بالأعين.

و الخلق الثاني: ما كان من الحروف ملموساً ذا وزن منظوراً إليه، فالله عز وجل سابق الإرادة لأنه ليس قبله شيء، ولا معه شيء، والإرادة سابقة للحروف، لأن الحروف مرادة الإرادة، فأول صنعتها الحروف، وفرقتها، فمفعول بالحروف الموصولة غير المفصولة، وذلك في الحدين، الأول والثاني بعد الإرادة لهما، والمعرفة أحصى عددها وسأبين ذلك إن شاء الله تعالى.

إنّ الكون الواحد قبل خلقه إرادة الحروف ومبتدعها، وكانت الحروف محدثة فعلاً، والمشينة والمكان والإرادة بالله وحده وليس وراء الله مذهبٌ للأشياء كلها بعد الإرادة، وهو أولى بالإرادة، ثم قال: والواحد الذي قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق التقدير والتحديد، وفيه كان الذي خلق خلقين التقدير والمقدور، وليس لواحد منهما وزن ولا لون ولا نوق، فجعل أحدهما مدركاً بالآخر، وجعلهما جميعاً مدركين بنفسه، ولم يخلق شيئاً فرداً بعينه دون غيره الذي أراد من الدلالة على نفسه، وإثبات وجوده إلى خلقه لأنه فرد لا ثاني معه، ولا يجوز أن يقوم بين الله فردٌ واحدٌ مثله قائماً بنفسه بلا جوهر ولا عرض ولا تقدير...

و حدثني إبراهيم المصري عن أبي سعيد عن علي بن الحسين عن ابن سنان قال: قال الصادق منه الرّحمة «إن من وراء عالمكم هذا ستة وثلاثين ألف عالم، في

كلّ عالم ستّة وثلاثون ألف مدينة منقوشة، في كلّ مدينة ستّة وثلاثون ألف ملك، يسلوي كلّ ملك ستّة وثلاثين ألف نفس لا يعلمون أنّ الله خلق آدم وذريته، وهم أطوع لنا من أحكم لهواه، وهم مع ذلك لا يعلمون أنّ الله خلق إبليس ولا أنزل كتاباً...»

وحدثني محمد بن موسى الكرخي عن إسماعيل بن عليّ عن ابن صدقة عن هشام عن المفضل قال: قال الصادق منه الرحمة: «لقد ظهر الباري بينهم بالفرس فأنكره بعضهم، فنفع عليهم وأحرقهم، وأدركته رحمته، فأنشدهم لوقتهم».

و قد قال مولانا أمير المؤمنين: «و بقيت النار فعظموها لتعظيم صاحبها إلى وقتنا هذا».

و كذلك قال أبو حمزة: «رحم الله يزجرد، لقد كان موحداً»، قال المفضل: قلت: سيدي أظهر ثم بالفرس؟

فقال: وأين لم يظهر؟

إنّ والله وراء عالمكم هذا اثني عشر ألف عالم في كلّ عالم اثني عشر ألف مدينة، في كلّ مدينة اثني عشر ألف باب، في كلّ باب اثني عشر ألف رجل، يكبرون الله ولا يسمع من على الباب الذي يليهم لكثرتهم، ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس وهم أعرف بنا منكم».

وحدثني الحسن بن محمد العلوي قال: حدثني أبو عبد الله الميداني قال: حدثني إبراهيم عن داود بن إبراهيم عن عمر بن توبة قال: قال المفضل: سألت مولاي أبا عبد الله: أمع دنياكم هذه دنيا؟ فقال: أي والله، وخلف قبّكم هذه اثني عشر ألف قبّة، لو أخذت قبّكم هذه ووضعت في وسط واحدة منها لم تبين فيها إلا كحبة خردل ملقاة في أرض فلاة، لكلّ قبّة اثني عشر ألف باب، عرض الباب من المصراع إلى المصراع اثني عشر ألف عام، فيه الملائكة صفوفاً قياماً على أقدامهم، لو ألقيت إبرة ما وقعت إلا على رأس رجل يسبحون الله ويقسونه ويلعنون فلائناً وفلان... قلت: من ذريّة آدم هم؟

قال: لا يعلمون من هو آدم، ولا يعرفون من هو إبليس، قلت: يعرفونكم؟

قال: نحن عندهم أعرف من عندكم.

و عنه قال: حدثني علي بن أحمد بن علي العقيقي عن أبيه عن أحمد بن إبراهيم عن محمد بن عبد الله بن مهزيان قال: سألت أبا عبد الله الصادق: كم مضى من الدنيا؟

قال: أربعمئة كورة، كل كورة سبعة آلاف سنة، وفي كل كورة سبعة أوانم، مع كل آدم نوح وإبراهيم وعيسى ومحمد، وفي روية ثانية: كل كورة أربعمئة دور والدور خمسون ألف سنة، ما كان للمؤمن فيها دولة.

وبالإستناد عن محمد بن عبد الرحمن عن علي بن حذير عن جميل بن دراج عن إسماعيل الجعفي عن أبي عبد الله قال: مضى ستة أوانم، وهو الدور السادس، وهم يدخلون في السابع، وفي كل دور منها سبعة آدم، وموسى وفرعون وكذلك اختلفت المخاطبة في قصتهم في سبعة مواطن في القرآن.

وأخبرني أبو عبد الله بن محمد بن يعقوب الميداني ولقيته وهو شيخ كبير في الموصل عن محمد بن عبد الله النيسابوري عن أحمد بن العباس عن الحرس عن إبراهيم بن عمر المكفوف عن إبراهيم بن يزيد عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق، وقد سألوهما عن الكرسي وصفه الخلق فقالا: وهو كتاب مترجم بكتاب الكرسي، والعلم والقدرة، ولقد اختصرنا منه موضع الحاجة إليه: إن الله خلق أركانه أربعة أرواح: روح القدس وروح الأمين وروح ذي المعارج، وروح الأمر، فباطن أركانه الأرواح. فجمعهم في الأعراف، وعرفن الأركان على الماء المعين الذي خلق بلا شئ بالقدرة بلا جسد ولا حدود، قائماً غير معدوم، وهو قوله: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» أقلاً يؤمنون»، وقوله: «وكان عرشه على الماء»، ثم بدأ بالتبدي من المشينة ففاض الماء على الهواء فاحتلط به، فأنشأ من الماء طلاء، ثم أنشأ من ذلك الظن مظلمة، فكان الظن مظلماً، والهواء مظلماً، والظلمات مظلمة، ثم جعل الظلمات والنور، ثم خلق من ذلك النور صورة محدودة بافتقار العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر، ثم أسكنه ذلك النور، فخلق من العقل العلم، وقدر صورة النور بالقدرة، فأقامه حياً بالماء قائماً بالعلم دائماً في الملكوت، فقال: «الحي القيوم لا تأخذه

سَنَةً وَلَا نَوْمَ».. وأقام الأول جعل لنفسه نسبة ولم يجعل له شبيهاً فقال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

و أشهد الأظلة على نفسها، ثم قال في تفسير النسخة الأولى: لها سبعة صفوف أو سبع طرائق: الأول النور، الثاني الهواء، الثالث الظلمة، والرابع النار، والخامس الريح، والسادس الماء، والسابع الطين... وكل صف قائم في يوم إلى تنمة الصقوف.

فالصف الأول والثاني: الرسل، والثالث النبيون، والرابع المؤمنون، والخامس الكفار، والسادس الفراعنة، والسابع الأبالسة والطواغيت، ثم أخرجهم إلى الذرو. وأجرى فيهم النسخة الثانية، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثم خلق الكلمة الطيبة عن يمينه، والكلمة الملعونة عن شماله، فأسكن فيها الذرو فرقتين، فرقة ناجية بالكلمة الطيبة، وفرقة هالكة بالكلمة الملعونة، ثم خلق البحرين أحدهما عذب فرات، والآخر مالح أجاج، ثم أنشأ منهما الذرو، ثم أغشى الطرائق السبع، والصقوف السبعة بغواشي، فأول يوم إلى الثاني هفوة، وبين الثاني والثالث وسنة، وبين الثالث والرابعة نصبة، وبين الرابع والخامس سهوة، وبين الخامس والسادس غفلة، وبين السادس والسابع سكرة.

ثم جعل الليل من هذه الغواشي، ثم إن الله سطح نوراً، وخلق من قدرة وصورة، ثم أمر أن يخلق ناراً مسطوحة، ثم أمر أن يقد منها قدداً، ويصور منها صوراً، فأقامت القدد والصور بين عابدين، ثم نهى النورانية ألا تختلط بالنارية، فاختلفت، فسطح خلقاً من خلقين، ثم أمر أن يخلق ريحاً فقد منه قدداً، وصور منه صوراً، فأقاموا لله عابدين، ثم أمر النارية ألا تختلط بالريحية، فاختلفت بعضها ببعض، ثم سطح البعض الذي اختلف، ثم أمر أن يخلق ماءً، فخلق وصور منه صوراً وقد منه قدداً، فأقاموا لله عابدين، ثم أمر الريحية ألا تختلط بالمائية فاختلفت، ثم خلق طيناً من البحر العذب الفرات، والمالح الأجاج، وقد منه قدداً وصور منه صوراً فأقاموا لله عابدين، ثم أمر المائية ألا تختلط بالطينية فاختلفت بعضها ببعض.

فكان هذا الخلق الممزوج الأربعة: النور والنار والريّح والماء، وسطحت طينة آدم فخلق سائر الأجزاء..... وقال بعد كلام طويل، ثم خلق النور وخلق النار، فحجب النور بالنار، ثم خلق الماء فحجب به الريّح، ثم خلق الطين من زبد البحر، فحجب بينهما، فهذه الطرائق والقند:

فالنور خلق منه الملائكة مصوّرين، والنار خلق منه الجنّ مصوّرين، والريّح خلق منها الجنّ مصوّرين، والماء خلق منه الإنسان مصوّرين.

و الطين صورة آدم، فخلق آدم من النور والنار والريّح والماء، والنور من سائر الأجزاء، قوله تعالى: «كُنَّا طَرَائِقُ قَدَدًا» يقول: كلّ جوهر خلقت منه صورة، ففيكم من جوهرهم، فصارت الملائكة ترى جميع الخلق ولا يراهم إلا الجنّ لأنهم خلقوا من النار، ولا يراهم الجنّ والإنس إلا من أكرم منهم على الله، وإنما رآهم من الإنسان من كان من جوهرهم بالنور، فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنار، ويسمع ويتحرك بالريّح، ويجد لذة الطّعام والشراب بالماء، وينظر ويعلم بالنور.

فلولا النار التي في معدنه ما انضج الطّعام والشراب، ولولا الريّح ما التهبّت نار المعدة، ولولا برد الماء لأحرقتّه نار المعدة، ولولا النور ما أبصر ولا عقل، ولولا الرّوح ما تحرك ولا جاء ولا ذهب، فإذا فرّق بين الرّوح والجسد رتّت الرّوح والنور والنار إلى القند الأول، وترك الجسد في الأرض، وإنما فسد الجسد في الدنيا لأنّ الريّح ينشف الماء فيبيس الطين ويصير رفاة، ويردّ كلّ إلى جوهره، وقيل إلى جنسه الأول، فما كان من نفس المؤمن فهو النور مؤيّدًا بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو النار مؤيّدًا بالكفر، فهذه صورة النور، وهذه صورة النار.

ثم قال في ذكر الحجب السبعة: وهي حجاب بين الأمر والملائكة وحجاب بين الملائكة والرّوح، وحجاب بين الجنّ والجنّ، وحجاب بين الإنسان والجنّ، وحجاب بين الماء والنار، وحجاب بين النور والظلمة، فلما أهبط آدم إلى الأرض أمر الفلك أن يدور، وكان على عهد الجنّ لا يدور، فبقي آدم هو وذريّته في أقاليم من الدهور، والإقليم انقطاع حساب العرب والروم، ومبلغ حساب الهند، والأقاليم ثمانية منها سبعة تدور وواحد قائم لا يتحرك، ولا يدور، وهو إقليم الجنّ، فكان الفلك سبعة أقاليم تدور في القطب، فمن أجل ذلك عرف الليل والنهار.

و قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن أيوب القمي قال: أخبرني أبو المتني عمر بن مختار الخزاعي عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في كتاب المراتب والدرج، قال: «إن الله خلق الخلق روحانيين لا يطعمون ولا يشربون، ذوو أجسام نورانية، فظهر فيهم على هيئاتهم وأشكالهم، وأظهر لهم القدرة الباهرة، وجعلهم يشاهدونه ويرونه وينظرونه ويسمعون كلامه، ويعرفون قدرته، ويعقلون أمره ونهيه، ثم إنه دعاهم إلى معرفة وحدانيته، والإقرار بربوبيته، وجعل لهم من العقل ما يفصلون به بين الحق والباطل، والخير والشر، والطاعة والمعصية، فأجاب منهم إلى ذلك من أجاب، وعصى من عصى، فكان الذين أجابوا أن كانت إجابتهم في أوقات شتى، فمنهم من أجاب أول الدعوة، ومنهم من تخلف عن ذلك، ومنهم من أبي واستكبر، ومنهم من حار ووقف، واقترب الخلق فرقتين، فرقة مؤمنة، وفرقة كافرة، فكان مقدار الوقت منذ دعاهم إلى أن افرقوا سبعة أيام، وسبع ليال، فجعل الله إيمان المؤمنين ضياء النهار، وجعل كفر الكافرين ظلام الليل، فصار السابقون في الإيمان رؤساء المؤمنين، وصار السابقون في الكفر رؤساء الكافرين، فاستوفى القوم إيمانهم وكفرهم في الحال من الأيام السبعة، فجعلها الله الدائرة بين هذا العالم.

ثم إن الله جعل المؤمنين في مراتب الإيمان، والكافرين في مراتب الكفر على قدر سبقهم في الطاعة والمعصية، فجعل السابقين الذين أجابوا في أول الدعوة الأبواب، ثم الأيمان ثم يليهم النقباء ثم النجباء ثم المختصون ثم المخلصون ثم الممتحنون، فهذه المراتب السبع للمؤمنين على قدر السبعة الأيام المذكورة، ثم جعل الكافرين سبع مراتب أيضاً بالكفر، ثم قسم أيضاً كل مرتبة من هذه المراتب إلى سبع درج على قدر ما كان مشهم بالسبق بالطاعة أو المعصية، فأكمل للمؤمنين تسعة وأربعين درجة، وللكافرين تسعة وأربعون درجة، ثم إن الله أشكن المؤمنين السماوات وجعلهم منازلهم، وخلق من أجسامهم نورانية وجعلهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتألمون.

قلت: جعلت فداك، فهل ترى تلك الأجسام النورانية. قال: نعم يا عمر، أما ترى الشمس والقمر والكواكب؟

قلت: نعم يا سيدي، قال: كل هذه الأجسام أجسام الذين أجابو الرب وقبلوا
دعوته، وأقروا بربوبيته على حقيقة المعرفة.

قلت: سيدي ما بال بعضها أشد ضياءً من بعض، وبعضها أعلى من بعض
وبعضها أسرع من بعض؟

فقال: أمّا شدة الضياء فهو على قدر كثرة علومهم وقلتها، وعلوها على قدر
الاجتهاد وحسب المواضع الذي قد أمر أهلها بالدعاء، وأمّا علتها في البعد والقرب،
فهو على حسب الأماكن مما فرض الله على كل ولي ومؤمن من الملازمة للمكان،
والمقاربة له.

قلت: فهل للمؤمنين منزلة أعلى من الشخص أو أكثر علواً، أو أجل قدراً منها،
فإنني لست أرى في الفلك أشد من ضيائها؟

فقال: أمّا ما كان مما يلي الأرض فلا، وأمّا ما كان مما يلي العلو، فتعلم،
أعلى منها مكوّناتها، وأشدّ ضياءً، وذلك أنه لو ظهر لها نور الملكوت بذاته لأحرقها،
وذابت كما يذوب الرصاص، حتى لا تعان ولا تحس، وكذلك الشمس لو ظهرت
بذاتها لمن هو دونها في المرتبة والدرجة ممن كونه لكان يكون في الحال مثل ذلك،
وكذلك لو ظهر نور شمس واحد ممن يحل الملكوت والعلو لأعشى أبصار أهل
الأرض أجمعين، وإنما يظهر لهم شمس الشمس من الأولياء دون غيرها لأنه أجل
منها تورا، وأكثر علواً، وأشدّ ضياءً لمعرفته بهم، وما يطيعون من ذلك من أهل
السّماء، فجعل أهل السّماء التي تلي الأرض هم الذين عليهم الفروض في النورانية
لم يخلصوا منها بعد ذلك، فإذا قضى كل ولي ما عليه من الدعاء المفترض عليه
رفع من هذه السّماء إلى موضع ومحل يعرف بعمود الشّبح، ومن ذلك الموضع
يأتي أهل تلك السّماء المادة الميرة من الطّوم.

قلت: جعلت فداك، فهل يوصف ويرى النور الذي فوق هذه السّماء؟ وهل له
دليل أو شاهد نحتاج به إذا سئلنا عنه؟

قال: يا عمر ألسنت ترى إذا فتق الله ناحية من هذه السّماء وظهر مقدار شرك
من النور الذي يسمى البرق، هل يقد أحد من البشر أن يملأ بصره به؟ وإنما هو

بمقدار الخيط، وتكاد أبصار الخلائق تخطف منه، فكيف إذا فتقت السماء أبوابها كلها؟ فهذا دليل على ما ذكرت لك.

فقلت: جعلت فداك، فكم يحلّ ذلك الموضع أهل مرتبة بكمال، إنما يحلّ أهل أربع درج من مرتبة الأبواب وما سوى ذلك فهو يكرّ في هذه السماء، فقلت: فهل للوليّ إذا انتقل من هذه السماء إلى الموضع الذي يُعرف بعمود الشّبح علامة يُعرف بها؟

قال: أمّا ما كان من نقلة الشّمس فبالكسوف والاستتار وأمّا ما كان من نور الكوكب فبالإنقضا، ألا ترى لا يصعد إلى ذلك المحلّ إلّا ما كان من درجة الشّمس، وما كان من دون ذلك من الأقمار والكواكب والأفلاك والبروج، فإنّها تكبر حتّى تلتحق بمنزلة الشّمس، فتكون معه في ذلك الموضع إن غاب تغيب لغيبته، وإن ظهر تظهر لظهوره، وليس يحلّ ذلك الموضع من أهل الدّرج غير الأسماء والحجب والآيات والأنوار، فإنّ الدّرجة ليكون فيها عالم من المؤمنين، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ كرّر الخلائق أجمعين بالمواليد، وظهر فيهم وجعل المؤمنين الدّعاة إليه، والدّالّين عليه، وجعل الدّليل لهم على نفسه عند ظهوره القدرة والمعجزة التي لا يأتي بها أحدٌ سواه، فلا يزال العبد يكرّ مرّة بعد مرّة، ووقفاً بعد وقت، وعصراً بعد عصر، حتّى يخلص له الإيمان المحض أو الكفر المحض.

فإذا أخلص العبد منهم الإيمان المحض يردّ إلى الرّوحانيّة والأجسام النّوريّة، ويسكن في جوار الله وحسن أولئك رفيقاً، وإذا أخلص العبد الكافر منهم الكفر المحض أنشأ له من فعله جسماً من المسوخية يعذب فيه على قدر منازلهم، وإيمانهم ويزدادون، والكافرون يعذبون على قدر كفرهم وننوبهم، فإذا قضوا ما عليهم رتّوا إلى الأشخاص البشريّة ولحقوا بالإقليم الذي فيه الرّبّ ظاهرٌ والدّعوة مستأنفة.

قال أبو المثنّى: قلت لأبي عبد الله الحسن جعلت فداك، فإذا ظهر الرّبّ لإحداث أمر، أو تغيير شريعة، أو تبديل دين، فكلّ هؤلاء المؤمنين من أصحاب المراتب والدرج يكونون معه ويشهدون مقامه؟

فقال: يا عمر إنّما يكون معه من أحبّ الجّهاد وصبر على البلاء، فأما من سنم من معاشرة هذا المخلوق المنكوس، وملهم وضجر منهم لم يكلفه الله ذلك، فهو

يسرح مع الملائكة، مثبت في الملاء الأعلى في العالم النوراني، فقلت: جعلت فداك، فأي القوم أفضل المقيمون في الملكوت أم النازلون مع اللاهوت؟

فقال: ألم تسمع قول الله عز وجل إذ يقول: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى».

فقلت: جعلت فداك، فكم نزل منهم في هذا العصر مع السيد محمد منه السلام ممن قد حل المراتب وسكن الدرج مع الملائكة؟

فقال: يا عمر ليس هم من الملائكة الذين ملكهم الله علمه واستودعهم سره، وكذلك كل من صفا من هذا العالم، وخرج من شكل هذا الجرم يكون ملكاً، ثم قال: يا عمر إنه لم يهبط مع الله سبحانه وتعالى في عصر من الأعصار ودور من الأدوار من المؤمنين أكثر مما هبط، فقلت: جعلت فداك، فكم أكثر ما كان معه منهم في وقت من الأوقات، منذ ظهور السيد محمد إلى أن غاب؟

فقال: أكثر ما كان معه منهم خمسة آلاف، وقد كانوا قبل ذلك اليوم معه الألف والأكفين أو الثلاثة، وأقل من ذلك أو أكثر، وفيهم يقول الله عز وجل للمؤمنين: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَنَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ»، فكانوا يوم الأحزاب ثلاثة آلاف وكانوا يوم بدر ألفاً، وكانوا يوم أحد ألفاً، والشاهد قوله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ»، فتموا يوم حنين خمسة آلاف، ألم تر إلى الذين كانوا مع السيد محمد لم ينصرف منهم أحد ولا غاب منهم أحد إلا وأنزل الله تعالى مكانه واحداً من ذلك الوقت إلى يوم استشهدوا بصفين مع أمير المؤمنين، وهو اليوم الثالث المعروف من أيام الهرير بشرطة الخميس دون سائر الشرط، وذلك أن أمير المؤمنين كان له لكل يوم شرطة، فالعراقون منهم بشرطة الخميس دون سائر الشرط، فقصدهم بهم مجموع أهل الشام، ثم أذن لهم فرجع أهل كل مرتبة إلى مرتبتهم، وأهل كل درجة إلى درجتهم، وإلى مقاماتهم في الملكوت، وحلوا أجسامهم النورانية، ولم يبق منهم

إلا نفر قليل، وهؤلاء الخمسة آلاف ولي، سبع مراتب كل مرتبة مقسومة على سبع درج، فتلك تسع وأربعون درجة.

فقلت: جعلت فداك يا سيدي، أهم معروفون في الأسماء والأشخاص ويحلون في سائر القبائل على أنهم من سائر الناس؟

قال: يا عمر لا يكون ذلك إلا كذلك، يجوز يا عمر أن الله تبارك وتعالى يظهر بشخص بشري واسم ونسب، وقيلة حتى تراه للناس مثلهم وعلى صورهم وشبههم ويظهر عبده بخلاف ذلك؟

يا عمر لو يظهر بخلاف ذلك لم يخف على أحد أمره ولا يستوي الناس أجمعين في معرفته وخروج في ذلك عن حد المحنة، فقلت: جعلت فداك، إن رأيت أن تتفضل على عبدك بشرح معرفة أسماء هؤلاء الخمسة آلاف، وأن تقسمهم على درجاتهم كما قسمتهم على مراتبهم، وتعرفني على أسمائهم وأنسابهم وقبائلهم في وقت ظهورهم مع الرب، وأسمائهم المحمودة التي دعاهم الله بها في كتابه، فإن معرفة ذلك تزيدني بصيرة وتقربني من الله تعالى، فأزدد تعبدًا واجتهادًا وطاعة لربي، وذكرًا...

قال: يا عمر، قد أعلمك أن أعلى المراتب وأقربهم إلى الله وسيلة الأبواب، وهم الذين لم يجعل الله لأحد سبيلًا إلى خلاص معرفته وحقيقته إلا بهم، فهم أمناءه على وحيه، وهم الذين أمر الله سبحانه ألا يقصد ولا يتوجه إليه إلا بهم، قال تبارك وتعالى: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، فقله ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها، يعني علم الظاهر وأهله، الذين ينسبون إلى الله ما أظهره من الأقوال والأفعال وهم لا يقرّون به ولا يثبتونه، ولا يثبتونه، لأن الشخص الذي ظهر بينهم راؤه مخلوقًا مريبًا، فأمر بالابتعاد منهم، ثم قال الله عز وجل: «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا»، يعني هم الأولياء الذين يدخلون الناس في معرفة حقيقة علم الباطن الحق، ويقيّمون بذلك الحجة البالغة لأن الله رب العالمين هو هذا الشخص الظاهر فيما بيننا يدعونا إلى طاعته والإقرار به.

إيضاح المصباح

الدراسة على سبيل التجاع

للسير الجان الجبلاني

رسالة إيضاح المصباح هي عقيدة متكاملة توضح بها معالم

الديانة بصورة ثابتة تجعل من العقيدة والشرعية شيئين

متلازمين يوضعان بتلازمهما وحدة وتكاملاً في الوجود ومن

الظاهر في هذه الرسالة أنها لم تكن مرحلة إلى مؤمنين بالفكرة

العلوية على الخصوص بل هي مرحلة إلى الشيعة على العظام

لبلنا على ذلك هو إقرار الجان بلخفاته بعض الشرح وعدم

إظهاره إلا أن رسالته مقدمة للعلم والخاصة بوضع الرسالة

من شروحات كتاب الكوار للمبتدائي شيعي العام ذكره

في كتابه المسمى بـ "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار" في كتابه "الكوار"

تبيان شرائع الناس واختلافها

الحمد لله ربّ العالمين، المتوحد في غيبه بذاته، الدالة عليه أسماؤه مع صفاته، وهي الذات العلية والأسماء الخفية، والحمد لله الموجود بكل مكان مقصود، فهو تعالى وتقدس وعز وجل أن يشغله شأن عن شأن، والحمد لله الظاهر بالأنوار الموجود ظهورها منه، والحمد لله المتوحد بالوحدانية، المتفرّد بالصمدانية، الداعي إلى نفسه بنفسه، الموحى إلى حجابيه، ومبهر أبوابه وأشخاصه بالآيات، ومُظهر المعجزات إيجاداً بحجته لنلاً يقولوا: «ما جاءنا من بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ»، فقد جاءكم بَشِيرٌ ونَذِيرٌ، والله على كل شيء قدير.

أحمده على ما عرفنا به من نفسه المحذرة، وقدرته المشهورة، لأن تلك القدرة هي قدرته المصورة وآياته المنذرة، أحمده حمداً من نزّهة عن الإحاطة والإحصار، وجلّ من أن تحويه الضمائر والأفكار، فقد تعالى عن التكيف بالخواطر والأسرار، وجلّ عن الإدراك في الدّهور والأعصار، وصلى الله على هذا الحجاب الأعلى وعلى الباب المقيم صاحب الشرف والنور الأسنى، وعلى من يليه من الأيتام والنّقباء والنّجباء والمختصين والمخلصين، والممتحنين، تمام العالم الكبير العلوي النوراني الذين بهم الهداية إلى معرفة أسّ المفعولات ألف الصبغة وهاء القدرة وعين السلسيل، وينابيع المعنى، وأنتي بالصلاة والسلام والتسليم على العالم الصغير الأدنى وهم: المقربون، والكروبيون، والروحانيون، والمقتسون، والسّائقون والمستمعون، والآخون.

فيحيى بتحيّاتهم من تمسك بهم وبهدايتهم حياة لمن عرفها ولا موالاة لمن جهلهم، وعلى من آل إليهم في حقيقة المعرفة إيقاناً بصدق وإيماناً بحق، وسلم تسليمياً يُعطي قائله إلى منازل النور، ودرجات الحبور، بارتقاء يستضيء بأنوار العلوم الربّانية، فتسفر له عن غرائبها وتنبئه عن عجائبها وتهديه قصد مسالكها، فلم يزل في استنباط الحكمة الملكوتية اعتداله بحقائقها تؤنّيه إلى حسن طرائقها في رموزها ونقائنها وتتجيه من الذين هم أهل الحيرة في الدنيا وهم عن الآخرة معرضون.

اعلم أيها السائل - رحمك الله - أنني أتعرض لك بتعرض وهو ما روي عن العالم منه السلام وقد سأله سائل عن بدء النشأة الأولى من كتاب الله عز وجل، وهو قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ^١»، فقال منه السلام: إن الله بدأ الخلق أجمعين نرواً واحداً ذوي أشباح وأرواح واحدة، وصور واحدة، بأفهام وعقول متساوية، وناداهم بنداء واحد، فأجابوا كلهم بإجابة واحدة: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟» قالوا: «بلى».

فيقول السائل للمسؤول: فإذا كان ابتداء الخلق ابتداءً واحداً بصفات واحدة، فلم قد صار منهم مؤمن وكافر، وغني وفقير، وعاقل وجاهل، ومتكبر ومتواضع، ونظائر هذا من القول، وأين موضع الهداية إلى هذا وذلك؟ - مسألة من موضع مصون الفهم - لا يقدر عليه في ردّ الجواب عنها وحقيقته إلا عالم رباني، يكون قد نقل علمه عن الهداة الصادقين، والأئمة العارفين في هذه المسألة، ولا يخلو أن يكون من أحد سبعة أصناف، فمنهم ثلاثة ممن قد تقدم ذكرهم، وتأخر الباقيون إلى أن ظهرت شريعة الإسلام مع من يقر بالكتب المنزلة، والشرائع قولاً، ويخالفها عقلاً، فإنه يضاف إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم الملحدة والذهريّة والمعتلة، ممن يدعي برأي الفلاسفة.

فأولئك غرضهم نقض الشرائع، ونبذ الكتب المنزلة، لإبطال ما جاءت به الرسل والأنبياء، وتضعيفاً للقدرة، وتزويراً على من أقر بالآيات، وصدق بالمعجزات، ومن شرانهم ممن يقول: أيموت، أم يعيش، أم ينشر، وآخر فإنه يقول بقول أبي بكر عبد الله بن عثمان حيث قال:

يقول لنا ابن كبشة سوف نحيا	ويكيف حياة أشلاء وهام
إذا ما الرأس فارق منكبيه	فقد شبع الأنيس من الطعام
فتشفلني إذا ما كنت أحيا	وتحييني إذا رمّت عظامي

و قول صاحبه حيث يقول في شعره:

إِنَّا وَمَاضِيَنَا وَغَابِرُنَا
فَمَيِّتٌ ثُمَّ مَوْلُودٌ وَبَيْنَهُمَا
فَلَيْسَ تَرْجِعَ لَا خَيْرَ وَلَا أَثَرَ
صَدَقَ الْعَيَانُ وَهَذَا الْخَلْقُ وَالْبَشَرُ

و نظائر هذا كثيرٌ عَمَّنْ يُخْجَلُ قَوْلُهُ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي ذِكْرِهِ، وَتِلْكَ عَادَةٌ
جَدُّوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَصُوا رِسْلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ حَبَّارٍ عِنْدِهِ، فَمِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٌ، وَهُمْ:

القدرية: الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ.

و الجبرية أصحاب البدع والقياس والزيغ والانعكاس، فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ
وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، وَاتَّبَعُوا رَأْيَ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ الْمَخْبِرِ حِكَايَةً عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَلَخَرُوا نَافِرُونَ أَنْكَرَ وَفَاجِرَ، وَبَدَأَ
الْإِعْتِدَاءَ، وَعَلَى أَثَرِهِ مَنْ بَكَفَرَهُ أَفْتَدَى بِمَا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نَارٍ وَطِينٍ.

و منهم الحشوية: الَّذِينَ أَخَذُوا بِظَاهِرِ الْأَمْرِ وَالْمَقَالَةِ، فَتَاهُوا عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ
وَمَاتُوا وَنَزَلُوا فِي طَرِيقِ الْجَهْلَةِ، وَتَعَالَوْا وَتَنَكَّبُوا عَنِ أَعْلَامِ الْهَدَايَةِ، وَسَلَكَوا غَيْرَ
سَبِيلِ الْوَلَايَةِ، فَوَكَّلَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَالَمِينَ.

و الصنف الرابع: وَهُمْ الْمُسْتَرْشِدُونَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ سَبِيلَ النِّجَاةِ بِمَا أَدْرَكَ
الطَّالِبُ طَلْبَتَهُ، وَتَمَّ أَرَبَهُ، وَبَغِيَّتَهُ، فَالْمَسَائِلُ مِنْهُمْ غَرَضُ الْحَقِيقَةِ، وَدَفْعُ الشُّكُوكِ
الْمُغْرَضَةِ، فَيُوشِكُ أَنْ يَفْرَجَ لَهُ عَنِ الْحُجَّةِ، وَيُرْفَقَى عَلَى سَبِيلِ الْمَحَجَّةِ، وَأَمَّا الْمَسَائِلُ
فَنَصْفَانِ، نَصْفٌ يَقُولُهُ الْعُلَمَاءُ وَهُمْ الَّذِينَ تَقْلُوهُ مِنْ مَطَارِحَةٍ إِلَى مَضَارِبَةٍ، وَحَمَلُوهُ
مِنْ مَعَادِنِهِ مَجِيبِينَ لِلَّهِ خَاشِعِينَ لِلَّهِ مُتَفَقِّهِينَ فِيهِ، كَلَّمَاهُ لَوْ تَقَوَّا دَرَجَةً فِي الْعِلْمِ زَالُوا عَنْ
الْخَمُولِ، وَتَوَاضِعُوا لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِأَوْلِيَائِهِ دَرَجَةً، فَأُولَئِكَ دَرَجَتُهُمُ دَرَجَةُ الْأَنْبِيَاءِ،
وَرَبِّتُهُ الْأَوْصِيَاءِ، وَأَنْمَةُ الْهَدْيِ، وَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ السَّيِّدُ جَعْفَرٌ - مِنْهُ السَّلَامُ - فِي
جَوَابِهِ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ بِقَوْلِهِ لَهُ: (اَعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُمْ ذَوُو مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، لَوْ أَنَّ
مَنَابِتَهُمْ وَضِيعَةٌ } وَأَنَّهُمْ يُحْيُونَ بَكْتَابَ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبْصِرُونَ بِهِ لِمَنْ عَمِيَ)، لَقَوْلِهِ
تَعَالَى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

تبيان فضل الأئمة

قال أبو محمد عبد الله الجنان الناطق بهذا الكلام:

أقول - وما توفيقي إلا بالله - عليه توكلت، وإليه أنيب، وذلك أني لما رأيت نهج الخاصة منهم والعامّة والطوائف بهذا السؤال والمعارضة وكل في حاشيته يتورط، وفي شبهته في أهله وقبيلته يتخبط، كما قال الله تعالى مخبراً عنهم: «لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا»^١، وإنّي رأيت المسترشد مشفقاً في طلبه، بعيداً من أربه، ولم أجد العلماء المحققين في طلب تجديد هذا السؤال قولاً في نقل مسطور، ولا تعمّدوا جواباً شهده، ولا شفاءً فيها يورده من علوم عميقة وجواهر أنيقة، ضناً بوصوله إلى المخالفين وتجنباً لتعليق اليواقيت على رقاب الخنازير والقردة، بل جعلوه مندباً وسفهاً.

و سألقي - إن شاء الله تعالى - خطاباً للبالغين، والأئمة المستحقين، والإخوان العارفين، والسادات المؤمنين، ما ألقى في روعي على نزول درجتي عن درجة العلماء، ونقصان رتبتي عن رتبة الحكماء، فألفت كتاباً وسميته (إيضاح المصباح، الدالّ على سبيل النجاح) فيهندي به الحائر، ويستقيم به الجائر، ويقوى به الضعيف، ويلتهي به اللّهي، وأرجو أن أحيي نفساً من مماتها، وقد تسعد معه بحياتها، وهو قول الله تعالى: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعاً»^٢، ونورد في ذلك أن الكافر قد قفل قلبه، وسلب لبّه، وقد حجب عن الأنوار أن يقتبسها، ودفع عن الحكمة أن يلتمسها، والخبرة أن يلتقطها، فضرب دونه بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

أما أنت أيّها السائل، الذي عن الباطل حائل، وفي النور جائل، لا يملك الله عن عدله، وأدخل التّستك على نفسك، ومن بحضرتك، بما سمعته خبراً، وشاهدته عياناً، فإن كنت من الفرقة الناجية من الإسلام، طرحنا لك معنى الكلام، لقوله تعالى:

^١ الكهف ٤٣.

^٢ آل عمران ٨٥.

«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^١، وقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»^٢، وإِنَّا لم نقل هذا، غير أَن غرضنا مجاورتك، لكننا إِذَا سَلَطْنَا الكلامَ مع من هو من أمثالك كان في الأصول الَّتِي أَنْتُمْ طالِبوها لا في الفروع الَّتِي هذه المسألة عنها، وإِنَّمَا كلامك بها مظاهرٌ وممالأةٌ مِمَّنْ اعتقد المحال، ورماك في طرق الضلال، إِذَا كُنَّا قد اخترنا ذلك في كلام أهل مفاصلك في تبطيل الشرع والنبوءات، وورود الآيات المبهرات، وَإِذَا كان ذلك كذلك، فقد وجب أَن يكون السائل ذلك.

واعلم - وقفنا الله وإياك - لو أحسنت بالله ظناً، وأخلصت له سرّاً، وطلبت العلم من السقرة الذين ذكرهم الله تعالى فقال: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»^٣.

قد جعلهم الله تعالى الوسائط بينه وبين خلقه، وهم خزان علمه، والقوامون بالقسط بين عبادِهِ، والأوصياء له صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

و قوله - جلّ من قائل -: «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ. وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ»^٤، وقوله تعالى: «فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ»^٥، وقوله تبارك وتعالى اسمه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^٦، وقال عزّ من قائل: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^٧، وقوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ»^٨، وقوله عزّ من قائل: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»^٩، وفي القرآن أيضاً كثيرٌ بمعنى ذلك، مثل قوله: «وَكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

^١ آل عمران ١٩.^٢ الأنبياء ٢٦.^٣ الأنبياء ٢٦.^٤ التّحان ٣٣.^٥ عبس ١٣ - ١٥.^٦ المائدة ٥٥.^٧ الحشر ٧.^٨ النساء ١٣.^٩ آل عمران ١١٠.

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^١»، وذلك أنهم هم الشهداء على الخلق، وهم الحجة على الناس.

وقول الرسول منه السلام: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله حبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين، وجمع بين إصبعيه»، فلو تمسكت بهما أيها السائل لملت منحة الهدى، وتوفيق الحسنى، فلا تركب عن طريقهما، ووكل إلى الله اختيارك، ولا تخلف بينهم وبين إشارتك، فإن اتفق أن يقول السائل: فإنني لولاهم ما اعتقدت، وبحبلهم تمسكت، قلنا له: قد ذهب إلى التقصير في أمورهم، ولم تفهم حق اصطفائهم ورضيت من معرفتهم باليسير بلاغا، وتركت الغاية القصوى، ولم تتأمل نفوسهم، وما وصفهم الله تعالى، وما وصفوا به أنفسهم، وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتنوا إليه الوسيلة^٢»، وقوله تعالى في قصة آدم عليه السلام: «فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^٣»، وهم الكلمات.

و قوله تعالى في قصة إبليس لعنه الله لما امتنع من السجود لآدم: «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ^٤»، وهم العالون المرتفعون، وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين^٥».

و هم الذين ندب الله إلى الكون معهم، فمن عدل عنهم هلك، ومن تخلف عن إبليس وارتقى إليهم فقد علا إلى الدرجات الزلّفى في المقام الأعلى، ونظائر هذا وما قد قالوه في أنفسهم، وهو قولهم: «قولوا في فضلنا ما سنتم، بعد أن تجعلوا لنا رباً نتقرب إليه، فإنكم لا تضعونا في منزلة إلا كنا أعلى منها»، وبقولهم عليهم السلام: «إن لنا منزلة من الله إذا كنا بها كنهو، وإن لم نكن بها كان هو كما هو، ونحن كما نحن»، وقولهم - منهم السلام - : «إننا فعلنا، ونحن فعلنا، فإيانا عنى»، ومثل قوله تعالى: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ^٦»، ولولا أن الإكثار يخرج

١ البقرة ١٤٣.

٢ المائدة ٣٥.

٣ البقرة ٣٧.

٤ النساء ١٣.

٥ التوبة ١١٩.

٦ الزخرف ٣٢.

عن مواقع الآثار في هذه المسألة لأضن في هذا الكتاب ما يقتضيه، ونحن بعون الله تعالى وإرشاده، فنذيع من السرّ نبذاً يقتضيه الجواب. ونظهر من الباطن لفظاً يوجبه الخطاب، ويكون بذلك شفاء لمن فتح له مسمع قلبه. ووفقه لرشده.

الوجود

فنقول: قد أقررت أيها السائل، وسلّمت فيما سمعت خبراً: إنّ ذلك التّساوي بالكمال في الصّفة والنّداء والإجابة عدلاً تاماً كاملاً، لا اعتراض به ولا شبهة، وبقي أن تعرف العدل فيما شاء عياناً لا اختلاف من ذلك الائتلاف، ومن يتأثّر بتلك الأوصاف فيجب أن تظهر ذوات فهمك من سمعك وبصرك ولبّك مستصغراً لتسليم الحقّ إذا ورد عليك غير معاند له، ويشرح صدرك كلّما سمعته، فإنّ القدرة والملك فوق ما نورد عليك، فلعلّ ذلك أن يعود بصلاحك لقوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^١».

فنقول: إنّ ذلك الذّرو المبدئي في تنقّله أنّه خلقه الله من ذكر أو أنثى، وهو آدم وحواء، وشاهده قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ^٢»، فظهر ذلك الذّرو في الولادة، ويظهر في أزمنة متتابعة مولدها عمر الدّنيا، فجعلها أجساماً كثيفة مركّبة من ستّة أجزاء غيريّة، ومعنى قولنا غيريّة أي كلّ جزءٍ منها غير صاحبه، ألّفها على تباينها واختلافها وأعدادها على تضادّها وانحرافها، وقامت الصّورة البشريّة بأحسن تقويم، وهو كما قال الله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ^٣».

وذلك أنّ الأزل القديم كان ولا كون ولا مكان، ولا حدوث، ولا زمان، فلمّا أراد إيجاد الحكمة أبدى الصّناعة والدّلالة بالفعل على القوّة، وهو كما قال العالم منه السّلام: «إنّ الفتنق والرتق دليلان على العالم والمعلوم»، ودليل الظّهور والبطون، ودليل القوّة والفعل، لأنّه سبحانه أشرق من ذاته نوراً ما زال به، ولمّا بان عنه هذا الكون النّوراني، وهو من قبل نور الذات، وصفات الذات، وهو حجاب الذات كما قال العالم: «فتق من الرّتق فتقاً» يعني الإرادة، وأبدى من الكون النّوراني الكون

^١ الأنعام ١٢٥.

^٢ الحجرات ١٣.

^٣ التّين ٤.

الجَوْهَرِيّ، فَقِيلَ: قَدْرَةٌ كَمَا قَدْ رَوَى قَدْرَةُ قَدِيرٍ، وَنُورٌ مُنِيرٌ، وَقِيلَ: الْإِسْمُ، وَقِيلَ الْمَكَانُ، وَقِيلَ الضِّيَاءُ، نَقُولُ الصَّادِقُ مِنْهُ السَّلَامُ: حَجَبَ ذَاتَهُ بِنُورِهِ، وَحَجَبَ نُورَهُ بِضِيَائِهِ، وَحَجَبَ ضِيَائِهِ بِظُلْمِهِ، وَقِيلَ: الْمَشْيَةُ.

ثُمَّ أَمَدَ الْكَوْنُ الْجَوْهَرِيَّ وَالْكَوْنُ الْمَالِيَّ، وَهُوَ الْحَدُوثُ الْمَذْكُورُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: «مُتَكَيِّنٍ عَلَى فُرْشٍ بِطَانَتِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ^١»، وَأَصْلُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ جَنَّةُ الْخُلْدِ سَكَنَتْهَا بِغَيْرِ زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالٍ، قَالَ الْعَالِمُ مِنْهُ السَّلَامُ: إِنَّ آدَمَ لَوْ سَكَنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا، وَإِنَّمَا سَكَنَ جَنَّةَ عَدْنٍ.

وَفِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ سَبْعُ أَعْيُنَ: أَوَّلُهَا السَّلْسَبِيلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا^٢»، وَثَانِيهَا عَيْنُ التَّسْنِيمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ^٣»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. يُوفُونَ بِالْأَنْزَارِ وَيَخَافُونَ يُومًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا^٤»، وَإِنَّ شَجَرَتَهَا طُوبَى أَصْلُهَا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَغْصَانُهَا فِي أَيْدِي الْعَارِفِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَ» ظَلَّ هَذِهِ الشَّجَرَةُ فِي الْقُدُسِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ، وَهِيَ مَجَالِسٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، قَدْ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا عَلَى كُتُبَانِ الطَّيِّبِ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَالْمَاءُ أَجْلُهَا، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، فُورَدَ أَنَّ الْعَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالثَّلَاثَةُ مِنْهَا الْكُوْثَرُ، وَهُوَ مَا خَصَّ بِهِ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ مِنْهُ السَّلَامُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^٥».

فَرُوتُ الْعَامَةِ مِنْ أَهْلِ اضْطِلَالٍ أَنَّ الْأَبْتَرَ هُوَ شَطُّ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَيَرْمِي الْجَمَارَ الثَّلَاثَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَيْسَ هُوَ الصَّحِيحُ، وَإِنَّمَا الثَّانِي الْأَبْتَرُ هُوَ (الْأَدْلَمُ)، وَالْكُوْثَرُ هُوَ عِلْمُ الْحَقِّ وَهُوَ السَّيِّدُ

^١ الرحمن ٥٤.

^٢ الزَّهْر ١٨.

^٣ الْمُصْطَفِينَ ٢٧ - ٢٨.

^٤ الزَّهْر ١٨.

^٥ الْكُوْثَرُ.

منه السلام، وهذا الكلام تلويح، وتصريح، ففي تصريحه بحار علوم لا تنفذ عجائبها ولا تقنى غرائبها.

فأما الشجرة هي الذات العالية، ليس فوقها نور ولا سماء ولا غاية، ولا وراءها للطالب مطلب.

قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ^١»، أي التي ترونها بأعينكم كما كلفتم الحجب والعلة في الناظر لا في المنظور، وذلو قوله تعالى لها: «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانْتَبِي طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا^٢».

و هذا القول تلييس على أهل الظاهر، وتغطية على الباطن لمن لا يعرف هذا الحديث، فكان ذلك الترتيب في أفلاكها ونجومها وشمسها وقمرها، وغير ذلك من الأنوار، وقد جعل لكل منها تأثيراً دل به على عظيم القدرة، وجليل الملك، وهو كما قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^٣»، ثم خلق الأرضين سبعاً ورتبها طباقاً مؤسسة على وجه الماء، باطنها سبع مراتب.

أولها السابقون، لقوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ^٤»، وهم المقرَّبون والكروبيون، والروحانيون، والمقدسون، والسَّانِحون، والمستمعون، واللاحقون، فهؤلاء هم العالم السفلي الروحاني، ولذلك قال العالم إليه التسليم: كل سماء سلسل، وكل أرض مقدار، وهم الأبحار السفلية التي منها أمواج أبحر الأرض والأنهار والعيون، والمعادن، والجواهر، مثل الياقوت والعقيق والزمرّد الأخضر، والجذع، والبلور، واللؤلؤ، وغير ذلك من المرجان وأعين القطرات، والحديد والنحاس، والفضة، والزئبق، وهو (الفضة الجذماء) ومنابت الذهب، ومعادن القصدير القلعي والرصاص وغير ذلك مما لا نحتاج إلى ذكره، وهم بأجمعهم هذا البحر الذي قال الله تعالى فيه: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ

^١ فصلت ١١.

^٢ فصلت ١١ و ١٢.

^٣ يونس ٥.

^٤ يونس ٥.

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^١»، ولو جننا بمثله مداداً، والسبعة الأبحر التي تمدّه هم العالم العلويّ، وهم شجرة الأقاليم الذين بهم تُرفع أعلام الخلق، وأعمالهم، وهي المحافظة عليهم.

فإن قال قائل: هذا مثّر مضروبٌ على مجاز القول، قلنا له: المجاز باطلٌ، والله تعالى يضرب الأمثال ولا يقول إلا الحق، فمن قال: إن في الكلام مجازاً فقد كفر، وهم الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء باسق، وهو قوله تعالى: «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^٢»، وقوله تبارك اسمه: «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ^٣»، تبارك اسمه وهم الكرام الكاتبون... ومادّتهم من العالم العلويّ، وأمّا الأرض الترابيّة الماسكة على وجه الأرض وهو قوله: «قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ^٤»، وجعل فيها أوتاداً، وقوله تعالى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلَّلَا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^٥».

فالنحل هم المؤمنون، وقيل هم العالم السفليّ السبع المراتب الأرضيّة والقولان صحيحان لأنّ المؤمنون هم اللاحقون، والجبال فهي الظهور الفارسيّ، والشجر الظهور العربيّ، وسئل عنهم أنهم أولياؤه الناطقون عند الأمر بالخشوع بين أيديهم والتذلّل لهم، وشرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاءٌ للناس، وهو العالم، والجبال فهم أجسام الأنبياء، وهو قول العالم إليه التسليم، قول الله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ نَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً^٦»، فالجبل هو جسم موسى عليه السلام، والجبال أيضاً قلوب المؤمنين، قال تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِداً وَهِيَ تَمُرُّ مَرّاً السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ^٧»، وورد أنها الأوصياء،

^١ لقمان ٢٧.

^٢ سورة ق ١٨.

^٣ سورة ق ٢١.

^٤ فصلت: ٩ - ١٠.

^٥ النحل ٦٤ - ٦٩.

^٦ الأعراف ١٤٣.

^٧ النمل ٨٨.

وظواهر الأنبياء، وقول العالم إليه التسليم: «ما قلناه في الله فهو في أنفسنا، وما قلناه في أنفسنا فهو في شيعتنا ظاهر»، وهذه فائدة جلية شهدوا بها على ما قلناه وقدّمنا ذكره، ونحن نورده فائدة غريبة وإلى الوقت قريبة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، ولا بد أن تبدل هذه الأرض الترابية والسماء الدخانية في ظهور باطنها الذي ذكرناه، وهم أهل مراتب العالم العلوي النوراني، والعالم السفلي الروحاني، فهذا البدو الأول الذي يكون في يوم الأظلة.

قال الله سبحانه وتعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ»، ورتبة الغمام هي الدرجة السابعة العليا وجعل السموات ملقاة على الأرض فانحصر ما في الدار فأشرقت الشمس، ورتبتها الدرجة الخامسة من سبع درجات السماء السابعة العليا بخمس صفات: طلوع وأفول، وقرص، ونور، وضياء، وإن في قرصها ونورها وضيائها لمثلاً مبيناً وقمرأ منيراً، فأثار القمر ورتبته الدرجة الثالثة من سبع درجات السماء السادسة العليا بصفات سبع، وإن في طلوعه قد أنارت، وقال عز وجل في خسوفه واستساراه وزيادته ونقصانه آيات لقوم يعلمون، وفي قولهم المهل المبرد المقمر لعلم غربت معرفته وتقدّرت حيرته وأزهرت الكواكب، فمنها السّيارة، ومنها الخنس والكنس، ومنها المشارق والمغارب، ورتبتها الدرجتان الأوليتان من سبع درجات السماء السادسة، ومنها ذوات الجسم وذوات الدوائب، ومنها الطوارق وهو النجم الثاقب، ومنها طوالع السبع الداروي ورتبتها الدرجة السادسة من سبع درجات السماء السابعة العليا، ومنزلة هذه الأفلاك الخمسة منزلة عظيمة، عظيم خطرهما وجليل قدرهما، لذلك أدركت خبراً ولم تدرك عياناً.

و منها الأفلاك الأربعة، وتسمى الطبائع الأربع، وهي هيولات ما شرحناه من ذوات ما في الأرضين والسموات محيطة بها، وماسكة لها.

فالفلك الأول الأوتاد هيولى عالم البشر، طبيعته متكوّنة من الكون الترابي، وهيولى برج الثور وبرج السنبلة، وبرج الجدي.

و الفلك الثاني الذي قد يليه طبيعته متكوّنة من الكون الناري، وهبولى برج الحمل، وبرج الأسد، وبرج القوس.

و الفلك الثالث طبيعته متكوّنة من الكون الهوائي وهبولى برج الجوزاء وبرج الميزان وبرج الدلو..

و الفلك الرابع طبيعته متكوّنة من الكون المائي، وهبولى برج السرطان وبرج العقرب وبرج الحوت..

و الفلك الخامس وهو هبولى الهيولات، ويسمى الأثير ويسمى الطبيعة الخامسة، ويسمى الدهر، ويسمى الزمان، وهو الحياة الأبدية، والسرمدية، والهبولى الديمومية وهو الذي ذكرناه، وهو فينا المثال، ونحن مثال الصورة وهو النقطة الوهمية التي لا تنقسم، ومنها جرت تلك الخطوط الأربعة والنقطة مركز الدائرة، وهو القطب لجميع الأفلاك، وهو منتقل على ما يليه من الهيولات المتقدم ذكرها من سائر الأجرام والآلات والأدوات وهو المحيط بالسموات السبع وما فيهن وما بينهن، وما يليهن، ومدبر ما قد اشتمل عليه، فلذلك صارت السموات كروية والأرض كرية والماء كروي، وما في السموات من الأجرام كروية، وما في الأرض من الحيوان والنبات وغيرها كروي، وإن كانت كائنة كما تراها بالعيان، منها مستطيل ومتعرض فحقيقته كروي بمادة الحي القيوم، وإرادته ومشيئته.

وإن في الإثني عشر والسبعة والخمسة علماً أنيقاً باطنه عميق بها يكال الزمان وتحويله بيد ذي الجبروت، فتكامل قولهم: كان ولا كون ولا مكان ولا حدوث ولا زمان، ثم فتق السماء بالقطر، وفتق الأرض بالنبات، وهو قوله تعالى: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون»^١، فالكون المائي بارد رطب، والكون الناري حار يابس، والكون الترابي بارد يابس، والكون الهوائي حار رطب، وهي أربع طبائع، وتسميها الفلاسفة الاستقصات الأربع، وجعل لها تدبيرات الأرض، وحيوانها وأمدّها بمناظرة من الأبراج العلوية زائدة في قولها وثابتة في أفعالها، فجعل السرطان والعقرب والحوت مائية، وجعل الجوزاء والميزان والدلو رياحية، وجعل الحمل والأسد والقوس نارية،

^١ الأنبياء ٣٠.

وجعل الثور والسنبلة والجدي ترابيّة، وجعل السنّة أربع طبائع، الشتاء بإزاء الطّبيعة المائيّة، وهو باردٌ رطبٌ، والرّبيع بإزاء الطّبيعة الهوائيّة، وهو حارٌّ رطبٌ، والصّيف بإزاء الطّبيعة النّاريّة، وهو حارٌّ يابسٌ، والخريف بإزاء الطّبيعة التّرابيّة وهو باردٌ يابسٌ، فقامت هذه الأكوان السنّة العلويّة والسفليّة عارفةً برّبّها، مسلمةً لباريها.

و قد روي في بعض الروايات أنّ ثالث الأكوان الكون الهوائي ولم يوجد له شاهدٌ إلّا من مكانٍ واحدٍ، من فردٍ وجهٍ واحدٍ، والثالث من الأكوان هو الكون المائي، لكثرة الشّواهد والدلائل على صحّة ذلك، فأوردناه ثالث الأكوان.

مظاهر أعراف الوجود

و إنما صارت السنة اثني عشر شهراً بعدد أبراج السماء لأن الشمس تقطع في مسيرها في كل شهر برجاً فيكون قطعها في تلك البروج مدة السنة، وهذه الشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً بإزائها ثلاثمائة وستون مغرباً.

فلها في مدة الصيف ستة أشهر يضاف إليها مائة وثمانون مشرقاً، وإزائها مائة وثمانون مغرباً، فلذلك تطول ساعات النهار في الصيف، وتقصّر ساعات الليل، والسنة أشهر الباقية. ففي الشتاء يضاف إليها مائة وثمانون مشرقاً وإزائها مائة وثمانون مغرباً، تشتمل مطالعها ومغاربها عليه فتقصّر ساعات النهار في الشتاء وتطول ساعات الليل، فلذلك صارت السنة ثلاثمائة وستون يوماً بإزاء هذه المشارق، لأن النهار يسمى نهار بطلوع الشمس، وها هنا إشارة لطيفة حسنة.

مما روي عن المفضل منه السلام أنه قال: إن الثلاثمائة وستين يوماً من أيام السنة هي الثلاثمائة وستون ظهوراً، فجعلت الشمس دليلاً عليه ومحل كل برج منها ثلاثون درجة، والشمس مشرقة في كل يوم في أحدهن، وإزاء البروج شهور السنة، فصارت ساعات النهار اثنتي عشر ساعة.

و أما ما يقوله المنجمون من أن النهار في الشتاء تسع ساعات فهذا باطل، أما ما كونه الله فليس هو في يد المنجمين نقصه، وإنما يذهبون إلى الجحيم في ذلك لأنهم لم يأخذوا إلا بالقياس كقولهم مقدار تسع ساعات، وفي ذلك علم عظيم باطن، ونحن نذكر بعضه، وهو قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»^١، وقوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا»^٢، وقول العالم إليه التسليم: إنما المشارق هي الظهور الفارسي، والمغرب هي الظهور العربي، وأما المشرق المحيط بطور سيناء، وضوءه المغرب فصاحبها المنعم علينا بتجليه، وقوله

^١ الرحمن ١٧.

^٢ المزمل ٩.

تعالى: «قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^١».

و أما المشرق الكلمات البادية لا غير في أرض القدس، وأما المغرب فصاحبه المسمى بالصفا وهو باللغة السريانية (كابيا) وكل إشراق غروبه في غيره، وقال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَغْزِبَ إِيَّاهُ أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا^٢»، والحماها هنا مأخوذ من الحميم، والحماية، لا من السخونة ولا من الحمى، وروي في التوراة أنه قال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألا من جبل فاران، وهو من جبال مكة وحرماها من جبال الرحمة، وأما قوله تعالى: «وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^٣»، فهذه فائدة عظيمة جليل قدرها، رفيعة منزلتها.

وقال العالم - إليه التسليم -: المشرق والمغرب ها هنا ما أشرق من الحاء الأول إلى الحاء الثاني فأغرب فيه، وهو الوجه المحيط، فلما تكاملت البروج وكانت اثني عشر برجاً، وشهور السنة اثني عشر شهراً، وساعات النهار اثني عشرة ساعة، وساعات الليل اثني عشرة ساعة، وكل ذلك له ظاهر وباطن، وقد ورد في السنة ما قال الله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ^٤».

فهذه إشارة إلى الباطن، وقد ورد فيه أن البروج هم أئمة السطر علينا من ذكرهم السلام، وأن الربعة الحرم في الظاهر محرّم ورجب وشعبان ورمضان، وفي الباطن هم أمير المؤمنين وعلي بن الحسين، وعلي بن موسى الرضا، وعلي بن محمد صاحب العسكر.

^١ المائدة ٢٣.

^٢ الكهف ٨٦.

^٣ البقرة ١١٥.

^٤ التوبة ٣٦.

و روي من وجه آخر أن الأربعة الحرم هم السيّد محمد ومحمد الباقر ومحمد بن علي الجواد، ومحمد بن الحسن المؤمل المرجي، صلوات الله عليهم أجمعين. وإذا لم يكن ذلك، فما كان يقول الله تبارك اسمه وتعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^١، بما يجب على المؤمن من معرفتهم، وهذا الدين القيم، وإنّ المقصر في ذلك هو الظالم لنفسه، وكذلك ساعات النهار اثنتا عشرة ساعة، فورد في الباطن أنّهنّ النّقباء الإثني عشر وفيهم يقول الله جلّ ثناؤه: «وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا»^٢، وقوله تعالى: «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ»^٣.

والبلاد هم أبدان المؤمنين لما نقبوا عمّا في الصدور وكشفوا ما في الضمائر، وقوله تعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا»^٤، وهذه الأبدان هي البلد الطيّب وهو السيّد محمد والبلد الخبيث هو سكد - لعنه الله -، وقال العالم إليه التّسليم: لا يحيص شيء من علم النّقيب، لأنّه يحيط بما تخرجه هذه الأبدان التي تحجب القلوب من خير ومن شرٍّ وما تتطوي عليه القلوب المحجوبة بالأبدان من إيمان ومن كفر، وإنّ هذا من أسرار العلم وفوائده، ولكلّ ساعة من هذه السّاعات دعاء يتوسّل به إلى الله، وكذلك ساعات اللّيل والنّهار لهنّ صلوات مبلّغهنّ إحدى وخمسون ركعة، فرائض ونوافل، وسنن، منهنّ ثماني ركعات نوافل الزّوال، وهي صلاة الأوّابين، وإنّ الأوّابين ثمانية أشخاص، ومنها فريضة الظّهر وهي أربع ركعات، ومنها ثمان ركعات نافلة العصر، تعرف بالسّجدة، ولهنّ ثمانية أشخاص، وهم المسبّحون، ومنها فريضة العصر، أربع ركعات وفاطر أربعة أحرف بأربع ركعات، والعشاء الأوّل ثلاث ركعات، وبعدها أربع ركعات نافلة والعشاء الآخر أربع ركعات فالحسين أربعة أحرف بأربع ركعات، ووجه آخر إنّهم محمّد وفاطر والحسن والحسين، ولا فرق بينهم وبين الفروض، ونافلة اللّيل ثمان ركعات، وثلاث ركعات اثنتان منها الشّفع وواحدة الوتر، ونافلة العشاء الآخر ركعتان من جلوس تحسبان بواحدة، فذلك اثنتا عشر ركعة باثني عشر شخصاً.

^١ الروم ٣٠.^٢ المائدة ١٢.^٣ سورة ق ٣٦.^٤ الأعراف ٥٨.

و صلاة الفجر أربع ركعات، ركعتان نافلة، وركعتان فرض، محسن أربعة أحرف، وإنما جعل منها اثنتان في الليل واثنتان في الصبح لأن سيدنا محسن سمي الخفي، وفي هذا الأمر علم يطول شرحه.

و جعلت الأيام سبعة والليالي سبع المدبرات لمنافع العالم والحيوان، وللايام أشخاصا وأدعية، يدعى بها في كل يوم ويتوسل في ذلك، ومنسوب إليه، وقد ورد السبب رسول الله صلعم لأن النبوة أثبتت عليه، أي لم تنقطع عنه، والأحد أمير المؤمنين، والاثني الحسن والحسين، والثلاثاء علي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، والأربعاء موسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والخميس الحسن العسكري، واسم العسكر في اللغة الخميس، والجمعة قائم آل محمد صلعم، وإنما سمي الجمعة لاجتماع الأمم عليه.

وفي خبر آخر عن المفضل إليه التسليم أنه قال: السبعة من الواحد، والاثني عشر من السبعة، والثلاثون من الاثني عشر، والثلاثمائة وستون من الثلاثين، فإنه يقطع البروج الاثني عشر في كل شهر، وله صورة مقابلة للشمس في كل شهر مرة، وإقامته في كل برج من الأبراج يومان وثلاث، وله من الأبراج ثمانية وعشرون تسمى منازل القمر، وكل منزلتين وثلاث لبرج، وهي تبين معه بكوكب معروفة ومشهورة مبينة، وشرحها نحن نوضحه إن شاء الله تعالى:

أولها الشرطين والبطين وثلاث الثريا للحمل، وعلى هذا القياس فالشرطين والبطين من كواكب برج الحمل، وإنما بداء الحساب من برج الحمل لأنه كان طالع الأرض، فقد وجب له التقم، وكانت الشمس في رأس الحمل، ولذلك علوم وقضايا ظاهرة، وباطنة، وبهذه الثماني والعشرين منزلة تكون الأنوار الشمسية، فمنها ما يكون بمطر وريح أيام الشتاء ومنها ما يكون حراً وسموماً في أيام الصيف، وربما لم يكن هو النجم المعهود، وكانت العرب تقول: أمطرننا في يوم كذا وكذا من النجوم، فسمع رسول الله صلعم قائلاً يقول: أمطرننا في يوم النجم الفلاني، فقال صلعم: إن الإسلام قد غير ما كان في الجاهلية، فلا تقولوا هكذا، بل قولوا: أمطرننا بفضل الله ورحمته، وهذه الأنوار في منازلها مقسومة على أربعة أرباع السنة، في كل واحد وتسعين يوماً وربع منها سبع منازل، فالربيع الأول: الربيع، وله سبع منازل، أولها الشرطين والبطين، والثريا، والذبران، والهقعة، والهنعة والذراع.

و الربع الثاني الصيف له سبع منازل أولها النّرة والطّرف والجّبة والزّبرة،
والصّرف والعوا والسّمّاك.

و الربع الثالث الخريف له سبع منازل، أولها الغفرة والزّبانين والإكليل
والقلب والشّولة والنّعائم، والبلدة.

و الربع الرابع الشّتاء له سبع منازل، أولها سعد ذابح، سعد بلع، سعد السعود،
سعد الأخبية، وفرع المقدّم وفرع المؤخّر وبطن لحوت.

فتلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً ولم يخل الفلك من منازل أربع عشرة،
منزلة مستترة بكرة الأرض.

الوجود والإيمان والعبادة

فكلما غربت منزلة طلعت أخرى، فهذه الثمانية والعشرين منزلة التي هي منازل القمر المهلّ المبدّر، وهي رتبة النجباء ظاهر ما بطن من حروف المعجم، التي جلّ قدرها وعظم خطرهما، ولم يعلم شيئاً من الملك الأعلى ولا من الملك الأدنى، ولا فهم ولا نطق، إلاّ ولها فيه علم وعمل، ولها ثلاث رتب الأيتام والنقباء والنجباء، ومن دلائلها وجليل خطرهما أنك لا تصل إلى تسمية الربّ العالي إلاّ بها، وهو الله، فالألف واللام والهاء أصل واللام الثانية عطف، وله علم عظيم يدلّ على ذلك، ما قاله العالم - منه السلام - أتاكم من أمرنا ألف غير معطوف ولو انعطف لانعطفت، وقول أبي الخطّاب: «إنما خرج إليكم من علمنا حرفان، حرف معوجّ وحرف مستقيم، فأضاء له المعوجّ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، وأقام له سبعين ألف حجاب، ليكون منها ومن الأنبياء والأوصياء الوصول إلى معرفته، ولم يكن ذلك إلاّ بمشيئته وإرادته، ومن ذلك أنّ هذا العالم فيما يتعاملون من أمر دنياهم ويعبدون به ربّهم ويعرفون به ما لهم وما عليهم يكون لهم بهذه الحروف دليل، وجميع ما خرج إلى الهند تسعة أحرف بها حسابهم، ونهايتهم، وإن كانت التسعة مخالفة لأشكال ما تكتب به الآن.

و أعطيت كلّ أمة منها جزءاً مثل: أبجد، هوز، وغيره، وهي ثمانية وعشرون حرفاً، ولها علم معلق بالأكوان الستة يطول شرحه، وأعطى السريانيون والعبرانيون اثنان وعشرون حرفاً، كرامة لكلّ من الله تعالى ذكره، وكلمته المسيح، وأمّا باقي الأقلام التي كانت في العالم فدون ذلك، وشرفت هذه الأمة بشرف رسول الله صلعم، يعني أنّه أخرج إليها الثمانية والعشرين حرفاً من العلم، فهم يتعلمون بها وانضافت إليها الباء كالية لها كما ورد، فإنّها قد اتّصلت بالألف، ولها علم طويل لأنّ الابتداء بها عند نداء الاسم، وتأخّرت عن الحروف، وعند سجود العالم لباريها وفي هذا علم يطول شرحه، ومنه قولك إذا سألت يا الله يا ربّ، فتبدأ بالألف، ثمّ بالاسم الأعلى، ومن الحكمة تأليف هذا الكلام، لأنّ الأحرف كتبت ألفاظاً، وبالكتابة حفظت المنزلة والعلوم والشرائع وعلمت السّير الماضية، وصحة الأنساب والنكاح،

والأملاك، والمواقيت، والحج، وغيرها، وهذه الأحرف تكون هي ونقطها إحد وخمسين لفظة، باطنها أشخاص لهم عند الله تعالى أعلى الرتب، والمنازل، وجعلهم قوام ملكه بأمره، وجعلهم دلالة على إحدى وخمسين ركعة للفرائض، والنوافل والسنن، والصلاة، في كل يوم وليلة، وإذ قد ذكرنا الموجب المعلوم أن البروج والأفلاك والحروف والسموات والأرض والشمس والقمر والأعوام والشهور والأيام، والساعات أشخاص باطنة، فقد لزمنا فيما نذكر به الشرع ويظهر به الأصل مما هو دليل على هذه البواطن ومعقود بها لتلا يظن من يرجو الراحة والإباحة أن معرفة هذه البواطن تغنيه عن استعمال الظواهر، وذلك أن الإسلام قبل الإيمان، وهو ما قالته الأعراب، قال الله تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^١، وقال العالم إليه التسليم: الإسلام حلقة متضمنة الإيمان، فمن دخلها بالشك فلا سبيل له إلى الإيمان، فذلك يقال: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً إلا أن يجمع بين الإسلام والإيمان جملة واحدة فحينئذ يكون مسلماً، كما قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»^٢، وقوله تعالى: «وَمَنْ يَنْتَعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، وقوله منه الرحمة: إن الإيمان عقد في القلب مقبول، وقول باللسان، عمل بالجوارح والأركان.

و رواه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن محمد بن سنان الزاهري عن يونس الصقيل عن أبي عبد الله الصادق منه الرحمة قال يونس: سمعت أبا عبد الله يقول: لم يقبل الله عمل عامل إلا بمعرفته، ولا يقبل معرفته إلا بعمله، فمن عرفه دلته معرفته على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له وإنما الإيمان بعضه من بعض، ورواه أبان بن عباس عن سليم بن قيس قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين منه السلام فسأله عن الإسلام والإيمان فقال منه الرحمة: الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده وأعز أركانه على من غالبه فجعله ملجأ لمن التجأ إليه

^١ الحجرات ١٤.^٢ آل عمران ١٩.

وعلماً لمن وعاه، وحرزاً لمن رواه وحكماً لمن استقصاه، وفرضاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وإماماً لمن اتّم به، وزينة لمن تحلى به، وعزاً لمن انتحله، وعروة لمن اعتصم به، وحبلأ لمن تمسك به، ومحارباً لمن جهله، وحلماً لمن تحرر به، ولباً لمن تدبره، وفهماً لمن فهم، وأنساً لمن عقل، وبصيرة لمن عرف، وآية لمن توسم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، ومدة لمن أصلح، وزلفى لمن قرب، وثقة لمن توكل، وصديقاً لمن صادق، وجنة لمن صبر، وظهيراً لمن رشد، وسكنة لمن أمن، وأمانة لمن أسلم، وروحاً للصادقين، وموعظة للمتقين، ونجاة للفائزين، وذلك الذين الحق وإن ما تدعون من دونه الباطل، ولا يكشف سره وعلمه إلا لمؤمن يكون على سبيل الهدى صفته الحسنى ومآثرته الحمد وتناؤه المجد، أبلج المناهج مشرف المنار، مشرق الجواد، مضيء المصابيح، رفيع الغاية، كريم المضمار، جامع الحلبة، متنافس السبقة، أليم النعمة، قديم العدة، شريف الغرسان....

فالإيمان منهاجه والصالحات امره، والفقّه مصابيح، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبيته والجنة سبقتة، والنار نقيته والتقوى عدته، والمحسنون فرسانه، وبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقّه، وبالفقّه يرهّب الموت، وبالموت تغنم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تجوز الجنة، وبالجنة حسرات أهل النار، والنار عظمة التقوى، والتقوى سنح الإيمان، والإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد.

و الصبر على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات.

و اليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر في الفطنة تبيّن له الحكمة، ومن تبيّن له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين.

و العدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً.

و الجَّهَاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر. والصدِّق في المواطن، وشنَّان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهر المؤمنين. ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنَّ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة.

فلذلك الإيمان سبع: الأولى الشَّهادة، وهي قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والثَّانية الصَّلَاة، والثَّالثة الزَّكَاة، والرَّابعة الصَّيَام، والخامسة: الحجّ، والسادسة الجَّهاد، والسَّابعة الولاية، فاثنتان منهنّ على النَّفس هما الشَّهادة والولاية، واثنتان على الجَّسم والمال وهما الحجّ والجَّهاد، وواحدة على المال وهي الزَّكَاة.

الشهادة والولاية

وأما الشهادة وقول الرسول صلعم في أول من قال أشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، ومات على ذلك أقوام فهم بشهادة رسول الله صلعم في الجنة، والجنة لمن عرف منهم كلمة الإخلاص، وكلمة الإخلاص فهي علم تذكر بعضه.

وهو مما روي عن السيد الرضا منه السلام أنه كان يوماً في منزلة من منازل الطريق وهو سائر إلى (طوس)، وقد أسرع الظعن عنهم فاجتمع إليه شيعته وقالوا له: يا مولانا أسرع الظعن عنا ولم تمتعنا بشيء من نعمتك، فرفع سجاف القبة، وقال لهم: اكتبوا حديثي وحديث أبي موسى عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: حدثني أخي وحبيبي وقرّة عيني رسول الله صلعم قال: حدثني جبرائيل قال: سمعت ربّ العزة يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

قال: فكتبنا هذا الحديث، وتركنا القبة لمسير، ثم أخرج رأسه منها، وقال: بشروطها، وأنا من شروطها.

و روي عن أمير المؤمنين لذكره التعظيم أنه وقف بالجبانة ومعه كميل بن زياد، فقال: «يا أهل لا إله إلا الله، كيف رأيتم قول لا إله إلا الله؟ ثم التفت إلى كميل بن زياد وقال: لو أذن لهم في الجواب لقالوا: وجدناها خير الزاد، والنقوى».

و سئل العالم إليه التسليم عن قول لا إله إلا الله، وعن كل من يقولها، فقال: إذا كان يوم القيامة، فالذين يسواهم من أهلها سلب منهم لا إله إلا الله، وإنه لا يقولها إلا من هو من أهلها، وأما الولاية فمقرونة بالشهادة، ولا تقبل الشهادة إلا بالولاية، وذلك معنى قول الرضا منه الرحمة: (بشروطها، وأنا من شروطها).

و قال أبو سعيد الخدري: سمعت رجلاً يسأل رسول الله صلعم عن دعائم الإسلام فذكرهن حتى بلغ إلى الولاية فقلت: احداهن.

فقال: يا أبا سعيد، لولا الولاية لهلك الناس ومن على الأرض، وروي في قوله جل من قائل: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^١»، وقوله تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا^٢»، وقوله تعالى: «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ^٣»، فقال العالم منه السلام: العمل الصالح هو الولاية وهي كالطبق ترفع أعمال المؤمنين، ومن لا ولاية له كان عمله مطروحاً في النار، فهو ممنوع من الارتفاع والقبول، وأما الصلاة هي عماد الدين، ومن لا صلاة له لا دين له، ومن أوجب الأشياء لقبولها معرفة بواطنها والعمل بظواهرها، وتحتاج إلى الطهارة والنية، وإقامة المعرفة بالمواقيت والفرض منها والسنة، ونزید كلاماً من ذلك في موضعه.

وأما الأذان والإقامة فلها خمس وثلاثون كلمة منهن ثمان عشرة كلمة للأذان وسبعة عشرة كلمة للإقامة، والذي يقوله بعض الشيعة في الأذان إن محمداً وعلياً خير البشر، وقولهم: محمد خير البشر، وعلي خير البرية، ليس ذلك من الأذان أو الإقامة، والذي نقوله الحشوية - لعنهم الله - قولهم: الصلاة خير من النوم، يدعونه بدلاً لما أفلعوه من الأذان والإقامة «حي على خير العمل»، فقد جعلوا مكانها: «الصلاة خير من النوم»، وقد قال أمير المؤمنين - إليه التسليم - (والله ما أخرجوا منها إلا بقلبها إنني أنا الصلاة وهم النوم).

^١ المائدة ٥٥.

^٢ النساء ٨٠.

^٣ فاطر ١٠.

الصيام

وأما الصيام فهو جنة المؤمن، وعصمة له من الأعمال الفاسدة، ومنه قول الرسول صلعم: الصيام وحيّ منه وإنه لمفترض ومكتوب على هذه الأمة، منها قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ^١»، ثم قال جل من قائل: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^٢».

فمن صام دون الثلاثين معلولاً على الرواية، وإذا لم يوافق العهد فقد أخطأ، ولم يصم، وقوله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^٣»، وذلك أن قوماً من الأمة كانوا يفطرون، فنسخت هذه الآية ومنعت فدية الصيام، وبالجملة شهر رمضان اسمي وأيامه ثلاثون، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفي قراءة ابن مسعود: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا.. الآية^٤»، وقوله جل من قائل: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، ولها شخص مسمّى، ومن الصيام شعبان، وهو سنة لاحقة بالفرض، وفيه يقول الرسول صلعم: شهر شعبان شهري، وشهر رمضان شهر الله، فمن صام شهري ضمننت له عند الله الجنة.

و من نوافل الصيام: الأربعاء بين خميسين ثلاثة أيام في كل شهر، وذلك أن رسول الله صلعم نهى عن الوصال، فقليل له: يا سيدنا أنا نراك تواصل، فقال عليه السلام: إني لست كأحدكم، وكهياتكم، إني أظل عند ربّي فيطعمني ويسقيني، ثم قال

^١ البقرة ١٨٣ - ١٨٤.

^٢ البقرة ١٨٥.

^٣ البقرة ١٨٣.

^٤ الدخان ٣ - ٤.

صلعم: إن صوم الدهر كله يوم في كل عشرة، وهو أول خميس في الشهر، وآخر خميس في الشهر، والأربعاء في وسط الشهر، فالיום كفارة لعشرة أيام، قال في تبارك وتعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»، فيكون في تلك العشرة أشهر من السنة شهر كفارة لعشرة أشهر، تفسير ذلك إما المواصلة فهي صيام الطي، وكان الرسول صلعم يطوي، فاعترض لهم شفقة عليهم، وقال: إن صيام الدهر كله يلزم على كل مؤمن وهو أن يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، وصيام شهر شعبان وشهر رمضان، فذلك صوم الدهر كله.

الحج

و أما الحج إلى بيت الله الحرام، فقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، والاستطاعة هي الزاد والراحلة، وقال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، فقرن التأخر عن الحج مع وجود الزاد والراحلة بالكفر، وهذه فريضة لا مندوحة عنها، غير أنها مرة واحدة في العمر وهي حجة الإسلام، وقد كان هذا البيت محجوجاً قبل إبراهيم عليه السلام، وهو قوله تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، وقوله تعالى: «وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ»، وذلك أن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام بالخطيئة التي أوجبها العدل سمّي موضع مهبطه (الصفا) وهو مشتق من صفوة الله تعالى، وهو آدم عليه السلام، كذلك سمّي موضع مهبط حواء (المروة) وهو مشتق من المروءة، ووضع بإزاء الكعبة وهو البيت الحرام مثابة، وأما للمستغفر المستقل كما قال اله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»، وهو قوله: «فلاذوا بالعرش، واستقالوا فأقالهم الله»، وقد جعل البيت المعمور من دون العرش في السماء السابعة ملاذاً للعالم العلوي، فسمّي البيت المعمور، وهو من دون العرش، لأنه يدخل إليه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون يرجعون إليه أبداً، فكان هذا البيت في الأرض بإزائه ملاذاً للعالم البشري، فلم يزل ذلك إلى طوفان نوح عليه السلام، ولم يبق على وجه الأرض أرفع من مرسى السفينة، فلما عاد نوح إلى عمارة الأرض من بعد مهبطه من السفينة، وقام أهلها، فأمر بأن يجتد البيت ويرفع، وأن تعقد له قواعد من خمسة جبال، وقيل: من سبعة، منها طور سيناء وجبل قاف، وكانت قواعده غير معروفة فيطاف بها ويحج إليها، إلى أن كان من زمن إبراهيم عليه السلام عشر سنين، وهو في جوار البيت، فكان من ظهور زمزم ما كان، وبلغت من إسماعيل

عليه السلام عشرين سنة، فأمر الله تعالى إبراهيم أن يرفع قواعد البيت، فرفعها على قدر القامة، ولما بلغ إبراهيم موضع الحجر استدعى من اسماعيل حجراً، فذهب لإحضاره، فأثاه جبرائيل صلوات الله عليه من الجنة بحجر من لؤلؤ أبيض، فجعل في المكان.

و ورد أن هذا الحجر هو الملك المسلم إليه موثيق الخلق في الذُّرُوعِ وبعده في سائر الأندية، والأوقات الأوليّة، ولذلك يقول الطائف من الحجاج عند استلامه: إن أمانتي وميثاقي تعاهدا إليك ليشهدا لي بالموافاة، وإنما أسودّ من لمس المشركين ولمس المنافقين ولم يبق في الأرض صنم يُعبد من دون الله غيره.

و ورد أيضاً أن إسماعيل صلوات الله عليه أول من نطق بالعربية والسريانية فيقول: «هالي كابيا»، وهو اسم الحجر تفسيره: هذا حجر، وإنما قوله: من دخله كان آمناً، وصار حج البيت داخلاً في فروض الشرع من عهد إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، وقوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»^١، أي يأتون مشاةً وركبانا، وقول الحاج: لبيك اللهم لبيك، إنما هو جواب الأمر الذي سمعه العالم علي إبراهيم الخليل، وهو قوله: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ»^٢.

و قد ورد أن البيت العلوي والبيت السفلي من ياقوت أحمر، وقيل من لؤلؤ أبيض، وزمرّد أخضر، وموجب العلم أن يكون البيت العلوي نورانياً، وغيره جوهري، وقد كان رسول الله صلعم لا يرى له ظل لا في الشمس ولا في القمر، ولا في ضوء، وقد نهى الحاج عن الرقت والفسوق والجَدَالِ في الحج، ويجب على الحاج أن يعرف المواقيت والإحرام وطهارته، ويمتنع به عن المأكَل والمشارب والمناسك، والمناكح، والطيب من الصيد وغيره، ذلك في أيام إحرامه، ومعرفة البيت وأبوابه، والأركان والحجر الأسود، والميزاب (المزراب) والمسحب والملتمز، ومقام إبراهيم والظهور منه والطواف سبعا وبعده ركعتان في مقام إبراهيم الخليل. ومعرفة الصفا والمروة، والسعي بينهما، وعرفات، والمواقف، والمزدلفة، وليلتها.

^١ الحج ٢٧.^٢ إبراهيم ٢٧.

ومنى، والمقام بها، والذبح، والخلق، ورمي الجمار، والعمرة، وأوانها وميقاتها، وحدود الحرم، وجميع المناسك، وكل ذلك له باطنٌ وظاهرٌ معقودٌ ببعضه ببعض، فلا يغني باطنه عن ظاهره، ولا ظاهره عن باطنه، فلذلك قرن الكفر بالتأخر عنه، والمضي إليه بغير طهارة، ومعرفة.

و قد ورد أن الحجاج يكونون بعرفات على ثلاث طبقات منهم طبقة يغفر الله لهم، قال العالم إليه التسليم على شرط التوبة من الكفر، فإن تاب وأناب قبل حجه، ولا يجوز سفره وسعيه في الدنيا لأجل الثروة والجاه والأهل والمال، فقد بين هذا الحديث أن هؤلاء أضدادٌ ومن أخذ الأضداد أولياء من دون الله فقد خالف الله.

الجهاد

و أما الجهاد فهو فريضة لقوله تعالى : « لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ».

و من شروط الجهاد أن يكون مع إمام عادل، وهو قول الرسول صلعم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فسئل عن ذلك فقال: هو جهاد النفس، وفي الجهاد أيضاً وجه آخر، قوله تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»^١، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^٢.

و هذا اللفظ لفظان أحدهما باطن والآخر ظاهر، فما ذكرنا منها فهو الظاهر، وأما معنى باطنها فالعدل هو أمير المؤمنين، والإحسان هو فاطمة الزهراء، وذوي القربى الحسن والحسين، صلوات الله عليهما.

وورد في وجه آخر أن العدل هو رسول الله صلعم، والإحسان هو فاطمة، ووجه ثالث: إن العدل هو أمير المؤمنين، والفحشاء والمنكر والبغي: الأول والثاني والثالث - لعنهم الله -.

و قد وجدنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا مندوحة عن مثل هذا وهو: أن تأمر بالمعروف بقلبك ويدك ولسانك، فإن لم تقدر فبقلبك، ولسانك، فإن لم تقدر فبقلبك، فأوجب الله أن لا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

^١ النساء ٩٥.

^٢ الحج ٤١.

^٣ النحل ٤٠.

و ورد في ذلك عن أمير المؤمنين إليه التسليم أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى شعيب النبي صلعم: إني معذب من قومك أربعين ألفاً من أشرارهم، وستين ألفاً من أخيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار عذبتهم وأنا عرفتهم، فما بال الأخيار؟

فقال له: إنهم لم ينهوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لفضبي...

الزكاة

و أما الزكاة ففريضة لقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ»^١.

و قال تعالى في الأموال - جل من قائل -: «وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْتَّبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْتَّبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَعِفُونَ»^٢، والزكاة في عشرة أشياء: في المواشي والحبوب والثمار والغنائم والكنوز والمال، وذكرها فهو مشروح في كتب الفقه نستغني به عن شرح أحوالها، وكتاب الفقه لأبي شعيب فزكاة المال ربع العشر في كل سنة، فهو من كل أربعين درهماً واحداً، وذلك أن الله تبارك وتعالى جعل تسعة وثلاثين غنياً وجعل فقيراً واحداً، فإذا أخرج الأغنياء زكاة أموالهم لحق ذلك الفقر بهم وصار كأحدهم، ولا شيء فيما دون المائتين.

و من أخرج الخمس من ماله فقد حلّ جميعه، ولا زكاة عليه، فيما أخرج خمسَه بقیة دهره، وقد ورد أن في المال حمداً وذنماً، وباطناً وظاهراً، ومنه قول أمير المؤمنين منه السلام: «أنا مال المؤمنين، وما لهم زكاة غيري»، وقوله: «أنا يعسوب المؤمنين، والمال هو يعسوب الكافرين، وليس لهم يعسوب إلا المال»، يعني الذهب والفضة.

و قد ورد أيضاً: إن المرء يسأل عن جاهه كما هو مسؤول عن زكاته وماله، وقضاء حوائج إخوانه المؤمنين، وماله ميله إلى مولاه، وقوله تعالى: «وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ»^٣، فلا تملأوا النعم، فتحلّ عليكم النعم، وعن العالم منه السلام روي أنه قال: من رزقه الله أربعين حديثاً فعليه أن يزكي بحديث منها على مستحقه.

^١ البقرة ٤٢.

^٢ الروم ٣٩.

^٣ النحل ٥٣.

فنقول: إن هذه الأوامر السبعة المسمّاة دعائم الإسلام وما ينضاف إليها من الحدود والأوامر والشرع الظاهر الذي لا مندوحة عن حدّ العلم به ولا انتهاء إلى أحد إلا فيه، وهو الإسلام، ولكن هذه الدعائم والأوامر والحدود وبواطن هذا الإيمان لا مندوحة لأحد عن معرفتها والاعتصام بها، والتدبّر بموجبها، ولا يتمّ للمؤمن إيمانه حتّى يكون فاعلاً لذلك، ومن فعل ذلك فقد أقام الظاهر والباطن جملة كما ذكرنا، وحينئذ يكون مؤمناً محقّقاً، ومن قصر في شيء من الظاهر والباطن نقص من إسلامه بحسب ذلك.

قال العالم - إليه التّسليم - : «لا يحلّ العقدة إلّا عاقدها»، وقال: «من حلّ عقدة عقدها رسول الله صلعم أكلته السّباع ومزقته الكلاب، وأكلته الهوام وعاد أعرابياً خائناً، ويقع في قوم لا يعرفون الله، فيعود جاهلاً، وقد يجهلكم»، وحسبك بهذا القول كنايةً أيّها السائل، وقد ورد في قول الله تعالى: «واقم الصّلاة طرفي النّهار وزلّفا من اللّيل إنّ الحسّنات يذهبن السيّئات ذلك ذكرى للذاكرين»، فالحسّنات هنّ الأعمال الظّاهرة التي أمر بها وبأعمالها أئمة العدل، ولو شرحنا الفواحي ظاهرها وباطنها لطال في ذلك الكتاب والشرح.

الخمير

فمن ذلك ما روي في شرب الخمير ممّا ورد فيه: إنه مفتاح كلّ خير، ومنه الخمير الظاهر لأنّه مفتاح للرّزق، وذلك أنّ قوماً من الإسلام يقولون في شربه وعندهم محلّ، وهو مخالف الظاهر وشرعه، والباطن وشرعه، لقوله تعالى: «قلّ إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثمّ والبغى بغير الحقّ وأنّ تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأنّ تقولوا على الله ما لا تعلمون^١».

فقد حرّم الله الفواحش ظاهراً وباطناً، وهم الأضداد الثلاثة، والخمر الذي هو داخل فيها، فهو علمهم ممّا زخرفوه وحرّفوه، وغيّروه وبدّلوه، ثمّ أفردوه بقول الإثمّ - لعنهم الله - وهم الثلاثة، هذا القول في ظاهر الإثمّ وباطنه.

و قال رسول الله صلعم: «الخمرة بعينها حرامٌ للسّكر من الشّراب»، وقال صلعم: «ما أسكر كثيره مع الأضداد، فقليله مع المؤمنين حرامٌ، إياكم إياكم أن تشربوه مع المخالفين، فإنهم لا يزيدونكم إلّا حمقاً ونفوراً»، وقال أيضاً في هذا الخمير أنّه سكد، ولأجل ذلك خلقه الله آلةً للمؤمنين، وترويحاً للأجساد، فمن يقول إنّ عبد النور فقد كفر.

و قال أمير المؤمنين منه السّلام: الخمير عبد النور، لأنّ النور محمّد والعبد سلمان، والخمر العالم الكبير، وإنّ النور لم يمازجه شيءٌ من الظلمة، ولا الظلمة يمازجها شيءٌ من النور، وإنّ هذا الخمير المسكر آخرته للتلف، وفيه تعذب أرواح الكافرين، وقد تستريح فيه أرواح المؤمنين.

و قال: شارب الخمير فاجلدوه ثمانين جلدة، وعلم بني أمية حرامٌ في الظاهر والباطن، وإنّما هذا الخمير هو سكد بعينه، الذي يشربونه مع الأضداد، ومن فعل ذلك فلا ولاية بيننا وبينه، وقال أمير المؤمنين منه السّلام: حلالٌ لكم معكم، حرامٌ عليكم مع غيركم، ومن يقول إنّ الخمير الذي يشربونه مع الأضداد عبد النور فقد كفر، لأنّ

^١ الأعراف ٣٣.

انخمر المشروب معهم ظلمة، وإذا كان ظلمة لا يكون عبد النور مولاه، وقد كشفنا لك أيها السائل علماً عظيماً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

ثم نعود إلى شرح شارب الخمر، والجلد الذي قال عنه فاجلدوه ثمانين جلدة، فإن عاد فاجلدوه مائة جلدة، فإن عاد ثالثة فضرِب عنقه حلالاً، ودمه مباح لا محال، واجتمعت الشيعة على هذا من علم أبي شعيب عليه السلام من كتاب (أقرب الأسانيد) ففيه صنائع معدن الذهب والفضة، وفائدة لمن يستفيد.

قال في هذا الكتاب ما أنا مفسره لك إن شاء الله تعالى: إن رجلاً أتى إلى أمير المؤمنين - منه الرحمة - فسأله عن رجل يشرب الخمر، فأجابه - منه الرحمة - قائلاً: «و الذي نفس محمد بيده إن الذي أولجه في بطنه أعظم من التي أولجته في بطنها»، وعنه منه السلام أيضاً في كتاب (أقرب الأسانيد) أنه قال: من ترك الخمر لأعداء الله ووالى أوليائه سقاه الله من الرحيق المختوم، فقال السائل: يا سيدي، ما هذا الترك؟

قال: صيانة نفسه عنه.

ورواه أحمد بن سعيد بن عقدة يرفعه إلى حمران بن أعين عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا وفي نبوته تحريم الخمر الذي ذكرناه، وتحريم لشربه مع الأضداد، فلم يزل محرماً أيضاً مع الإخوان إلى عصر السيد محمد - منه السلام - فصار محرماً أيضاً إلا مع الإخوان.

و رواه أبو شعيب في كتاب (أقرب الأسانيد) قال: حدثني أبو عامر الخادم عن الرضا - منه الرحمة - أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر، وبأمر الناس بولاية أمير المؤمنين وولاية أهل البيت، وأن يقرؤا بالبداء والإعادة، ونظائر هذا كثير في كتاب (أقرب الأسانيد) مما لا يتحمل كتابنا هذا إيراده لنلاً يطول شرحه.

الخلق والبشرية

ثم نرجع إلى ذكر الخلق والبشرية فنقول: إنه خلق من الكون الترابي الجسم الطيني كما قال الله تعالى: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ»^١، ثم جعل فيه من كل كون من الأكوان الستة جزءاً.

فكان من جزء الطين لحمه، ودمه، وعظمه، وشهوته، وغضبه، وكبدته، وحمته.

ومن جزء الهواء: قوته، ونظامه، وقيامه، وحمله، وقعوده، وخروجه.

ومن جزء الماء: تربيته، وغذاؤه، ولينه، وثبته وحفظه، وراحته ورأفته، ورحمته.

و من جزء الكون الجوهري قلبه، وهو الأنف في، وجعله محجوباً بالجسم باطناً بخمس صفات: سمع وبصر ونطق، وراحة وبطش، وأظهر لها في الخلقة خمس صفات تسمى الحواس الخمس، وهي حواسه الباطنة، ففي الأذن سمعه، وفي العين بصره، وفي الأنف شمّه، وباللسان نطقه وأوامره ونهيه وتشدّد بطشه.

وله شواهد من الكون النوراني نوراً احتجب بالقلب كما ذكرنا في المبدأ النوراني، وهو الجزء الجوهري، لقولهم: الروح في النفس، وله خمس صفات باطنة لبطونه، منها في القلب اثنتان وهما الفهم والتمييز، وواحدة في العينين، وهي الروح الباصرة، واثنان في الرأس وهم التفكير والتذكير، فلما كملت الصورة البشرية بالأجزاء الكائنة، وفيها يكون ما قابلته الطبائع الأربع.

فالجزء الكائن من الكون المائي البرودة، والرطوبة والبلغم، ومن الكون الهوائي الهواء الحار الرطب، والدم وهو حارق رطب، ومن الكون الناري ناراً حارة يابسة مثل الصقراء، فهي حارة يابسة، ومن الكون الترابي السوداء، فهي باردة يابسة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

^١ السجدة ٧.

و لكلّ كونٍ من هذه الأكوان علمٌ وشرحٌ على ما شرحناه، فعالم البشر المتكوّن من الكون الترابيّ أصله الطّين من الخمسة الأكوان على ما شرحناه، وكذلك الكون النّاريّ عالمه الجنّ، وهو قوله تعالى «ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنونٍ، والجانّ خلقناه من قبْل من نار السّموم^١».

فكانَ أيّها السّائل من الكون النّاريّ الجنّ الذين ظهرت منهم الطّاعة على ما أوجب العدل، وإنّ الحشويّة - لعنهم الله - يقولون أنّنا نجتمع الجنّ بالعزائم والطلّسمات والتكرارات في المنازل، وكلّ ذلك ردٌّ منهم على الله، ولغوٌ وزورٌ.

و أمّا أنت أيّها السّائل، فاستمع لقوله تعالى: «قلّ أوحى إليّ أنّه استمع نقرٌ من الجنّ فقالوا إنّنا سمعنا قرآنًا عجبا، يهدي إلى الرّشد فامثّلوا به ولن نشتريّ برّنا أحدًا^٢».

فأمّا هؤلاء الجنّ هنا هم العالم الكبير النّورانيّ، وهم الجنّ المحمودون، الذين جنّوا العلم، واقتبسوا النور.

و أمّا الجنّ المنمومون هم الأضداد، وهم بنو أميّة، وبنو الشّيطان، وقد كذبهم الله تعالى في كتابه العزيز في هذا القول كما أمر إبليس بالسّجود، فعصاه وخالف الأمر فأبلس من الرّحمة، وسمّي شيطان، وكان منه شياطين، والشّاهد على إبليس في قوله وفسوقه وعصيانه قول الله تعالى: «وإدّ قلنا للملائكة اسجدوا لأدّم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه افتنّخذه وذرّيته أولياء من دّوني وهم لكم عدوّ بنسبٍ للظّالمين بدلًا^٣»، وقولنا في هذا الكون والأكوان الأربعة الباقيين كفاية حسب ما أوردناه فيهم وفي أمثالهم.

والكون الهوائيّ وعالمه فيهم من الأكوان الثلاثة الباقية، بحسب ما ذكرناه فيما تقدّم، ومن عالمه الرّياح الأربعة المكوّنة للرّحمة والأربعة الثّانية المكوّنة للسّخط، وفيها يخرج من بينهما، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى وكلّ بهذه الأرياح الأربعة أربعة أملاك تسمّى الأربعة الأيتام بأسمائهم، وهي الصّبا والتّبور والشّمال والجنّوب، وهي رياح الرّحمة، ويتفرّع منها ريح صرصر العاصف، والصّقار

^١ الحجر ٢٦ - ٢٧.

^٢ الجنّ ١ - ٢.

^٣ الكهف ٥٠.

والقصار، والكبار، واللواحق، والنافعة، والسّموم، ومن علّله السحاب، وهو قوله تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبِتِّ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتَةٍ وَتُصْرِفُ الرِّيَّاحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْتَخَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^١، ومنها سحاب الرحمة الذي منه يحلّ الغيث وتحمله الرياح، وتحطّه بحيث تؤمر من البلاد، وأسماءها كثيرة منها الرّزاز والمصري، والمزن، وغيرها، قال الله تبارك وتعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَلَنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ»^٢، وقوله جلّ من قائل: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا تَقَالَا سَفْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^٣.

و منها سحابٌ يحمل العذاب والصواعق والرّجز، وهو التّلع، وغير ذلك، وقد وكل بجميع ذلك ملكٌ يقال له الرّعد، وذلك أنّ الصوت الشّدِيد الذي يسمّى الرّعد هو زجر الملك، والسّحاب يسيره إلى حيث أمر به، وهو قوله تعالى: «وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ»^٤، وقوله تعالى: «وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنِئْ كُشِفَتْ عَنَّا الرِّجْزُ لِلْأَوْمِنِ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^٥.

و كذلك الكون المائي، وله علمٌ علويٌّ يطول كلامه، ومنه البحر المكفوف في السماء، الذي يمطر على الأرض، وجبال البرد والتَّلَج، وهو قوله جلّ من قائل: «الْمَثَرُ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَاذِبُ سَنًا بِرَبِّهِ يَذَّهَبُ بِالْأَبْصَارِ^١»، وفيه من الكونين الباقيين بحسب ما توجه

البقرة ١٦٤.

الواقعة ٦٨ - ٦٩.

٢ الأعراف ٥٧.

العدد ١٢.

• الأعراف ١٣٤.

الفصل ٤٢

أجزاؤه، وهذا الكون المائي حجاب لما فوقه من الكون النوراني، والجبال في الثلاثة الأكوان أجل وأعظم من أن يدرك شرح أحوالها وكنه أوصافها وعلومها، فلما تكاملت الصورة الترابية الأدمية الطينية البشرية الكروية مشتملة على أجزائها من الأنوار اللاهوتية والقدرة الجوهرية، والحياة الروحانية، والهوائية، والنارية، وبأسبابها المشتملة بالإسمية والحجابية، والبابية واليتمية، وغيرها من المراتب السبع العلوية، والأجرام والمنازل السقلية، وهي مظهرة الوحي وتصاوير الأرضين، حتى لقد ورد أن في الخلق جبلاً وأودية وكهوفاً ومغاوير وعيوناً، وفيه ثلاثمائة وستون عضواً بعدد منازل القمر، والأنوار تشتمل الضلوع وغيرها، وفي الظاهر ثمان وعشرون فقرة بعدد الحروف، وبها قامت الصورة، وكل شيء يقوم بالحروف، والرأس سبع قطع بعدد الطوالع الدائرة، وفي العين سبع طبقات حجاباً للروح الناطقة بعدد السموات السبع وغيرها، وغير ذلك مما في الأرض، وهذا معنى قول الرسول إليه التسليم: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه»، وهذه فائدة غريبة، وأما قوله: أعرفكم بربه، يعني إذا داع من نفسه إلى نفسه، فأَيّ هذه الأنفس عرفت ربها على الحقيقة تكون فائزاً، وأما قولهم (عرفان المعرفة) فهي معرفة الرتب العلوية والنورانية الذين هم هيولات لهذه الأكوان الستة، وذلك أن المعنى الأحد أظهر من نور ذاته اسمه، فهو الواحد من الأحد وهو الاسم الأعظم، والحجاب الأعلى والنور الأقدم، وإليه وقعت الإشارة بقول مولانا أمير المؤمنين منه السلام: نورٌ أشرق من صبح الأزل، فهو حجابُه اللّاحق، ونوره اللّاصق، وعلمه العليم، وسره المكنون الباطن، فالإسم من نورٍ واحدٍ قديم، والباب من نورين قديمٍ ومحدثٍ، وأبدى الباب بمعونة الاسم وتأييده اليتيم الأكبر، وهو المقداد من نور نوره، وذلك قول العالم إليه التسليم: ظاهر المعنى هو باطن الإسم، وظاهر الإسم هو باطن الباب، وظاهر الباب هو باطن اليتيم الأكبر، وهو المقداد، وهو من نور نوره، وهو ظاهر القلب، وهو الفؤاد، وقول العالم إليه التسليم: فوقف في صورة اللطف في الضياء والظل، وشاهده قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^١.

ثم أبدى اليتيم الأكبر الأجل من نوره الأيتام الأربعة، وهو قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخَذْنَا مِنْهُ الطَّيْرَ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^١. ولهذه الآيات شرح لا يحل ذكره في هذا الموضع لئلا نخرج عن القصد، ثم إن اليتيم الأكبر أبدى من نوره الأيتام الأربعة والنقباء، وأبدى النجباء من نور الأيتام والنقباء، وأبدى المخلصين من نور الممتحنين من نور المخلصين، وأبدى من نور العالم الكبير النوراني العالم الصغير، وهم المقربون والكروبيون، والروحانيون، والمقدسون والسائقون، والمستمعون، واللاحقون.

فهذه المراتب العلوية والسفلية، ولكل رتبة منها حجاب بما فوقها تحجب به وتتاجى من دونها، فالسنة الأولى العلوية هيولات ما دونها لما شرحناه من الأكوان الستة، ولكل رتبة منها عالم نذكره، فالأيتام هيولى الكون النوراني، وعالمه المشارق والمغرب، والأقمار والأهلة، والنجوم، والرعود، والبروق.

و النقباء هيولى الكون الجوهري، وعالمه: الصلاة والزكاة، والحج والصيام، والهجرة، والجهد والدعاء.

و النجباء هيولى الكون المائي، وعالمه الجبال والمعصرات والأبحار، والأنهار والرياح، والسحاب، والصواعق.

و الممتحنون هيولى الكون الهوائي، وعالمه: الليل والنهار والغداة والعشي، والغدو والآصال، والسبل.

و المخلصون هيولى الكون الناري، وعالمه الأنعام والثواب والإبل، والنحل والطير، والصوامع والبيع.

و الممتحنون هيولى الكون الترابي، وعالمه البيوت المساجد والنجيل والأغاب وارمان والتين والزيتون.

فلذلك سمّي العلويّ النورانيّ، والعالم السقليّ الترابيّ لأنهم لبسوا القمص الطينيّة، فمنهم من يخلص بقميص واحد أو قميصين، ومنهم من يخلص بثلاثين قميصاً.

و لهذه الهيولات الست هيولى سابعة وهي هيولى الهيولات، وهم الأبواب، وعالمه الأسماء والحجب والآيات، والأنوار، والشموس، والأفلاك، والغمام.

فهذه عرفان المعرفة، ومنه الوجه المبين في كنه اتصال الأنوار وكيفية التجلي والظهورات والأشهاد والمراتب والدرج والمساكن والمقامات والمنبتين والأشخاص.

و لما خلق الله سبحانه آدم خلقه من طين، وكانت نهايته في كمال الصورة الترابيّة الآدميّة من الكون النورانيّ، والروحانيّ ما ذكرناه، واسمع أذنيه، وأنظر عينيه، واشتم منخاره بالعطس، فنطق الحد لله.

ثم استوى جالساً مثلماً صار قائماً، فأثابه العالم على أقداره، وذلك بالحمد يدلّ على روح القدس، وقد نصّبه قبله للعالمين، وإماماً للمؤمنين، وسبيلاً للهدى، ولا يقبل عمل، ولا يزكى فضل إلا ما كان من جهته، ولا فاز إلا من عرفه، وعرف سجود ملائكته له، وهو قوله تعالى لهم: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ^١».

فأمّا الحمد ممّا أفضى من إقرار آدم عليه السلام - الحمد لله على كلّ نعمة، وعلى كلمة النّقوى، والحكمة - وقد ورد في الحمد من الفضل ما يطول شرحه، فنحن نورده ونوضح منه ما يدلّ على فضيلته.

أمّا قوله: الحمد لله، فالحمد ورد على لسان كلّ برّ وفاجر، وإن في قوله الحمد لله معرفة الحجاب، فقد فاز من عرف الحجاب لأنّ سجود الملائكة له، وقد كفر إبليس بتأخذه عن السجود، فخاطبه الله تعالى بقوله: «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ

وخلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^١، فَأَهْبَطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَبْعَدَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقَدْ جَعَلَهُ مَلْعُونًا لِأَجْلِ إِصْرَارِهِ عَلَى الْكُفْرِ وَإِقَامَتِهِ عَلَى الْمَخَالَفَةِ، وَهَذَا الْأَمْرُ أَكْبَرُ الذَّنُوبِ، وَأَوَّلُ ذَنْبِ عَصَا اللَّهِ تَعَالَى، فَكَبُرَ أَمْرُ إِبْلِيسَ بِحُدُوثِهِ مِنَ النَّارِ، فَكَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ أَمْرَهُ بِالْأَقْوَالِ الْمَشْرُوحَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ اسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ فِي اللَّعْنِ وَالْهَبُوطِ.

فَقَالَ إِبْلِيسُ: رَبِّ أَعْطِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ حَتَّى أَعْبُدَكَ عِبَادَةً مَا عْبُدَكَ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ أَقْبَلُكَ أَيُّهَا اللَّعِينُ، وَلَا أَجِيرُكَ، وَلَا قَبُولَ لَكَ عِنْدِي، وَلَا لَغَيْرِكَ إِلَّا مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَسْرَعْتَهُ، وَالسَّبِيلَ الَّذِي أَنْهَجْتَهُ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ تَوَابٌّ عَادِلٌ، فَيَبِّينْ لِي ثَوَابَ عَمَلِي، وَكَانَ مِنَ الْعَابِدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْجِبَ لَهُ الطَّلُوعُ إِلَى السَّمَاءِ وَمَجَاوِرَةُ الْمَلَائِكَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ أَنَّهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا الَّذِي تَرِيدُ ثَوَابَ عَمَلِكَ؟

قَالَ: «رَبِّ فَأَنْظِرْتَنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^٢»..

و لَا عَجَبَ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعَجَبِ، مِنْ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسَ يَنْسَبُ إِلَى الْعَدْلِ، وَجَمَاعَةٌ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْجَوْرِ وَالْعِجْزِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَالنَّكَارِ، وَسُوءِ الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَسْكَنَ آدَمَ جَنَّتَهُ، وَكَمَلَتْ لَهُ الْمَثُوبَةُ عَلَى مُحَضِّ طَاعَتِهِ، فَكَانَ بِهَا بَغِيرُ فَضْلٍ عَمَّا يَسَاكُلُهُ، فَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ لَهُ مِنْ أَحَدِ أَضْلَاعِهِ حَوَاءً، فَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤْمِنُ إِلَيْهَا فِي كُلِّ مَا يَرِيدُ، وَهُوَ بِالْجَنَّةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا حَيْثُ شَاءَ، وَيَتَعَرَّضُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، إِلَّا الشَّجَرَةَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ، وَلَنَا بِالشَّجَرَةِ وَآدَمَ عِلْمٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

^١ من ٧٥ - ٧٨.

^٢ من ٧٩ - ٨١.

فذكر الله تبارك وتعالى القول الذي قاله إبليس لأدم وحواء: «إني لكما لمن الناصحين»^١، فلما لحق بآدم الكون الذي هو من أوصافه مثله الحرص والنسيان، وما وسوس له الشيطان، إذ خالف الأمر فمرّ به يحرّضه على الشجرة الوحيدة التي منع منها جميع أهل الجنة، فأهبط إلى الأرض، وأبعد عن الجوار، فكان هذا ذنباً ثانياً أكبر من ذنوب المؤمنين في الخلاف الذي خالفوا الله تعالى فيه، فلم يكن من آدم - عليه السلام - من أمر المعصية والإقامة على المخالفة عناد بل نسيان كما قال الله تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً»^٢، وهو على المعصية، ولقد سئل العالم عن هذه المسألة فقال: إن الله تبارك وتعالى فعل ذلك في آدم عقوبة، ثم إن آدم - عليه السلام - راجع خطيئته بالإستقالة وذنبه بالاستغفار بأجزائه النورانية والجوهرية والروحانية، وتوسّل إلى الله تعالى بالوسيلة العظيمة، فقبل توبته، وأجاب دعوته، وغفر له زلّته، وجعله خليفة له في أرضه من غير أن يسلبه شيئاً ممّا استمدّ به من روح القدس، إنّه القبلّة للخلق والباب بينه وبينهم، وهو السبيل الذي لا يؤتى إليه إلاّ منه، فهبط إبليس اللعين، فسأل آدم عليه السلام على ما نطق به التنزيل على لسان السيّد الجليل، قال: «فيما أغويتني لأفعلنّ لهم صراطك المستقيم، ثم لايتبنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيّمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين»^٣، وبقوله تعالى حكاية عن إبليس: «قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لننّ أخرتنّ إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريّته إلاّ قليلاً، قال اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤكم جزاء موفّوراً، واستقرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركنهم في الأموال والأولاد وعذبهم وما يعذبهم الشيطان إلاّ غروراً»^٤، قال العالم إليه أنسليم وقد سئل عن هذه المشاركة: «يقعد الشيطان والمرأة، ويقعد الرجل معها، فيشاركه في ماله وولده»، وذلك عدلّ من الله تعالى لمن أشرك الشيطان في طاعة الله تعالى، واتخذ من دونه ولياً، ثم كان من سيرته حتّى باق وعقّ والديه، وقتل أخاه هابيل، فكان في ذلك اليوم أول دم هرق على وجه الأرض، وكان ذلك الذنب والحسد هو ثالث الذنوب الكبار، وهو من الكون الناريّ، ومن هذه الذنوب

^١ طه ١١٥.^٢ الأعراف ٢١.^٣ الأعراف ١٦ - ١٧.^٤ الإسراء ٦٢ - ٦٤.

الثلاثة تفرّعت ذنوب العالمين. وهي الكبر والعناد والحسد، وذلك أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن اتخذ ابنك هابيل للسرّ والوصيّة والحكمة والكتب المنزلة، قال قابيل لآدم: أنا الأكبر وأخي هابيل الأصغر، فلم عدلت بالوصيّة؟

فقال آدم عليه السلام: ذلك أمر الله تعالى أمرني به، ونزل به الوحي عليّ، ولا لي قدرة على مخالفته بالأمر.

قال: لا يرّحب هابيل من دوني، وتؤثره عليّ، وإنما فعلت هذا ميلاً إليه.

فقال له: يا بني، إن أردت أن لا تعصي ربك فافعل.

قال له قابيل - لعنه الله -: إنما أنت تحب نفسك.

فقال له هابيل: إني أحببت أن أجعل بيني وبينك حكماً قاطعاً.

قال قابيل: بماذا؟

قال هابيل: بأن أقرب قرباناً وتقرب أنت قرباناً، فأبى منّا تقبل قربانه كان الأمر له.

قال قابيل: من أين لك هذه الحكمة! فما سمعنا بها ولا رأيناها، ولا رأينا أباعنا حكموا بمثلها؟

قال له هابيل: ها هي حكمة وعدل.

قال قابيل: افعل ذلك.

فذهب هابيل بنفس طاهرة وقلب طيب، ونية حسنة، وكان له مواش كثيرة، فأخذ منها كبشاً وهو أجودها، وأسمنها وأطيبها، فذبحه، وقربه في بيت الصلاة ومدرسة الحكمة، ودعا الله تعالى، فنزلت نار من السماء، فأخذت القربان الذي لهابيل حتى أتت على جميع القربان، فنظر هابيل إلى القربان الذي صار أمام عينيه، فذهب بغير طاعة ونية غير مستقيمة، وكان صاحب زروع شتى، فأتى إلى أرواء شيء من غلاته، فأخذ منه قرباناً، وقربه حيث قرب أخوه وهي شاة له، فذبحها وسأل أن يتقبل منه، فلم يقبل القربان منه، ولا نزلت نار أخذته.

فقال لأخيه هابيل: أنت سحرت النار حتى أخذت قربانك معها، ومنعتها حتى لا تأخذ قرباني، لأقتلك.

فكان من قصته ما حكاه الله تعالى في كتابه بقوله تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ^١»، وحدثته نفسه الشيطانية التي تمكن منها إبليس، فأخبر الله عنه بقوله تعالى: فسألت له نفسه قتل أخيه قتلته، فلما قتله شربت الأرض من دمه، فكان أول دم هرق على وجه الأرض حراماً، فلما رآه ملقى بين يديه، والرياح تهوي في ثيابه، فكشفت سوائته، وهو لا يدري كيف يصنع به، وهو قوله تعالى: «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ^٢»، وأخذ منه مثلما أخذ من صاحبه، يعني قابيل من هابيل حتى طرحه ميتاً، ثم أقبل على الأرض يحفرها بمنقاره ومخالبه حتى احتفر ضريحاً وجراً الغراب المقتول ودفنه وألقاه فيه، رأسه إلى الأرض نحو الغرب ورجلاه إلى الشرق، وهو على جانبه الأيمن، ليكون متوجّهاً إلى القبلة، وخذه على التراب، ثم حنأ عليه بمنقاره شيئاً من الماء وحنأ عليه التراب بجناحيه، فلذلك صارت سنة القتل أن يُدفنوا به بدمائهم غير مغتسلين محنطين مكفنين، فأما كون الرأس إلى الغرب ورجلاه إلى الشرق، والجنب، والخذ الأيمن على الأرض متوجّهاً إلى القبلة، فسنة كل ميت بعد الغسل والتكفين، وكذلك جرت السنن في تربع القبور ورش الماء عليها، فأما السنة فبدعة عند أهل الضلال، وأما الغسل والكفن وقصته، والغربان، لهم شرح ليس هذا موضعه.

فأما قوله تعالى - حكاية عنه -: «يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ»، فدفنه على ما ذكرناه، ثم إن آدم - عليه السلام - افتقد هابيل، فلم يقف له على أثر، ولم يجد له خبراً، فقلق لأمره قلقاً شديداً،

^١ المائدة ٢٧ - ٣٠.

^٢ المائدة ٣١.

فنزّل عليه جبرائيل الأمين سلام الله عليه، فعرفه ما كان منه، وأنّ الأرض شربت دمه، وأنّه واره تحت التراب.

و أوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض أن لا تشرب بعد ذلك اليوم دماً، فامتثلت الأرض لأمره، وإنّ قابيل أبعد عن الله هو ونسله، وعن آدم غير مستقبل، ولا مستغفر على ذلك، ولو أنّه استقال واستغفر لم يقبل منه، ولم يُغفر له، لأنّ الله تبارك وتعالى حتمّ حتماً أنّه لا يغفر لمن قتل مؤمناً، وهو قوله تعالى: «مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»، وهو من الكبائر والآثام المقرّنة بالشرك التي لا تُغفر، فما بال من قتل خيار الله وصفوته، ونسبه إلى لاعجز، ثمّ إنّ قابيل - لعنه الله - بفعله اشتطّ هو ونسله، وكان منه ما كان بتزويجه بابنته وبنيه، وكان ذلك فعل المجوسيّة المخطئة، وتمادوا في غيهم على مرّ الدهور والأزمان، فمنهم الجبّارة والفراعنة ورؤوس الضلال والطواغيت، وقتلهم الأنبياء والشهداء والصالحين، وآل الأمر إلى ظهور حيتّر ونعثل ودلام، ووردت كما ذكرت، ورأيت الحقّ في بيت هاشم أعني محمّداً وعليّاً، فإذا أردت رواية الباطل في بيت عبد شمس أعني بني أميّة وهم الشجرة الملعونة في القرآن لا يزال يروى عنهم سوء أعمالهم ولم تزل تُروى روايات الحقّ في بيت هاشم إلى أن يقوم قائم آل محمّد - منهم السلام -.

و قد روت الحشويّة - لعنهم الله - أخباراً اعتقدوها مناقباً لهم، وهي مثالب لهم، فمنها ما روت قول عمر: «يا سارية الجبل الجبل»، وكان أصل هذا الحديث أنّ رسول الله صلعم قال يوماً لأمير المؤمنين منه الرّحمة: وإنّ فيك شبيهاً من عيسى بن مريم، ولولا مخافة أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يبيعون به البركة ويستشفون به، وكان ممّن حضر الثّاني يسمع ذلك، فأخذ قبضة تراب من تحت قدم أمير المؤمنين إليه التّسليم ليثبت الحجّة على كلّ من جلس مكانه، وقعد موضعه، فلما تقلّد الأمر الأول سار عليّ إليه على خلوة فقال له عليّ: أنا أحقّ منك بمقعدك هذا.

فقال له أبو بكر: ولم ذلك يا علي؟

قال علي: إن رسول الله صلعم أمرني أن أكون أنا وإياك، ونمضي إلى القبر، فمن سلم له الأمر صار له، قال من حضر، فلما أتيا إلى القبر خرجت يد رسول الله من القبر وأنا أنظرها وأعرفها، وأبو بكر ينظرها ويعرفها، وهو يومي إلى علي ويقول لأبي بكر: أكفرت بالذي خلقتك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً، ثم أومي ثانية إلى علي وقال: لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً، وتأويل ذلك إن من قدم حبتراً على علي فقد ظلم نفسه وكفر بالله.

و قد روت جماعة ليست من المؤمنين وهم بنو أمية وبنو العباس، وفيهم أبو بكر وعمر وغيرهم أنهم قعدوا على باب حجرة رسول الله ينتظرون، وجرى ذكر علي أمير المؤمنين - منه الرحمة - فسبوه، فخرج صلعم يقول لهم: أيكم الساب لله؟

قالوا: ما فينا أحد سب الله.

قال: أيكم الساب رسول الله؟

قالوا: ما فينا أحد سب رسول الله.

قال: أيكم الساب علياً؟

قالوا: قد كان ذلك يا رسول الله.

فقال رسول الله صلعم: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أخلده في النار.

و قال صلعم: لا تسبوا علياً لأنه محشوء بذات الله حشواً.

ثم نرجع إلى حديث أبي بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، قم حتى أسلم الأمر إليك.

قال له علي: أنا ناظر، وأنا عالم أن ما يغويك إلا شيطانك، ولا يدعك تسلم الأمر إلي.

و كانت هذه إقامة الحجّة على الأول.

ثم إن عمر قال: أرني معجزة كما أريت حبتر أسلم الأمر إليك.

قال له علي: وماذا تريد من المعاجز؟

فقال له عمر: أتمنى أن أرى سارية بمكانه بخراسان، وما هو عليه، قال له علي: أحضر قبضة التراب التي قد أخذتها من تحت قدمي، وهي مخبوءة عندك، فأحضرها، فأمره أن يبسطها على الأرض ويقف عليها وينادي: يا سارية.

فإذا هو في مكانه من الحرب، وأن المسلمين مقهورون.

قال: يا أمير المؤمنين: قهر المسلمون قهراً عظيماً، وغاب سارية.

فقال أمير المؤمنين: ناده حتى يصير إلى الجبل، فإنه يسلم، ومن معه.

قال عمر: من يبلغ صوتي إليه؟

قال له علي: عليك بالأذان، وعلى الله البلاغ.

فقال: يا سارية الجبل الجبل.

فسمعه سارية، فأنحرف إلى الجبل، فسلم هو ومن معه.

ثم إن عمر لم يسلم الأمر، غير أنه ثبتت عليه الحجة، فهذه قدرة مثلبة لا منقبة.

و من رواياتهم: إن حبتر ودلام سيّدا كهول الجنة، وإنما كان رسول الله صلعم قال يوماً للحسن والحسين: أنتم سيّدا شباب أهل الجنة، وكهولها، لأن الجنة لا يدخلها من هم في سن الشّيبة ليكون تمتّعهم أشدّ بنعيمها، فرووا: إن حبتر ودلام، سيّدا كهول أهل الجنة، ورووا أن النبي صلعم مازح عجوزاً فقال: إن الجنة لا يدخلها العجائز، فجزعت، فقال النبي صلعم: إنما يدخلها جرّداً مردّاً في سنّ ابن الثلاثين، وإنما أراد بقوله كهول أهل الجنة يعني أنهما جنّتان، فالجنة التي هما سيّدا كهولها هي هذه الطّبائع البشريّة، لأنها جنة الكافر، وسجن المؤمن، فهذه مثلبة لا منقبة.

وورد عن النبي صلعم أنه قال: «عليّ رابع الخلفاء»، ويذهبون أنه رابع الثلاثة المتقدّمين عليه، ولم يكن كذلك، وإنما أراد الرسول صلعم بقوله علي رابع

الخلفاء، لأن الله تعالى يقول في كتابه: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتُجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^١»، وكان آدم عليه السلام الخليفة بنطق القرآن، ثم قال جل من قائل: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ^٢»، وكان ثاني الخلفاء بنطق القرآن، وقال الله تبارك وتعالى: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ^٣»، فكان ثالث الخلفاء بنطق القرآن، وقال رسول الله صلعم لعلي: يا علي، أنت مني كهارون من موسى، فكان رابع الخلفاء، فهذه مثلبة لا منقبة.

وورد أن الأول والثاني شمس هذه الأمة، وقمرها، وقال أيضاً: إن شمس هذه الأمة وقمرها في صورة ثورين يكونان في الموقف معذبين قائمين بمقام أهل الموقف، وذلك أنه أولاً يحاسب هذا الخلق، ثم يؤمر بهما، وهذه مثلبة لا منقبة، وروي عن رسول الله صلعم أنه قال: اقتتوا في الدين من بعدي بأبي بكر وعمر، فذهبت الحشوية إنه ندب الأمة إلى أبي بكر وعمر، فكان ذلك سفاهة منهم وظلماً، وكفراً، وزوراً، وكذباً على رسول الله، ونسبوه إلى الجنة، وأنه لم يعرف العربية، وأنه لو أراد ما ذهبوا إليه لقال النبي صلعم من بعدي أبو بكر وعمر، وإنما ندب إلى الأئمة وإلى القرآن، والافتداء بهما، وهما الثقلان، ثم خص حيدر ودلام بحرف لا، لأنه عالم بما يكون منهما من مخالفتها على أمير المؤمنين منه السلام في أمر الوصية والخلافة، فأوجب الحجة عليهما.

و روي في حديث بطول شرحه أن رسول الله صلعم قال يوماً لعثمان في أمر انتمره: «افعل ذلك يا عظيم الأمة»، وكان ذلك استعظاماً لشركه وكفره، وما يكون من فعله، كذلك روي في قوله تعالى: «وَفَذِّئْنَا بِنَبِيحٍ عَظِيمٍ^٤»، فإن الذبح العظيم هو

^١ البقرة ٣٠.^٢ الأعراف ١٤٤.^٣ ص ٢٤.^٤ الصفات ١٠٧.

الثاني، وقوله عظيم أي عظيم الوزر، وكذلك قوله صلعم: يا كبير، وهو صغير، فإنه سمّاه كبيراً لما أظهره من أمر الذين وأدبه.

و مثل ذلك تسمية عائشة بأم المؤمنين، وما كان من فعلها بركوب الجمل، وحربها لأمير المؤمنين، وسمّاها الحميراء، مشاكلةً لفعل صفراء بنت شعيب عليه السلام، زوجة موسى - عليه السلام -، وركوبها الزرافة وقتالها ليوشع بن نون وصيته، ونظير هذا كثير.

و اختاره الله تعالى الوصي لآدم - عليه السلام - هبة الله، وهو شيث، وكان قد أهبط إليه من الجنة حوريةً ونسل منها نسله.

و روى عمر بن المقتم عن أبيه أنه قال: سألت الباقر منه السلام عن تزويج آدم ولده، قال: وأي شيء يقول هذا الخلق المنكوس؟

قلت: يقولون: إنه إذا ولد له ولدٌ جعل بينهما بطناً، ثم زوج ولده من البطن الآخر، فقال أبو جعفر عليه السلام كذبوا، هذا مذهب المجوسية المخطئة.

قال: أخبرني أبي عن أبيه عن رسول الله صلعم أنه قال: لما وهب الله آدم هابيل وشيث وصيته بعث الله عز وجل حوريتين يقال لإحدهما ناعمة والثانية منينة، وأمره أن يزوج ناعمة بهابيل، ومنينة لهبة الله، فزوجهما، وتوالدوا، وكان يزوج بنات العم ببعضهم، وهذه الزيجة التي على الرشد والطهارة هي سنة المسلمين، وصار من ذلك الأنبياء والأوصياء والشهداء والصالحون والمؤمنون من نسلهما على كون الطهارة عالين عن التجسس بإبليس ونريته، وكانوا على حذر من قابيل ونسله، وأوصى آدم إلى جميع أولاده بأن لا يخالطهم أحدٌ منهم ولد قابيل، ولا يواكلهم ولا يشاربهم، ولا يناكحهم، كي لا يفسد النسل، ويطلعوا على ما معكم من السر والحكمة، فيقتلونكم بها، لأنهم أضداد لكم، فكان ذلك الأمر مدة من الدهر، ثم اختلطوا بهم، فلما اختلطوا بهم احتضر آدم عليه السلام، فأمره الله بالوصية، وأن يسلم الحكمة، والكتب المنزلة، ومعرفة اسم الله إلى شيث، ونقل إليه ما كان من آدم من تأييد بروح القدس، وجعله إماماً للمؤمنين، وقبلة للمتوجهين، والباب المشرع للعالمين، والصراط المستقيم، وخليفته في الأرض، فقام في الأمر، ثم بالوصية من اختيار الله تعالى، فانتقل إليه ما كان من آدم - عليه السلام - وكذلك جرى هذا

الانتقال من وصيٍّ إلى وصيٍّ حتَّى انتهَى إلى النَّبيِّ صلعم، فسَلَّمه الله الوصِيَّة، وأوصاه بأمره تعالى، واختاره في كلِّ حين، وإنَّما سَمي خاتم النَّبِيِّين لقوله: لا نبيَّ بعدي، لأنَّه انقطع العذر بين الله تعالى، وبين خلقه في رسالة محمَّد صلعم، وهو من الأَيَّام السَّبَّت، وإنَّما سَمي السَّبَّت لانقطاعه من الأَيَّام، ولجلالته وعظمته، وعلوِّ شأنه، وما منعت أُمَّة موسى عليه السَّلام من التَّعَيُّش فيه والعمل إلَّا بطاعة الله تعالى، وهو الحاشر، وله الرِّسالة وله الشِّفاعة، وهو السَّيِّد البشير، وهو النَّذير، وهو الكلِّ والكلام، والمرِّ والم، وص، ون، وجعل له صلعم فضائل النَّبِيِّين والمرسلين، وزيد من الفضل ما لم يكن للأنبياء والمرسلين المتقدِّمين، ولذلك قال أمير المؤمنين - علينا سلامه - أنا ورثت علم الأوَّلين والآخريين، بما ورد من رسول الله صلعم، وأورد أنَّه قال - إليه التَّسليم -: شربت ما اجتمع في حجر رسول الله صلعم عند غسله واختاره الله - جلَّ اسمه - بالوصِيَّة، والخلافة على خلقه (عليًّا) أمير المؤمنين لذكره التَّعْظِيم، وأمر الرِّسول صلعم بإظهار أمره والدَّعوة إليه بقوله تعالى: «يا أَيُّها الرِّسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - في علي - وإنَّ لَمْ تَفْعَلْ فما بَلِّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ »، هكذا في قراءة ابن مسعود، فراجع النَّبيِّ صلعم وقال: أخاف أن أعصى ولا أطاع، حتَّى نزل عليه الوحي قائلًا: «وإنَّ لَمْ تَفْعَلْ فما بَلِّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»، ونزل هذا الوحي في دعوة رسول الله صلعم من حِجَّة الوداع، وقد نزل في غدير خم، وفي قوله: غدير خمَّ علم لا يمكن إيرادِه ومُشاهدته إلَّا لمُستَحْقِّيه، فأمر أن يصلح له منبرٌ من سبعة أَقْتاب الإبل، وصعد عليه محمد صلعم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ أخذ بيد أمير المؤمنين فرفعها، وقال: «اللَّهُ لا إِلَهَ إلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ»، ثمَّ قال: يا أَيُّها النَّاسُ، من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، ومن كنت أنا نبيِّه فهذا عليٌّ وليِّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

ثمَّ قال: يا عليّ: أنا وأنت أبوا هذه الأُمَّة، لعن الله العاق أبويه.

ثمَّ قال: يا عليّ: أنا وأنت موالِي هذه الأُمَّة، لعن الله من أنكر موالِيه.

ثم قال: معاشر الناس، هذا مولاكم، فهل أنذرت وبلغت؟

فقالوا: نعم.

فقال: اللهم أشهدك أنني عبد لك، وكررها ثلاثاً، فأنزل الله تعالى على رسوله: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»^١، فكانت هذه الآية تكملة للنشرع والدين والرسالة.

و رواد سليم بن قيس أنه قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن هذه الآية لما نزلت دعا رسول لاله الناس بغدير خم وأشار إليهم أن أحبطوا وخذوا من الدوحات ما سقط وانتوني به، فليس ما جمعه بعضه فوق بعض.

فلما رآه ما وفي للجمع أمر عليه السلام بالأقناب، فنصب بعضها فوق بعض حتى علت العسكر، ثم علاها، وكان ذلك في يوم الخميس، ثم أخذ بعضد أمير المؤمنين ورفعته حتى نظرنا إلى بياض إبطي رسول الله صلعم، وقال: من كنت مولا فهذا علي مولا، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

قال أبو سعيد: ولم يزل رسول الله صلعم على المنبر حتى نزلت هذه الآية «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»، فقال رسول الله صلعم: الله أكبر على كمال الدين وإتمام النعمة ورضوان الرب برسالتي، وبولاية علي بن أبي طالب بعدي، فشهد الله لجلالة هذا اليوم، وسمي في النداء: يوم يقوم العهد والمعهود، والميثاق المأخوذ، وقول الحاج في الطواف إذا استلم الحجر: أمانتي أديتها إليك، وإيماني وميثاقي تعاهدته لديك لتشهد لي بالموافاة، وفي الأمانة علم نحن نذكر منه ما قد يجوز ذكره من قوله تعالى: «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان»^٢، الظلوم الجهول، وهو الأول، وهو كل إنسان منموم في القرآن، وقوله تعالى: «إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم

^١ المائدة ٣.

^٢ الأحزاب ٧٢.

تَذَكَّرُونَ^١»، فالفحشاء والمنكر والبغي، فلان وفلان وفلان، وهو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَبِيرًا^٢».

فالأمانة الأولى هي ما ندب به المؤمن إلى المعرفة وإلى الدين القيم بالأمر بما أُعطي عليه في القدم عهده.

و الأمانة الثانية: أن يؤدّي الرجل إلى من أنس منه رشده ما يعرف به ربّه، وعبادته ووليّ أمره، وهو قوله تعالى: «فَإِنْ أَسْتُمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا^٣».

و الأمانة الثالثة: فهي ممّا يتعلّق بخطام الدّنيا لقول الحسن العسكري -منه السلام- لو اتّمتنا قاتل أمير المؤمنين منه السلام على سيفه لأدّيناه إليه.

و الأمانة علّم أعلى ممّا شرحته وذكرته، ليس هذا موضع ذكره، والحجر علّم بطول شرحه، وكذلك البيت وبابه، وأركانه له علّم لو شرحنا منه شيئاً لخرجنا عن حدّ القصد إلى غيره، وأمير المؤمنين قسيم النور وصاحب الحوض، ولواء الحمد، وهو الهادي لقوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ^٤»، وهو النور لقوله تعالى: «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^٥»، ثمّ نظر إلى السيّد الرسول صلعم بحياته وحياة أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وقال: إمامان قاما وقعدا، فكان اختيارهما بأمر الله تبارك وتعالى.

ولقد رأى رسول الله صلعم فقد الأمر من يد الحسن ثمّ من يد الحسين صلوات الله عليهما وجعلت الأمانة كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة وهي قيام القائم وهو من آل محمد صلعم لقوله تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ^٦»، وقوله تعالى: «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ

^١ النحل ٩٠.

^٢ النساء ٨٥.

^٣ النساء ٦.

^٤ الرعد ٧.

^٥ التغابن ٩.

^٦ طه ١٥.

البَصْرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^١»، وقوله جلَّ اسمه: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَذَلِكَ خَافِيُّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^٢»، وهذه هي الحطمة، وهذه نار الله الموقدة، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَوْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ، وتأويل ذلك أَنَّ القائم منه الرحمة حين ظهوره سيعاقب على سرائرهم وما تشتمل عليه أفئدتهم من غير إمهال ولا إنظار، إذ قد مضى الإمهال والإنظار والإعذار والإنذار وباب التوبة مفتوح بالقبول لمن تاب وأناب، ولا تنفع التوبة بعد ذلك الوقت إذا وقع الاستداد وقام قائم الحق، وهو قوله تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ^٣»، وشاهد ذلك قول الرسول صلعم: يكون رجال القائم كما كان بنو إسرائيل مع موسى حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وذلك أَنَّ هَارُونَ كَانَتْ لَهُ مَنَاطِقَةٌ كَسَبَهَا مِنَ الْجَنَّةِ عَوْضًا عَمَّا نَزَعَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُ مِنَ الدَّرِّ وَالْجَوْهَرِ عِنْدَ تَصَدِيقِهِ لِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - وَقَدْ جَاءَ إِلَى فِرْعَوْنَ بِالرَّسَالَةِ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جَوْهَرَةً لَاثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا، فَاخْتَارَ مِنَ الْأَسْبَاطِ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا وَكَانُوا مِثْلَ النِّقْبَاءِ فِي الْقَبَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ، وَكَانَ إِذَا مَضَى رَجُلٌ فِي الظُّلْمَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَخْطَأَ، تَضَيَّءَ الْجَوْهَرَةُ الَّتِي بِرَسْمِ ذَلِكَ، فَيَقُومُ الْإِثْنِي عَشَرَ نَقِيًّا بَيْنَ الْأَسْبَاطِ وَيَحْضُرُونَ الْمَخْطِئَ، فَيَجْعَلُونَ الْقِرْعَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَخْرُجَ اسْمُ الْجَانِي صَاحِبِ الْخَطِيئَةِ، فَيَقْضِي ذَلِكَ السَّبْطُ بِتِلْكَ الْجَوْهَرَةِ، وَكَانَ مَعَهُمْ أَيْضًا الْحَجَرُ يَحْمَلُ عَلَى الْأَيْدِي، فَإِذَا حَلَّوْا فِي مَوْضِعٍ حَطَّ فِيهِ مَغْرَسَةٌ، وَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، وَهَذَا الْحَجَرُ يَكُونُ مَعَ الْمَهْدِيِّ - مِنْهُ السَّلَام - وَيُخْرَجُ مِنْ عِنْدِ مَغْرَسِهِ لِأَصْحَابِهِ فِي أَسْفَارِهِمُ الْخُبْزَ وَالْمَاءَ وَاللَّبَنَ، وَالتِّينَ وَالْخَمْرَ لِكُلِّ عَلَى قَدَرِهِ، وَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَوْصِيَّهِ شَمْعُونُ: «أَنْتَ صَخْرَتِي وَعَلَيْكَ أَبْنِي كَنِيسَتِي»، وَقَوْلُهُمْ «شَمْعُونُ كَابِيَا» يَعْنِي بِهِ حَجَرُ الصَّقَا، وَبِإِزَائِهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَالْقَائِمُ - مِنْهُ الرَّحْمَةُ - هُوَ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، وَهُوَ الْمَرْجِيُّ لَدَيْنَ اللَّهِ، وَهُوَ

^١ النحل ٧٧.^٢ الأعراف ١٨٧.^٣ الأنعام ١٥٨.

القائم المنتظر، وهو بقية الله، وهو كما قال الله تعالى: «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ۚ»، وهو صاحب الكرة الزهراء والرجعة البيضاء، وهاتان النقطتان الواقعتان إذا ظهر القائم يصلي محمد بعلي، ويكون زمانه زمان عدل لا جور فيه ولا باطل، وقد ذكرت الرجعة البيضاء في مجلس الصادق - منه السلام - فقال: يظهر قائم آل محمد ويحضر كل من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، ويسلط المؤمنين على الكافرين، فسأل بعض الحاضرين المولي الصادق عن شاهد ذلك من القرآن فقال: قول الله تبارك وتعالى: «يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۚ»، وهو فرعون الفراعنة، وأمّا الحشر فهو اليوم الذي ذكره الله في قوله تعالى: «يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ».

فقال السائل: اللهم أجربنا.

قلنا له: فتأمل أيها السائل المستمع إلى عظيم القدرة وبليغ الحكمة وإتقان الصنعة ومواقع العدل وأبواب النصفة في البرية، وأن الإمام - منه السلام - هو صفوة الله وفطرته التي فطر الناس عليها، وقد نال آدم الفضل لما كان الغاب عليه أنكون نوراني وهو محمد، وعطس محمد الله، وكيف حمّد الله على البلاء، وكيف أثيب ثواباً لا تقدر عليه الأماني، ولا يدركه الاقتراح، ثم إنه لما أمر بدخول الجنة، وجعل معه حواء فأكل وشرب ونكح، ولما كان من إبليس ووسوسته إلى حواء أنساه ما كان عليه من الحرص الموجب لنسيان العهد والميثاق الكائن من الكون الهوائي حتى مات به هوى النفس، فأكل من الشجرة المحرمة عليه، فلما أكل منها كانت عقوبته على ذلك حرمانه ممّا ناله من الجنة، وهبوطه منها، وما كان من ولده قابيل، وهو بكره أول ولد له، رباه معه سامعاً للحكمة وشاهداً لأخلاق الملائكة إلى أن مال به الجسد، فعق أباه وقتل أخاه، الذي اختاره الله واصطفاه، وإنما نال أنبيؤن والأوصياء هذه المراتب بحسب ما كان من إخلاصهم في الطاعة، فأثابهم الله على اصطبارهم، واختارهم ونبأهم بما دق من العلوم والمعرفة، وهو قوله تعالى: «نَبِّئُ

^١ هود ٨٦.

^٢ النمل ٨٣.

^٣ الكهف ٤٧.

عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^١»، وقوله: نبأ مأخوذ من أبنائهم وأخبارهم بما كان وما يكون، وقيل: إن النبوة تجمع الأنبياء بحسب الطاعة، والمصطفون من جملة الأنبياء خمسة أولو العزم من الرسل، وفي رواية ستة، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، وهم أصحاب الشرائع والكتب المنزلة، وقد ورد في الكتب المنزلة أن الأوصياء منهم السلام ينظرون في عمود من نور فيما بينهم وبين العرش، وقد ورد لهم عن الله تعالى ما يوردونه من هذا العمود الذي يقال له عمود الشَّبح، ويقال له السَّبب الموصول، وله علمٌ وخبرٌ في حظيرة القدس، وورد أنه يقضي إليهم أمر كل سنة ما كان وما يكون فيها من الآيات والقدر، وهو قوله تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ^٢»، وروي عن العالم منه السلام أنه قال: قلب الإمام وكرٌ لإرادة الله، فإذا شاء الله شاء الإمام، وورد أيضاً أن الدنيا بين يدي الإمام كشقّ الجوزة في كف الناظر وكذلك هو الشاهد عليهم فيما يعملون، والخبير فيما يؤولون، ويذرون، وهو الشاهد والمشهد، وإن من الشهداء والمؤمنين والصالحين من يتحدّث بحديث ويلقى إليه في نومه وحى، ومنهم من ينبذ في صدره نبذاً، في قراءة ابن مسعود: «وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ولا محدثٍ إلا أودعنا له سراً^٣»، وأكثرهم الأنبياء والأوصياء وقد رغبوا الناس وحذروهم وأنذروهم مما يكون منهم من سهوٍ وغلطٍ، ومنهم من يكون كلامه تأديباً، فإذا كانوا وهم الصقوة والجوهرة تحمّلوا أثواب الإحسان، وأظهروا المجازاة لمن خالف ذلك من أهل الغلط والنسيان، فإن الذرية والمساكين والنسل المستضعفون ساروا على هذا السبيل وأتبعوا الشرع.

ونقول إن هذه الأجزاء المكوّنة للخلقة الأدمية ومن خرج منها بالولادة كل مخلوقٍ منها له جسمٌ يقابل بكيفيته نوعاً من العوالم التي جاورها بطبع نسبته إليها، وقد جعلت له موادّ من المأكّل والمشارب، وذلك أن الله تبارك وتعالى بحكمته جعل من الخلق أقواماً بنعوتٍ في الدار إلى قضاء الأعمار، فأما قوام الخلق فجعله الله تعالى في أربعة أشياء وهي: الأغذية والمناكح والأمكنة والملابس، وجعل لهم الأمر والنهي، فإن عملوا بالأمر وانتهوا بالنهي نالوا المساعدة في الدار الآخرة كما

^١ الحجر ٤٧.^٢ الدخان ٤.^٣ ليست في مصحف عثمان.

قال الله تعالى: «وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُفٌ رَّحِيمٌ»^١، وأما المناكح فقد أمر بها ليبقى النسل وتعمّر الدنيا، وذلك قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^٢، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»^٣، وقوله تعالى: «وَاتَّكَبُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^٤، إلى قوله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَظَهُ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الصِّبْيَاتِ أَفِيَالِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ»^٥، وأما الأكنان والملابس فهما من وجه واحد لحاجة الخلق إلى الراحة في منازلهم والاستتار فيما يأتونه من المناكح وغيرها من الأمور التي لا يحسن التظاهر ولراحتهم ولنومهم، قال الله تبارك وتعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهُمَا خَلْقًا ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ»^٦، وقوله: «قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ»^٧، فالخير هو التقوى وهو الحياة، وأما الأمر والنهي فهو وجه واحد، لأنه لا قوام للدار وأهلها إلا بالأمر والنهي إذ كانت المفترضات والتكليفات وإقامة الحدود والعقوبات والأحكام والمناكح وسائر أبواب الشرع معقودة بامتنال الأمر والانتهاء بالنهي واتباع الأمر فيما ضرر منها وبر. وكل ما يجري من كل طاعة ومعصية، وإيمان وكفر، وعدل وجور، وحق وباطل، وصدق وكذب، وأمن وخوف، وغم وحرب، وسلم وحمى، وذم وشكر، وجحود وغفران، وانتقام وعذاب، ورضوان وسعادة، وشقاء، هو قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»^٨، فأخبر أنه لا حياة إلا بالأمر والنهي،

^١ النحل ٦.^٢ آل عمران ٦.^٣ النساء ١.^٤ النور ٣٢.^٥ النحل ٧١.^٦ الأعراف ٢٦.^٧ الأنفال ٢٤.

وقوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^١، وقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^٢، فالخير هو التقوى والحياة أوضح دليل على أنه لا بد من القيام بالأمر والنهي وأنه أحد أسباب بقاء الخلائق ليقف الأمة على مصالحها ويجنبها مضارها، وإلا بطلت الرغبة والرهبة، وفتر الخلق عن أعمالهم، وكذلك إذا ارتفعت الأغذية هلك العالم.

^١ البقرة ١٧٩.

^٢ التغابن ١٦.

الأمر والنهي

وأما دلائل الأمر والنهي واردة عن الله تعالى والرسول المظهر لهما يكون متصفاً بثمانية حدود تدلّ عليه منيرة بينة بين الأمة وهي:

أولاً أن يكون بمنصبه أظهر الخلق وأعفهم حتّى لا يعجز عليه أحدٌ في العفة والطهارة، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^١، فمن طهره الله تعالى فهو معصوم مطهر.

ثانياً: أن يكون أعلى الأمة حسباً ونسباً لئلا يفخره الرجال بالأبوة، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^٢، وفي قراءة ابن مسعود: «وآل محمد على العالمين».

ثالثاً: أن يكون أشجع الأمة، لأنّ رئيس فئة المسلمين الذي إليه يرجعون في حروبهم وملاقاتة عدوّهم فإن جبن وفشل، وانهزم، فليس بنبي ولا وصي.

رابعاً: أن يكون قاضياً بالعدل حتّى لا يجري منه ظلمٌ لخصم، ولا عجزٌ فيما يدبره من أمر الشرع، ولا في وضع الأموال في مواضعها والديانات في حقوقها والحدود في أماكنها.

خامساً: أن يكون أصبر الأمة عند نزول النوازل والشدائد، لتثبت الأمة به، قال الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^٣، وقال الله عزّ وجلّ: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ»^٤.

^١ الأحزاب ٣٣.

^٢ آل عمران ٣٣.

^٣ آل عمران ٢٠٠.

^٤ النحل ١٢٧.

سادساً: أن يكون أشكر الخلق لتتأذ بآفعاله الأمة، والشكر والصبر من معدن واحد، والصبر أفضل، قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

سابعاً: وأن يكون بالعلم بمثابة من لا يعجز عن جواب في صغيرة ولا في كبيرة، ولا دقيقة، ولا جليلة، ولا سائر يسري في السماء ولا في الأرض مما يسأل عنه إلا أجاب بالجواب الذي ينصب الحرص بين عيني المستمع، وله أن يظهر العجز من تلك خلال الآ في العلم، فليس له أن يظهر العجز فيه.

ثامناً: له أن يظهر المعجزات والآيات إذا شاء أو يدبرها إذا شاء، وهذا القول كافٍ.

باب العزل في سائر المخلوقات

و ذلك أن جميع الحيوان الذار على صنفين ذو فهم ومستبهم، فذو الفهم هو المأمور والمنهي والمكلف، وقد مضى من ذكره وشرح أحواله ما فيه كفاية، والمستبهم فليس مكلفاً ولا مأموراً ولا منهيّاً، بل قد ألهم معرفة صانعه، ومضارّه ومنافعه، وهو ما روي عن العالم منه السلام أنه قال: أبهمت البهائم إلا عن ثلاثة، معرفة أن لها خالقاً، ومعرفة الذكر للأنثى، ومعرفة مضارّها ومنافعها، وإن العادل بفضلها جعل لها أشعاراً وأصوافاً، وأوباراً، ونظائر ذلك من نعوتها ممّا يصنعه المأمورون والمكلفون في الأغذية والمناكح والملابس من الأمور التي جعلت للبهائم واستحققت لبسها بمخالفتها الأمر والنهي، والمكلفون ينتفعون بالمطلق بأكل اللحم منها بأصوافها وأشعارها وأوبارها وألبانها وممّا يتخذ من جلودها من الآيات والمنافع، قال الله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاءًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ»، وفي هذا الحيوان المستبهم أصناف مختلفة، فمنه ما أطلقوا ذبحه وأكل لحمه واستعمال جميع آلاته، ومنه ما حرم لحمه وجميع آلاته وحلّ قتله، ومنه جنس الضواري من الوحوش، والطير التي أكلها اللحم ولا غذاء لها غيره، فالأيسر منها مستأنس للناس، والأكثر مستوحش يتقى ولا يتقى، ومنه مأكله العشب والحب والتمر وأكثره مستأنس للناس وبعضه مستوحش، ولهذا الحيوان على اختلاف أجناسه تأثير من قوته في ضعفه وقوته.

و ورد في الأثر أن الله تبارك وتعالى قال في محكم كتابه: «وما من ذائبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحْشَرُونَ»، فتأمل أيها المستمع مواقع العدل والقدرة، وإنه لما رفع عن الحيوان المستبهم الأمر والنهي لم يدعه سدى بل جعله مسخراً لذي الفهم المكلف تحت التدبير والتدبير ولم يجعله مهملاً.

^١ النحل ٨٠.

^٢ الأنعام ٣٨.

في العقاب والثواب

فأما ذو الفهم المكلف، فله ثواب عاجل وآجل، وعقاب عاجل وآجل، قال الله تعالى في ثواب: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»^١، وقال الله جلَّ اسمه في العقاب: «لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ»^٢، فالثواب في الدنيا الحسنة بعشر أمثالها وما زاد عن ذلك فلا يعلمه إلا الله.

^١ النساء ١٣٤.

^٢ الرعد ٣٤.

فهرس الموضوعات

٥	تقديم
٧	تقديم بقلم الشيخ موسى
٢٢	دراسة عامة حول مؤلفات محمد بن نصير
٢٧	صور من مخطوطات علوية
٣١	كتاب الأكوار النورانية والأموار الروحانية
٣٣	مقدمة
٣٤	خبر حبابة الوالدية والخاتم والحصاة
٤١	إملاء أبي شعيب للكتاب
٤٥	خروج عبد الله بن غالب الكابلي
٤٧	قول المولى - بدء الكتاب -
٥٣	نداء الجماعة لمحمد بن جندب
٥٤	نداء أبي شعيب لمحمد بن جندب
٥٥	تنمة شرح وجود الله وشهادة الاسم للمعنى
٥٨	تعيين خلافة محمد بن جندب
٥٩	العودة للشرح
٦٢	تبيان بابية أبي شعيب وعدم وعي اسحاق الأحمر
٦٥	إعادة الشرح
٦٦	ذكر نعت أوصاف السماء
٦٦	الكرسي (الاسم)

- ٧٠ شرح الأكوان الأربعة
- ٧٢ الخمسة الأيتام
- ٧٣ افتقاد الأحمر للشرح
- ٧٦ العودة للشرح
- ٧٧ تبيان النجوم
- ٧٩ الكون الترابي البشري
- ٨١ العودة للشرح
- ٨٣ الذنوب
- ٨٤ تفسير دنو الباب من الاسم
- ٨٦ الدحوة الاولى
- ٨٨ الدحوة الثانية
- ٨٩ الدحوة الثالثة
- ٩٢ ذكر دحوة أبي شعيب ومحمد بن جندب
- ٩٥ ذكر مريم وفاطمة
- ٩٧ تفسير الله نور السموات والأرض
- ٩٨ تمكين الاسم للباب (خبر النوروز)
- ١١١ خبر تأليه قوم لسلطان
- ١١٤ خبر الصنم
- ١٢٥ إظهار محمد بن أبي زينب الكشف
- ١٣٧ الامتحان ٢
- ١٣٩ كون البشرية والجسمية
- ١٤١ النجوم السّيارة
- ١٤٢ رتبة النجباء
- ١٤٣ رتبة النقباء
- ١٥٤ إرادة الظهور
- ١٥٦ خبر عالم الإقرار

١٥٨	الفرقة الثانية من فرق الامتحان
١٧٢	تفضيل نجد على نجد
١٨٦	القول في تشريح
١٩٢	حيز في شرح
٢٠٧	كتاب المثال والصورة لمحمد بن نصير
٢٣٥	ايضاح المصباح الدال على سبيل انتجاح للسيد الجنبلائي
٢٣٦	تبيان شرائع الناس واختلافها
٢٤٠	تبيان فضل الأئمة
٢٤٤	الوجود
٢٥١	مظاهر اعداد الوجود
٢٥٦	الوجود والإيمان والعبادة
٢٦٠	الشهادة والولاية
٢٦٢	الصيام
٢٦٤	الحج
٢٦٧	الجهاد
٢٦٩	الزكاة
٢٧١	الخمر
٢٧٣	الخلق والبشرية
٢٩٦	الأمر والنهي
٢٩٨	باب العدل في سائر المخلوقات
٢٩٩	في العقاب والثواب
٣٠١	فهرس المحتويات

